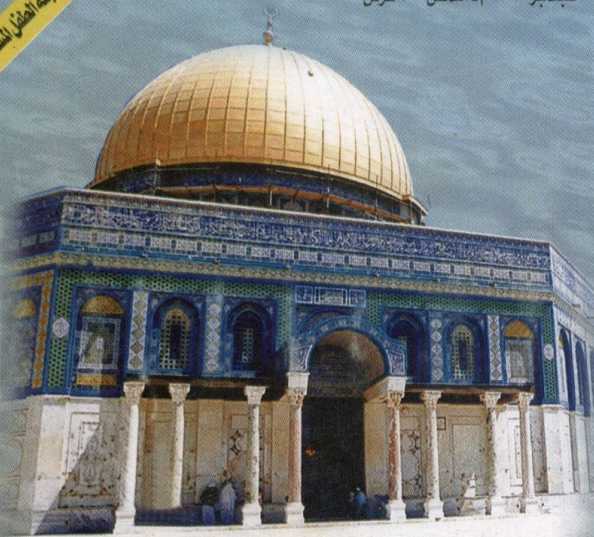


مع الهدى هدية أفريقي، مجلتي الهدى السلام،

السنة (٥٩) العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٢١هـ
سبتمبر ٢٠٠٠ م - الثامن ١٠٠ قرش

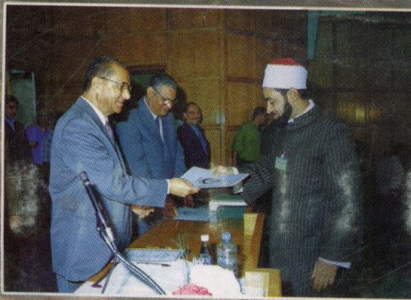


القاس بين منطق السلام ومنطق الشرعية

التنازل عن الأرض المقتضية.. هل لنا أم سلام؟!

معجزة خلق الإنسان
في القرآن

تكريم الدعاة المثاليين
وحفظة القرآن الكريم



تطوير خدمات المسجد الجامع

من محتويات العدد

غلاف الشهر

● صورة المسجد الأقصى
ستظل راسخة في وجدان
وصدور الأمة الإسلامية معلنة
أنها لن تقبل أية مساومة أو
تنازل عن الأرض المقدسة.
ولقطات من حفل تكريم
الدعاة المثاليين، وحفظ القرآن
الكريم، والبراعم الصغيرة
المتفوقة في الألعاب الرياضية
بمسجد النور بالعباسية.

تصوير: شريف كمال

* تفسير سورة الحشر

أ. د. محمد سيد طنطاوى
الإسلام دين القصد والاعتدال

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي
وداعا للرجال الأعزة

أ. د. عبدالصبور مرزوق
القدس بين منطق السلام ومنطق الشرعية

د. عبدالله الأشعل
التنازل عن الأرض المغتصبة.. هدنة أم سلام؟! أ. د. محمد عمارة

معجزة خلق الإنسان فى القرآن
د. عبدالفتاح مصطفى غنيمه

* إسلام بلا مذاهب - د. مصطفى الشكعة
عرض د. محمد بهى الدين سالم

* مسكن الحضانة لمن؟
المستشار حسن حسن منصور

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٢ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية وأستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلفرافيا: منبر الإسلام - القاهرة



مன்ற الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكمل

كلمة التحرير

سيظل ملف القدس مفتوحا إلى مدى لا يعلمه إلا الله طالما أن قوة العرب والمسلمين مستمرة في الوهن والضعف أمام الجبروت اليهودي، والتآمر التفاوضى فى الوقت الذى يتعامل فيه الفلسطينيون فى المفاوضات بمنطق الشرعية الدولية وعلى الجانب الآخر تتعامل إسرائيل بأسلوب المراوغة والمساومة. وإذا كانت قضية القدس فلسطينية فهي بالدرجة الأولى عربية وإسلامية تخص مليارا وثلاثمائة مليون مسلم هم ثلث سكان العالم. فمنذ أن دخل الإسلام الأرض المقدسة لم يصل سيدنا عمر فى الكنيسة حتى لا يعتبره المسلمون حقا شرعيا.

ولم نسمع أن المسلمين قاموا بهدم أى أثر دينى فى الوقت الذى تعمل فيه إسرائيل على هدم المسجد الأقصى والهيكل.

ومنذ واحد وثلاثين عاما أقدم أحد اليهود على حرق المسجد الأقصى الذى اعتبرته إسرائيل مصابا باضطراب نفسى مما شجع المتطرفين اليهود على الاستمرار فى الاعتداء على الأراضى الفلسطينية.

هذا ما يتعرف عليه القارئ خلال

مطالعة لهذا العدد. بالإضافة إلى

الأبواب الثابتة من تفسير

وموضوعات الحضارة

والسنة المطهرة، وأيضا

الموضوعات التى

يشترك معنا

القارئ فى

تحريرها.



الدكتور أحمد شلبي



الشيخ سيد سعيد



وداعا للرجال الأعزة

والأعزة عندي من عاشوا حياتهم ورؤوسهم في السماء لا يحنونها إلا لخالقها، ومن ثم لا تكون الدنيا بكل ما فيها ومن فيها مناط اهتمامهم ولا مبلغ علمهم، بل مطامحهم وغاياتهم أن يكونوا في معرض الرضا مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فلا ترى أقدامهم أبدا قد سعت إلى الزلفى لذوى السلطان، ولا دخلت أبدا في سوق عبدة الدنيا من شرار الناس الذين يبيعون دينهم بدنياههم، بل وبدنيا غيرهم.



أولئك أعزائي الذين كان يوم رحيلهم من أصعب الأيام وأقساها على، فوجئت بخبرهم وأنا مسوق إلى غرفة العمليات بمستشفى الدعاة لإجراء جراحة في الساق التي تهشم بعض عظامها، وبقيت حبيس الفراش - وما أزال - ولم أودعهم ولم أشارك بشئ على مواساة ذويهم بالدنيا طالا

حين يغيب عنا في رحلة الالعودة صديق أو رفيق نستشعر في غيبته أن بعضنا قد فقد، وأن جزءا من ماضينا وحاضرنا قد ذهب ولن يعود.. ولأن أكثر من يموتون لا يستحقون أن يبكي عليهم فإن فقد الأعزة مصاب يعجز القلب عن احتمال فاجعته، فيفقدون تفقد الحياة مذاقها وقيمتها، فيستشعر الأحياء بعدهم أن الدنيا خليفة الأبيكي عليها، وكان رحيلهم هو المصيبة الفاجعة التي أمرنا القرآن بأن نقول في مواجهتها «إنا لله وإنا إليه راجعون».

في يومنا هذا لم يبق لنا من هؤلاء الرجال إلا



الشيخ سيد سعود:

أما رفيق الدرب - في أيام الشباب - في معهد القاهرة الديني زمن «المراغي»، و«الظواهري»، ومظاهرات الطلاب المطالبة بإصلاح الأزهر، فهو الأخ الأعز فضيلة الشيخ سيد سعود، وكيل الأزهر الأسبق الذي وافته المنية يوم وفاة المستشار الجندي - رحمهما الله -.

وإن أنس لا أنسى يوم كنت مقدم المتظاهرين من الطلاب الداخلين إلى مكتب فضيلة الإمام المراغي أحمل في يميني مذكرة عنوانها مطالب الطلاب لإصلاح الأزهر.

وكنت غراً كريماً في مناخ كان لثام السياسة يستثمرون أغرار الشباب من أمثالي ليزجوا بهم في أمور لا يدرون من خبيثتها شيئاً.

دخلت إلى مكتب الإمام المراغي والطلبة يزحمون القاعة خلفي وأعلامهم قائمة وأكثرهم التصاقاً بي وحماية لي هو فضيلة الشيخ سيد سعود؛ وحييت فضيلة الإمام وقدمت إليه المذكرة فسألني: ما هذا يا ولدي؟ قلت مذكرة لإصلاح الأزهر، فافتر ثغره عن ابتسامته جميلة وجليلة وكان المراغي مهيباً لا تثبت عينك على النظر في عينيه أبداً؛ لكنه أنهى هذه اللحظات التي لم أدر كيف مرت ثم قال: دع المذكرة وسأنظر فيها.

وببساطة الغر الكريم سألت فضيلته ومتى أعرف رأي فضيلتكم؟ وكان يجلس إلى جواره لحظتها - فضيلة الشيخ الجليل عبدالمجيد سليم - صاحب الكلمات الطائفة والمواقف المجيدة فابتدرني: يا ولدي أترك الموضوع لفضيلة الإمام، فماذا يقول هذا الغر الكريم الذي اسمه - عبدالصبور مرزوق - الذي لا تعلو رأسه عن مكتب الإمام إلا بقليل؟ قال الغر الكريم لعبدالمجيد سليم: هذا ليس من شأنك نحن نكلم الشيخ، فافتر ثغر المراغي - رحمه الله - عن ابتسامته المهيبه

ورآني عوادي بالمستشفى أبكي بمرارة، وظنوا أنه من آلام العملية التي أجريت لي، لكنه كان من ألم الإحساس الهائل بفقد الأعزة لا يعرفه إلا من عاشه ذات يوم.

وأما بعد :

فإذ أبدأ بوداع الشيخ الجليل المستشار عبدالحليم الجندي فإنما أودع واحداً من بقية الرجال المحترمين في زماننا الذين أرقب شجرتهم تساقط أوراقها عظيماً بعد عظيم فأجفل من تصور ما تجنه الأيام في المستقبل، وبتابني خوف هائل مما سنعانیه بعد .

وحين فسد الزمان وتحققت المخاوف رأيتني أردد قول الشاعر:

ذهب الذين يعاش في أكثافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر

كان الجندي من رجال القضاء، وذات يوم كان رئيساً لهيئة قضايا الدولة، وللعمل في القضاء سلطان وتأثير كبير على من يشتغلون به فيطبع ألسنتهم على العفة، ويطبع أقلامهم على الموضوعية والدقة والتي تكون «المساواة» معها هي أسلوب القاضي حيث لا إيجاز ولا إطراب، وهكذا كان - رحمه الله - في كل ما ألف، وما أكثر ما ألف، وكان أكثر إعجابه بكتابه: «الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع علم الأصول»، ثم كتابه «الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي».

ومع تقديري لكل ما كتب فقد شاركته إعجابه بكتابه عن الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي حيث أبرز فيه أخلاقية الحضارة الإسلامية وأثرها في إخضاع «المال» للإطار الأخلاقي، وإنزاله من عرشه الذي وضعته الحضارة الرأسمالية الغربية والذي ازداد طغيانه على الناس والحياة حتى ليقيم الدول ويسقطها فإذا الحضارة الإسلامية تضع هذا «المال» في حجمه العادل باعتباره بعض رزق الله للإنسان لا ينبغي أن يستأثر به إنسان.

بعدما صوّب نظره إلى وصّعه، ثم قال: الموعد السبت.. وكان هذا اللقاء يوم أربعاء.

وتتابعت الأحداث فأقيمت وزارة الوفد، وإذا المراغى يطل كتفا بكتف مع الملك فاروق من شرفة عابدين على الجماهير الغفيرة التي خرجت تحيي وتؤيد.

وفوجئت بأني كنت محسوبا على الفريق المعاون للمراغى وتوعدنى «الصعايدة» وكانت أمور وأمور أهم ما فيها أنى مصيت أقطار الأزهر إلى دار العلوم حتى أهرب من عنفوان العصبية ومن الأعياب السياسة التي كانت تعبت بالجميع آنذاك.



هل ذكرت نفسى ونسيت رفيق دربى الشيخ سيد سعود؟! أبدا - ما نسيت - الحق أقول: لا، فقد كان هو الذى يحمينى من أى صوت يعارض، وكان الذى يقف بى على الاتجاهات والتيارات التي فتنت بعض الطلاب فى المعاهد والكليات عن المصالح العليا للأزهر، وكان زميلا عزيزا قد مد الله فى عمره الذى بلغ حماسه ودفاعه عنى أن كان يضع بين يدى مسدسه لأحمى به نفسى من البيت إلى المعهد.

وسيد سعود خصيصة أبناء الأصول مروءة وشهامة وكرما ونجدة واستصغارا للفقاقيع الفارغة التي تحسب نفسها شيئا وماهى بشيء! فكان بيننا من وشائج القربى والمحبة.. كثير وكثير - لكنه - على غير ميعاد وعلى غير مقدمات - فاجأنى برحيله ليمأل النفس فجعية فى ذات اليوم الذى رحل فيه - الجندى - فكان المصاب فيهما فوق كل احتمال.

الدكتور أحمد شلبى؛

ويبقى آخر من أكتب مودعا له: الزميل والصدى أ. د. أحمد شلبى أستاذ السيرة والتاريخ وصاحب المصنفات والمكتبات المتخصصة فى التاريخ والسيرة.

جمعنا مدرج على باشا مبارك بكلية دار العلوم سنة ١٩٤٤م، وكنت فى السنة الأولى وكان هو فى الليسانس، وكنت مبهورا به حين أراه يلبس الشورت ممسكا بالمضرب فى ملعب - التنس - يرمى الكرة، ويتحدث مع منافسه بكلمات إنجليزية هى مصطلحات اللعبة فشاقنى عمله وأحببت أن أكون مثله وألعب كما يلعب وأردت ونفذت واقتربت منه حتى لعبت معه - التنس - ذات يوم، لكنه غادر الكلية إلى - أكسفورد - فى بعثة عاد بعدها للتدريس فى الكلية حيث طوحت بى الأقدار مديرا للمركز الإسلامى فى الصومال ثم مساعدا للأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، وكان من بعض عملى أن أصطحب الدعاءة وأذهب إلى ديار الإسلام نقيم الأسابيع الطوال ندعو ونربى فى جولات إلى موريتانيا؛ وإلى الصومال وإلى المملكة المتحدة، وإلى جاكارتا، وفيها صحبى الدكتور شلبى الذى كان يجيد الأندونيسية ويدرس بها، وكان ذا نفس هادئ وصوت هادئ يكفلهما طبع رقيق وخلق سمح، وعفة يد ولسان.

ولقد أسهم الدكتور أحمد شلبى - رحمه الله - فى تخريج أجيال وأجيال من أبناء دار العلوم وغيرها من الكليات والمعاهد التي كانت محاضراته وكتبه نعم الزاد لإسهامها فى السيرة والتاريخ.

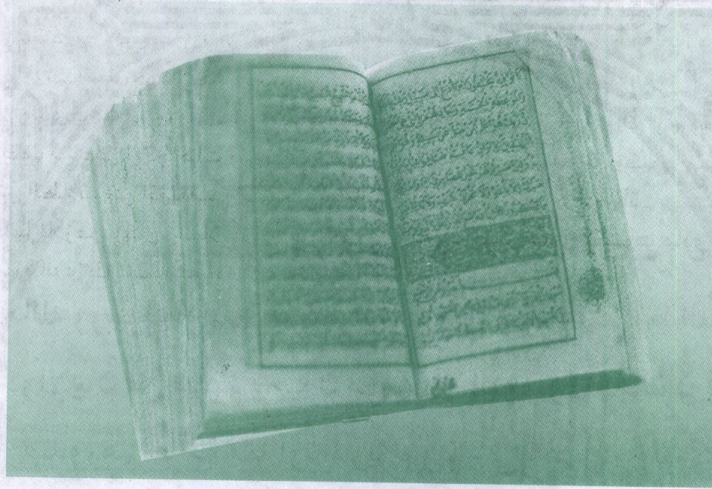
وداعا أعزائى..

ومضيتم وبقيت وحدى أفنتقد حنوكم ومحبتكم وتكثركم لقلتى، وتقويتكم لضعفى - لكن ذكركم لن يغيب عنى وسأظل أرطب به جفاف الزمن الذى يغالبنى فيه هاجس الاغتراب فأقول:

لقد رببت على أيدى الكبار وفى صحبة الكبار وسأبقى معهم - إن استحال ذلك واقعا - سنصحب ذكراكم العطرة داعيا لكم متطلعا إليكم فى مواقعكم مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والموعد عند الله يا أعز الأعزاء.

القرآن الكريم وعلومه



- تفسير سورة الحشر
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم
- منهج القرآن في الدعوة إلى الله
- ومحاورات الخصوم

قوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ كُلُّ مَسْجِدٍ لِلَّهِ حَرَامٌ وَلِكُلِّ مَسْجِدٍ مِّنْهُنَّ مَذْبَحٌ لِّلَّهِ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

تفسير سورة الحشر

نظرات في
كتاب الله
تعالى

رَبَّنَا نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ
لَقَدْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّهِ
الْأَزْهَرِ
رَبَّنَا نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ

رَبَّنَا نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ
لَقَدْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّهِ
الْأَزْهَرِ
رَبَّنَا نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَتَغَوْنَ فِضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خِصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
(٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾

الحشر : الآيات من ٨ - ١٠

١ - بعد أن بين الله تعالى في الآيتين السابقتين حكم الأموال التي تركها بنو النضير بعد إجلائهم عن المدينة المنورة بسبب غدرهم وخيانتهم، وحكم الأموال التي أفاء الله - تعالى - بها على المؤمنين من أهل القرى الأخرى، والتي ظفروا بها دون قتال يذكر. بعد أن ذكر - سبحانه - ذلك، أثنى ثناء عظيماً على المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فقال - تعالى -: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ الحشر: آية ٨.

قال الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ما ملخصه: «اعلم أن هذه الآية قد وصفت المهاجرين الذين هاجروا من مكة بفضائل أولها: أنهم فقراء.

ثانيها: أنهم مهاجرون.

ثالثها: أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم - يعنى أن الكفار أجبروهم على الخروج تاركين ديارهم التي نبثوا فيها، وأموالهم التي ينفقون منها على مطالب حياتهم.

رابعها: أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً والمراد بالفضل ثواب الجنة. وبالرضوان: رضا الله - تعالى - عنهم.

خامسها: قوله - سبحانه وتعالى -:

﴿وينصرون الله ورسوله﴾ أى: بأنفسهم وبأموالهم.

وسادسها: قوله - عز وجل - : ﴿أولئك هم

الصادقون﴾ أى: لما هجروا لذات الدنيا، وتحملوا شداًئها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم^(١).

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد مدح المهاجرين في هذه الآية، بجملة من المناقب الحميدة التي استحقوا بسببها الفلاح والفوز برضوان الله - عز وجل - .

٢ - وشبهه بهذه الآية الكريمة في الثناء على

المهاجرين، الذين فارقوا ديارهم، وضحوا بأموالهم من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل نصرة دين الإسلام، ومن أجل رضا الله ورسوله. شبهه بهذه الآية قوله - تعالى - : ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ البقرة: آية ٢١٨.

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقتلوا وقتلوا لأكرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ آل عمران: آية ١٩٥.

وقوله - عز وجل -: ﴿الذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ التوبة: آية ٢٠.

وقوله سبحانه وتعالى -: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين﴾ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلیم﴾ الحج: الآيتان ٥٨، ٥٩.

﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ النحل: آية ٤١.

٣ - ثم مدح الخالق - عز وجل - بعد ذلك الأنصار، الذين يحبون من هاجر إليهم فقال: ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم...﴾ الحشر: آية ٩.

والتبوء: النزول في المكان. ومنه المباءة للمكان الذي يقيم فيه الإنسان.

والمراد بالدار هنا: المدينة المنورة، وأل للعهد. أى: الدار المعهودة المعروفة وهى دار الهجرة.

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿والإيمان:

منصوب بفعل مقدر. أى: وأخلصوا الإيمان.

قال صاحب الكشف - رحمه الله - : «فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار، مع أنه لا يقال: تبوأوا الإيمان؟

قلت معناه: تبوأوا الدار وأخلصوا الإيمان. أى: وجعلوا الإيمان مستقرا وموطنا لهم، لتمكنهم منه، واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك» (٢).

وقوله - سبحانه وتعالى - : «**من قبلهم**» أى: من قبل أن يأتى إليها المهاجرون من مكة المكرمة. والمغنى: تلك هى صفات المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، وهذا هو جزاؤهم أن وصفهم خالقهم بالصدق بأن قال: «**وأولئك هم الصادقون**».

أما الأنصار الذين سكنوا دار الهجرة وهى المدينة المنورة من قبل المهاجرين، وأخلصوا إيمانهم وعبادتهم لله - تعالى - فإن من صفاتهم أنهم يحبون إخوانهم الذين وفدوا إليهم حبا شديدا، لأن الإيمان ربط قلوبهم جميعا برباط المودة الخالصة، والمحبة الصادقة، وصدق الله إذ يقول فى شأنهم: «**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**» الأنفال: آية ٦٣.

وقوله تعالى: «**وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا**» صفة أخرى من الصفات الكريمة التى مدح الله بها عز وجل أهل المدينة.

ومعنى «**يجدون**» هنا: يحسون ويشعرون، والضمير للأنصار. أما الضمير فى قوله: «أوتوا» فهو للمهاجرين.

والحاجة فى الأصل: اسم مصدر بمعنى الاحتياج، أى: الافتقار إلى الشيء.

والمراد بها هنا: المأرب أو الرغبة الناشئة عن التطلع إلى ما منحه النبى ﷺ للمهاجرين دون الأنصار من فء أو غيره.

والمعنى: أن من الصفات الكريمة للأنصار - أيضا - أنهم: لا تتطلع نفوسهم إلى شئ مما خص به النبى ﷺ المهاجرين، ولا تتأثر نفوسهم لذلك،

لأن المحبة العميقة التى ربطت بين قلوب الفريقين جعلتهم جميعا يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحب نفسه، بل أحيانا يفضل أخاه على نفسه.

وتلك هى الصفة الثالثة من صفات الأنصار، وهى قوله سبحانه وتعالى: «**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**».

والإيثار معناه: أن يؤثر الإنسان غيره على نفسه، إكراما لهذا الغير، ومحبة لمنفعته.

والخصاصة: شدة الحاجة، وأصلها من خصاخص البيت، وهى ما يبقى بين عيادته من الفتحات.

أى: أن من صفات أهل المدينة - أيضا - أنهم كانوا يقدمون فى الخير والمنفعة إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، حتى ولو كانوا فى حاجة ماسة إلى ما يسد ضرورات حياتهم.

٤ - والحق أن التاريخ ليشهد أن المهاجرين قد ضربوا أروع الأمثال فى العفاف والزهد، وأن الأنصار قد ضربوا - أيضا - أروع الأمثال فى الكرم والسخاء.

أما المهاجرون فكانوا إذا عرض عليهم إخوانهم الأنصار الأموال قالوا لهم: بارك الله لكم فى أموالكم، ولكن دلونا على السوق، لكى نجمع رزقنا عن طريق التجارة والعمل الشريف.

وأما الأنصار فيكفيك هذا المثل لسخائهم وكرمهم. روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أصابنى الجهد. فأرسل ﷺ إلى نسائه فلم يجد شيئا. فقال: «ألا رجل يستضيف هذا الرجل الليلة؟» فقال أبو طلحة فقال: أنا يارسول الله. فذهب به إلى بيته وقال لامراته: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ. فقالت: والله ما عندى إلا قوت الصبية! فقال لها: إذا أراد الصبية العشاء فتؤميهن وتعالى فأطعنى السراج، ونطوى بطوننا الليلة لضييف رسول الله ﷺ ففعلت.

ثم غدا الضيف على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «لقد أعجب الله الليلة من فلان وفلانة»

ونزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣).

٥ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يوقِ شِئْنَهُ يَجْعَلْ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ ذَنْبًا مِثْلَ شِقَاقِهِ﴾ تذييل قصد به النهي عن رذيلة البخل بعد مدح الكرم والسخاء.

والشع: يرى بعضهم أنه بمعنى البخل. ويرى آخرون: أن الشع غريزة في النفس تحملها على الإمساك والتقتير، وأما البخل فهو المنع في ذاته. فكان البخل أثر من آثار الشع. قال صاحب الكشف: الشع: اللؤم، وأن تكون نفس المرء كزة حريصة على المنع، كما قال الشاعر: يمارس نفسا بين جنبه كزّة

إذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها. وأما البخل فهو المنع نفسه (٤).

أى: ومن يوق - بتوفيق الله وفضله - شع نفسه وحرصها على الإمساك، فيخالفها فيما تأمره به من المنع والتقتير، فأولئك الذين يخالفونها هم المفلحون الفائزون برضى الله تعالى، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي نهت عن الشع ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشع فإن الشع أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

٦ - ثم مدح - سبحانه - كل من سار على نهج المهاجرين والأنصار في قوة الإيمان، وفي عفة النفس، وفي طهارة القلب، وفي سخاء اليد، فقال - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾.

والمراد بهؤلاء: كل من أتى بعد المهاجرين والأنصار، وساروا على نهجهم في التقوى والصالح وصدق العقيدة، وطيب القول، وسلامة السلوك.

والمعنى: والذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار، واتبعوهم في صدق إيمانهم، وفي صلاح

أقوالهم وأفعالهم، يقولون على سبيل الدعاء لأنفسهم ولإخوانهم في العقيدة: ياربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر - أيضا - لإخواننا في الدين الذين سبقونا في الإيمان وفي الخير والفضل، ولا تجعل ياربنا في قلوبنا حسدا وحقدا وغلا لكل من شهد لك بالوحدانية، ولرسولك محمد ﷺ بالنبوة، فأنت ياربنا شديد الرأفة بعبادك، واسع الرحمة بهم.

٧ - هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة: أن من حق الصحابة - رضى الله عنهم جميعا - على من جاء بعدهم أن يدعوا لهم، وأن ينزلوهم في قلوبهم منزلة الاحترام والتبجيل والتكريم. ورحم الله الإمام القرطبي فقد أفاض في بيان هذا المعنى فقال ما ملخصه: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ يعنى التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة.

قال ابن أبي ليلي: الناس ثلاثة منازل: المهاجرون. والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، وهم الأنصار. والذين جاءوا من بعدهم، فاجتهد ألا تخرج من هذه المنازل. وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة.

وقال الإمام الفخر الرازي: «واعلم أن هذه الآيات قد استوعبت جميع المؤمنين، لأنهم إما المهاجرون، أو الأنصار، أو الذين جاءوا من بعدهم».

وقد بين - سبحانه - أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار، أن يذكرهم بسوء، كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين، بحسب نص هذه الآية (٥).

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه إنه أكرم مسئول، وأعظم مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ - تفسير الفخر الرازي ج٢٩ ص ٢٨٧.

٢ - تفسير الكشف ج٢ ص ٨٢.

٣ - راجع تفسير القرطبي ج١٨ ص ٢٤.

٤ - تفسير الكشف ج٤ ص ٨٤.

٥ - تفسير الفخر الرازي ج٢٩ ص ٢٨٩.

التفسير اللغوي للقرآن الكريم

هذه الآيات. (عبد الغفار حامد) هلال

هذه الآيات. (عبد الغفار حامد) هلال

هذه الآيات. (عبد الغفار حامد) هلال

فالأية الأولى - وهي

قوله تعالى: «يا بني

إسرائيل اذكروا نعمتي

التي أنعمت عليكم وأني

فضلتكم على العالمين»

إعادة لخطاب اليهود

المعاصرين للنبي ﷺ

وتجديد لتذكيرهم بنعم

الله تعالى عليهم لعلهم

يعودون إلى صوابهم في

الإيمان بالله ورسوله -

وهو مصدق لمن جاء قبله

من رسل الله - وهذا على

سبيل الترغيب وكرر

التذكير للتأكيد لأنهم حتى بعد ورود التذكير

السابق لم يمتثلوا ولم يقوموا بحقوق نعم الله

عليهم - فقد قال لهم فيما سبق «يا بني إسرائيل

اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي

أوف بعهدي وإياي فارهبون»، وكرر طلب الطاعة

لهذه النعم السابغة فإن لم يشكروها فعليهم أن

يطيعوا خوف نزول أهوال يوم القيامة بهم

وحسابهم حسابا شديدا، وكان عليهم أن يذكروا

تفضل الله تعالى عليهم بفضائل لم يمنحها غيرهم

أيام آبائهم كما قال تعالى: «وإذ قال موسى لقومه

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقِيلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾

سورة البقرة: ٤٧ - ٤٩

في هذه الآيات

الكريمة خطاب آخر

لبنى إسرائيل، وتذكير

جديد لهم بالنعم التي

أنعم الله تعالى بها

عليهم، وكان قد فضلهم

بها على معاصريهم ثم

لما لم يشكروها حل بهم

غضب الله وعقابه،

وضربت عليهم الذلة

والمسكنة لأنهم لا

يستحقون التكريم أو

التشريف.

ثم أخذ المولى

سبحانه يخوفهم - بعد

أن كان يذكركم بالنعم - اتباعا لمسالك الترغيب

والترهيب لعلهم يهتدون، ولكنهم ضلوا ضلالا

بعيدا، خوفهم من أهوال يوم القيامة الذي

يتحملون فيه - كغيرهم من الناس - نتائج كفرهم،

ولن يغنى عنهم أحد من الله شيئا.

وفي الآية الثالثة نعمة تنجية بنى إسرائيل - في

عهد موسى ﷺ - من بطش فرعون وقومه بهم

وسومهم سوء العذاب بذبح الأبناء واستحياء

النساء.

ولنا وقفات لغوية مع أسرار التعبير القرآني هي

ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء
وجعلكم ملوكاً».

وكلمة «بنى إسرائيل» بنى جمع ابن وهو فى أصل اللغة خاص بالذكور من الأولاد، ويقول اللغويون: إنه إذا أضيف عم - فى العرف - الذكور والإناث فيكون بمعنى الأولاد - وهو المراد هنا. (ابن) محذوف اللام، واختلف فى كونها ياء أو واو فىرى ابن درستويه أنه من البناء لأن الابن فرع الأب.

ويرى الأخفش أنه من البنوة فأصل اللام المحذوفة واو ونظير ذلك: أب وأخ فأصلهما: (أبو)، و(أخو)، وبه قال الجوهري، وبعضهم يرجح الأصل اليائى بدليل قولهم الفتوة فأصلها يائى.

و(إسرائيل) من كلمتين: (إسرا) ومن معانيه: العبد أو الصفوة، و(إيل) بمعنى الله فهو اسم من أسمائه فمعناه: (عبدالله) وهو لقب سيدنا يعقوب عليه السلام، ولم يقل (يابنى يعقوب) لأن الخطاب بقوله: «يابنى إسرائيل» أدعى إلى الاستجابة فقولك لإنسان يابن الصالح أطلع الله، أدعى إلى استجابته مما لو قلت له: يا ابن زيد - مثلاً - أطلع الله لأن الإنسان يميل إلى اقتفاء أثر أبيه حتى ولو لم يكن سلوكه محموداً فكيف إذا كان؟

وهذا يعد حسناً هنا لأن المقام مقام دعوة إلى البر وترغيب فيه وترهيب وتخويف من عدم الاستجابة إليه، فالحسنة - فى نفسها طيبة، وهى من بيت النبوة أطيب، والسيئة فى نفسها قبيحة، وهى من بيت النبوة أقبح.

و«اذكروا» طلب على سبيل الأمر ومصدره الذكر - بكسر الذال وضمها - بمعنى واحد، ويكون الذكر باللسان أو بالقلب، وينقل الكسائى التفریق، فمكسور الذال للسان، وضده: الصمت، ومضموم الذال للقلب وضده: النسيان، وعلى كل فهو من «جاءة المشتري الفخول»: «العالى له مهذباً ألياً

وليس المقصود حقيقة الذكر باللسان والقلب بل ما يتبع ذلك من شكر هذه النعمة وأداء حقوقها.

وأضافة النعمة إلى الله تعالى من باب التشريف والتعظيم لها، وأن الشكر عليها لا يكون إلا لله تعالى، وهى مع ذلك نعم كثيرة لا تحصى، ولذلك قيل: إن الإضافة للاستغراق، ومع تعدد النعم على الآباء الماضين، فإن نعمه على المعاصرين للنبي ﷺ كثيرة أيضاً.

وقد عطف الخاص على العام لأن تفضيل الله تعالى لهم من بين النعم التى منحهم الله تعالى إياها، واختصت الواو بهذا النوع من العطف كما يذكر أبو حيان فى البحر المحیط، وتخصيص تفضيلهم على العالمين بالذكر - من بين النعم - للعناية بأمر هذا التفضيل، وليس المراد تفضيلهم على جميع العالمين بل على عالمى زمانهم المعاصرين لهم، فلا يلزم من الآية تفضيلهم على النبي ﷺ ولا على أمته الذين هم «خير أمة أخرجت للناس».

والآية الثانية وهى قوله تعالى: «واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً.. الخ» جاءت واضحة فى أن كل شخص مسئول عن أعماله مسئولية مباشرة فلا يسأل غيره عنها وجاء هذا المعنى فى أربعة مبادئ أساسية

الأول: عدم تحمل نفس لما جنته نفس أخرى.
الثانى: عدم قبول شفاعة الشافعين للنفس الكافرة.

الثالث: عدم قبول الفدية منها.
الرابع: إحقاق أى سعى لها بالنصرة أو المساعدة.

فالمبدأ الأول - وهو عدم تحميل نفس لما جنته نفس أخرى صيغ صياغة حكيمة فى قول الله تعالى: «واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً»

عقلاً يبيعتا إلهياً وهى قبيحة تلتقى لنا

المراد باليوم: يوم القيامة، والجزاء والجزاء بمعنى واحد هو الإغناء والكفاية، يقال: جزاني وأجزاني أى كفاني، وتقول: جزى عنى هذا الأمر يجرى. كما تقول قضى عنى واجتزأت بالشئ، اجتزاء إذا اكتفيت.

فالمادة اللغوية تدور حول معنى واحد وهذا هو ما جعل اللغويين يهتمون بالكشف عن سر الترابط المعنوى فى مواد اللغة العربية، وعليه يمكن تفسير بعض قراءات القرآن الكريم التى لا يختلف معناها باختلاف تركيب الكلمات وهيئاتها من مادة لغوية واحدة أو من مواد متقاربة مثل تجزى وتجزئ ونحو ذلك.

فقوله تعالى: ﴿لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾، أى لا تغنى عنها ولا تتحمل شيئاً من تبعاتها.

وإيراد النفس منكراً مع تنكير الشئ لإفادة التعميم وأن المراد كل نفس وكل شئ، دون استثناء لأحد عظيمهما كان أو حقيراً، ودون نظر إلى وقوع الذنب صغيراً كان أو كبيراً،

وما أعظم هذا المبدأ الإسلامى الحميد أن تتحمل كل نفس تبعاتها بعد تحقق الإرادة لها والتمييز، وهذا هو مبدأ العدالة المطلقة وهو نعمة من نعم الله على الإنسان الذى ميزه الله بالعقل، وهو مظهر من مظاهر تكريمه بين مخلوقات الله، ويسقط من وراء ذلك كل مبدأ مضلل يقوم على تحميل الإنسان غير ما جنت يداها.

ونجى بك إلى المبدأ الثانى، وهو: عدم قبول شفاعة الشافعين للنفس الكافرة، وقد عبر عنه الحق سبحانه بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾.

الشفاعة - مأخوذة من الشفع - وهما الاثنان، نقول: كان وتراً فشفعته شفعاً، وشفعت الناقة شفعاً، وناقة شافع: إذا اجتمع لها حملٌ وولد لها رضيعٌ، وهما رضيعاً، وهما رضيعاً، وهما رضيعاً، ويقال: ناقة شفوع: أيضاً - وهى التى تجمع

بين محلبين فى حلبة واحدة. أخذت الشفاعة للنفس الإنسانية من معنى الجمع بين اثنين، فالمستشفع يضم غيره إليه فى طلب النصرة أو المساعدة، يقال: استشفعته إلى فلان: إذا سألته أن يشفع لى إليه، وتشفعت إليه فى فلان فشفعنى فيه: أى قبل الشفاعة منى.

وعموم النفي فى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾ مخصص بالنفس الكافرة - بإجماع المفسرين - بدليل قوله تعالى فى وصف الكافرين ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، أما النفس المؤمنة فتتأهلها شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين.

والمبدأ الثالث: وهو عدم قبول الفدية قد عبّر عنه بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾.

ورد فى كتب اللغة: (العَدْل) مضبوطاً بفتح العين وكسرهما فيقال: عَدْلٌ، وَعَدِلٌ، ويفرق بالحركة بين كل معنى منهما حسب الوارد عن العرب.

فالعَدْل - بفتح العين - هو الفداء، و(العَدِل) - بكسر العين - : المثل، وهو الذى يماثل الشئ فى الوزن، والقدر. وورد عنهم استعمال العَدْل والعَدِل فى المثل مع التفريق بين معنيين، فيقال: عَدِلَ الشئ - بفتح العين - للذى يساويه قيمة وقدرًا سواء كان من جنسه أو من غير جنسه، ويقال: عَدِلَ الشئ - بالكسر - للذى يساويه فى جرمه إذا كان من جنسه فقط.

كما ورد - قليلاً - استعمال العَدِل - بالكسر - فى معنى الفداء الأكثر استعماله مع الفداء بفتح العين (العَدِل).

ولعلنا ندرك بذلك أن التفريق بين المعانى بالحركات من خصائص اللغة العربية، وينبغى على المتحدث العربى أن يلحظها ولا يخلط بينها.

والمراد من الآية: عدم قبول تقديم أى شئ

عوضا عما جناه الإنسان أو فداء ينقذه من المؤاخذه والجزاء.

والمبدأ الرابع: هو إخفاق كل سعى لإنقاذ النفس الجانية - بالنصرة أو المساعدة - وقد عبّر عنه بقول الله تعالى: **«ولا هم ينصرون»**.

النصر والعون يلتقيان على معنى واحد هو المساعدة إلا أن العون والنصر يختص بدفع الضرر، وهنا تبقى للنصرة من أي معين أو نصير على الإطلاق فلا مخلص لها مما سيحل بها يوم القيامة من عقاب على ما اكتسبت.

ولسائل أن يسأل: لم قال **«ولا هم ينصرون»** - بالجملة الإسمية مصدرة بالمبتدأ مخبرة عنه بالفعل المضارع دون أن يقول «ولا ينصرون» بالجملة الفعلية المناسبة لنوع الجمل السابقة المعطوفة عليها في قوله **«ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل»**؟

فتقول: إن التعبير القرآني له دلالة القوية، فتقديم الضمير «هم» وجعل الفعل المضارع المبني للمجهول «ينصر» مسندا إليه وإلى ضمير الجماعة «الواو» يؤدي إلى تكرار الإسناد مرتين، وهذا يفيد التكرار في نفس النصرة أيضا، فكأنه قال: **«ولا ينصرون ولا ينصرون»**، وفي ذلك من المبالغة والتأكيد مالا يتحقق بالتعبير بالجملة الفعلية الواحدة «ولا ينصرون»، وما أبرع القرآن الكريم في تلك الدقة اللغوية!! ولك - أيها القارئ الكريم - أن تسأل: إلى أي نفس تعود الضمائر في «منها» من قوله **«ولا يقبل منها»** ولا يؤخذ منها، وفي قوله **«ولا هم ينصرون»**؟

فتقول - وبالله التوفيق -: لقد جاءت هذه الضمائر في صورة تجعل المعنى قابلا للتنوع والتجدد، فيمكن أن نربطها بالنفس الجانية فهي التي تبذل المحاولات والمساعى بوساطة الشفعاء أو بتقديم الفدية أو طلب النصرة والعون.

ويمكن أن نربط الضمير في **«ولا يقبل منها شفاعاة»** بالنفس التي تتصدى للدفاع والنصرة، فالنفس الجانية تتدخل بالشفاعة للنفس الجانية فلا تقبل شفاعتها.

ونربط الضميرين الآخرين في **«ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون»** بالنفس الجانية، لأنها تحاول تقديم الفداء فلا يقبل وتطلب النصرة فلا تنصر.

وهكذا يرجع كل ضمير إلى ما يناسبه. ولسائل أن يسأل: لم جاء الضمير «وهم» في

قوله تعالى: **«ولا هم ينصرون»**، جمعا مع أن النفس التي يعود عليها مفردة في الآية ولم أتى به ضميرا للمذكر مع أن النفس مؤنثة؟

فتقول: جاء بضمير الجمع لأن كلمة (نفس) الواردة في الآية نكرة وقعت في سياق النفي فتمع فالمراد بها جنس الأنفس فصح عود الضمير عليها جمعا.

وجاء الضمير «هم» مذكرا - وإن كانت النفس مؤنثة - لأن المراد بها بنو الإنسان ذكورا وإناثا، ومن عادة اللغة العربية تغليب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا.

وترى أن العبارة القرآنية صورت مواقف ومشاهد متعددة الأشكال والأحوال وبدأت المحاولات التي حكم عليها أن تبوء بالفشل في الدفاع عن الجاني وهي بذلك تكشف عن خطورة ما تقع فيه النفس الجانية من هلاك محقق ودمار مؤكد لاشك فيه لفداحة كفرها وسيء أعمالها.

ثم قال الحق سبحانه: **«وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم»**.

في هذه الآية الكريمة وما بعدها بدأ القرآن الكريم يسوق بعض النعم التي أنعم الله تعالى بها

على اليهود السابقين وتلك النعم سقت في إجمال لمجرد التذكير بها فقط، فقد حوت السور المكية التي نزلت قبل سورة البقرة تفصيلات كثيرة لهذه النعم.

والخطاب القرآني - هنا - لليهود المعاصرين للنبي ﷺ لتذكيرهم بما أنعم به على من سلف من آبائهم في العصور الماضية لعلهم يجدون فيها عبرة لهم في الاهتداء إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وإذا قيل: كيف يخاطب الله تعالى غيرهم أنعم عليهم فنقول: إن ذلك لاتصال أجيالهم بعضها ببعض، وصفات أولهم هي صفات آخرهم، فطبائعهم واحدة في كل عصر وزمان، ولا عهد لهم ولا ذمة، وهم بذلك عبرة للناس - بعامية - والمسلمين - بخاصة - حتى لا يسلكوا ما سلكوا من طرق معوجة فيهلكوا.

وخطاب الوجود بما أنعم به على من سلف له نظائر في القرآن الكريم فقد ذكر الله تعالى البشرية بنجاة نوح ﷺ والمؤمنين معه من الفرق بالطوفان، إذ هي نجاة لذريتهم من البشر فقال تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ أي حملنا آبائكم.

والآية التي معنا - ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون الخ﴾ - تتحدث عن أمرين:

الأول: تذكير اليهود المعاصرين للنبي ﷺ - ومن بعدهم - بتنجية من سلف من آبائهم - في عهد موسى ﷺ - من بطش فرعون وقومه بهم وسومهم سوء العذاب على تلك الهيئة التي فصلتها الآية من ذبح الأبناء واستحياء النساء.

الثاني: بيان مافى هذا البطش وتلك التنجية من الابتلاء والاختبار لعلهم يؤمنون.

فالأمر الأول - وهو التنجية - عبّر عنه بقوله تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾.
أصل التنجية: الإلقاء على نجوة من الأرض، -

وهي ما ارتفع منها - ليسلم المنجى من الآفات ثم اطلقت التنجية على كل فوز وخروج من ضيق إلى سعة وإن لم يلقِ الفائز بالنجاة على نجوة.

والآل: أصله الأهل فأبدلت الهاء همزة لقربها منها في المخرج ثم أبدلت الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح الهمزة قبلها، بيد أن الال تختص بالاستعمال في مجال التشريف والسيادة، للأشخاص كالأنبياء والملوك وغيرهم من ذوي القدر في قومهم، فيقال آل النبي - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

وكما تضاف آل إلى الأشخاص تضاف إلى البلدان فيقال: آل مكة، وآل المدينة، وتضاف إلى الظاهر والضمير فيقال: آل محمد، وصلى الله على آل.

وقيل: آل فرعون لأنه رئيسهم في الضلالة والغواية.

وفرعون: اسم ذلك الملك الجبار العاتى ممن ولى حكم مصر قيل إن فرعون لا يعرف له تفسير بالعربية وظاهر كلام الجوهري في الصحاح أنه مشتق من معنى العتو فإنه قال: كل عات فرعون، والعتات: الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أى دهاء ومكر.

والمراد من آل فرعون: قومه وأتباعه.
ومعنى: نجيناكم من آل فرعون: أخرجناكم وخلصناكم مما نزل بكم من بطش فرعون وقومه.
ثم شرحت الآية مظاهر هذا البطش باليهود بالتعبير عن:

١ - سومهم سوء العذاب.

٢ - وذبح الأبناء.

٣ - واستحياء النساء.

في قوله تعالى: ﴿يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾، فسومهم سوء العذاب يقول عنه الحق تبارك وتعالى:

«يسومونكم سوء العذاب».

السوم له ثلاث معان:

الأول: طلب الشيء، وإرادته، يقال: سام السلعة إذا طلبها وأقبل على شرائها.

الثاني: الإيقاع والإنزال والإلزام بالشيء، يقال: سامه الخسف: إذا أنزله به، وألزمه إياه، وحضه بويله وثبوره وعليه قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفاً
ربح من يمشي في هذا الجحيم
أبينا أن نقر الدل فيما
ويكل من هذه المعاني - وبها مجتمعة - يمكن تفسير العقل «يسومون» في الآية.

ففرعون وملؤه كانوا يريدون إيذاء اليهود ويتعمدونهم ويقبلون عليه عن رغبة جامحة في التكيل بهم.

وفرعون وملؤه أوقعوا باليهود الويلات والآلام والخسف دون ما هوادة أو رحمة.

ولم يكفوا عن تعذيبهم بل استمروا عليه زمناً طويلاً حتى كادوا يقضون عليهم أو يفنونه وهذا لكثرة ما أعملوا القتل في ذكورهم.

فهذا الفعل «يسومون» - كما ترى على اختصاره يقوم مقام حديث طويل عن قصة بطش فرعون وقومه باليهود وهو يغنى عن ذكر هذه المقالة العريضة التي تستغرق في أدائها وقتاً طويلاً.

وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن اللغوي المتمثل في هذا الإيجاز الجامع للمعاني الكثيرة في اللفظ القليل، وهو جانب تكشف عن أسرار معرفته الاشتقاق اللغوي، وتجليه صلته بحياة العرب أصحاب تلك اللغة العريقة الدقيقة.

و«سوء العذاب» مفعول ثان للفعل «يسومون». والسوء: ما يغم الإنسان من أمر دنيوي أو أخروي، وهو في الأصل مصدر مؤنثه: «السوأي» كما في قوله تعالى: «وأساءوا السوأي».

ولسائل أن يسأل، لم ذكر السوء في الآية مع أن السوء قد لا يقتضي بالتعاليق

العذاب كله سيئ؟ فنقول: المراد بالسوء - هنا - ما يفيد شدة الشناعة والفظاعة للعذاب الذي نزل باليهود فهو نوع خاص من العذاب أقبح وأشد من سائر أنواعه الأخرى التي تحل بغيرهم.

والعذاب الذي نزل بهم من فرعون وملئه كان - بلا ريب - شديداً إلى تلك الدرجة التي عبر عنها النص القرآني بقوله تعالى: «سوء العذاب» فقد سخر أقوياءهم في الأعمال الشاقة مثل قطع الأحجار، وبناء القصور، وطرق الحديد ونحو ذلك كما امتهنت نساؤهم فيما يشق عليهم ويتبدل من أعمال، أما ضعفائهم فكانت تضرب عليهم الجزية.

ومما يتصل بأمر التنجية - أيضاً - قوله تعالى: «يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم».

قيل: إن فرعون أخبر أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيكون على يديه خراب ملكه، فشرع - لذلك - في قتل الصغار من الذكور وكل غلام يولد في بني إسرائيل، واستبقى الصغيرات والمولودات من البنات حتى كاد ذلك يؤدي إلى فنائهم، والقضاء عليهم.

والذبح - في الأصل - الشق، فإذا جاء السيل وفخذ في الأرض ما كان كالشبر ونحوه سمي مذبحاً.

والمراد هنا بذبح الأبناء: إراقة دمائهم وإزهاق أرواحهم.

ويذبحون - بتشديد الباء المكسورة - هي قراءة الجماعة وهي أقوى من «يذبحون» - بفتح الباء وتخفيف الباء - فتضعيف عين الفعل يفيد التكثير، وهو هنا يدل على كثرة ما كان يحدث من قتل الأطفال.

وقد يسأل سائل: لم قال: «يذبحون» من غير حرف عطف يربط هذه الجملة بما قبلها مع أن مثل ذلك العطف ورد في مثل هذا المقام في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام في سورة إبراهيم: «وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ

أخرجكم من آل فرعون ولما أخرجكم من آل فرعون ولما أخرجكم من آل فرعون

أنجاهم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم» إبراهيم: آية ٦. فنقول - وبالله التوفيق - جاز الإتيان - هنا - بالفعل «يُذَبِّحُونَ» دون عاطف على ما قبله «يسومونكم» لأنه تفسير لبعض ألوان العذاب التي حلت بهم على حد قوله تعالى: «ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة».

ويجوز الإتيان بحرف العطف - كما ورد في سورة إبراهيم - من باب تعداد المحن التي حلت باليهود استجابة لقوله تعالى لموسى - قبل ذلك -: «وذكرهم بأيام الله»، على أن يكون من باب عطف الخاص على العام فسوم العذاب - عام - والذبح - خاص - فقد مسهم - دون ريب - صنوف أخرى من العذاب غير الذبح لا الذبح وحده، فصح العطف. واستحياء النساء معناها: استبقاؤهن على الحياة وذلك وإن بدا أنه عفو عنهن، ونجاة من القتل فإنه كان محنة لهن وعذابا، فاستبقاؤهن كان من أجل امتهانهن في الأعمال الشاقة.

وعبر بالنساء عن البنات الصغيرات باعتبار المال وأنهن يكنرن فيصرن نساء. والأمر الثانى الذى تناولته الآية هو الابتلاء والاختبار بما حل باليهود من بطش فرعون وإنقاذهم منه. وعبر عنه بقوله تعالى: «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم».

والبلاء، والإبلاء، والابتلاء، مصادر أفعال ثلاثة استعملت كلها فى الخير والشر، يقول: بلاء يبلوه، وأبلاه يبلّيه، وابتلاه يبتّليه.

لكن الأرجح استعمال (بلاء) فى الشر كما قال تعالى «ونبلوكم بالشر والخير فتنة»، فقدم البلاء بالشر على البلاء بالخير - واستعمال (أبلاه) فى الخير أكثر كما قال تعالى: «وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا»، وكما قال الشاعر:

جزى الله الإحسان ما فعلا بكم

وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو واستعمال (ابتلاه) فى الاختبار والامتحان أكثر

أيضا كما قال تعالى: «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمنى وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهاننى».

والله تعالى يبلو عبده بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره وبالصنع الجميل ليمتحن شكره.

والبلاء - فى الآية التى معنا - يحتمل الأمرين معا: النعمة والمحنة، فإذا أريد به تسلط فرعون وقومه علمتهم اليهود بألوان العذاب والذبح والامتحان - فهو المحنة، وإذا أريد به تنجيتهم ببعث موسى ﷺ، وتوقيفه لتخليصهم من فرعون وقومه فهو النعمة.

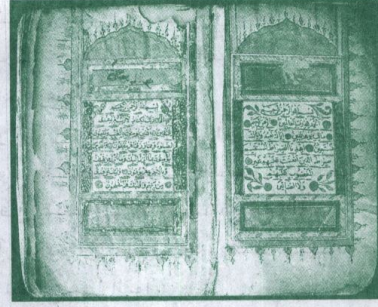
والأرجح وإرادتهما معا، وعلى هذا فالإشارة فى «ذلكم» يمكن أن ترجع إلى الذبح ونحوه وهو شر مكروه ويمكن أن ترجع إلى التجية وهى خير محبوب، ويمكن أن يرجع إلى مجموع الأمرين من الذبح والتجية.

وهذا يكشف عن سر دقيق من أسرار التعبير القرآنى الذى يستعمل اللفظ الواحد الشامل لأكثر من معنى حتى يؤدى المقصود بكل شموله واتساعه، فالغيرة - حقا - متمثلة فيما حل بهم من ألوان العذاب التى كانت اختبارا لهم، وفيما ترتب عليها من تنجية الله تعالى لهم من هذه الشرور.

وجاءت كلمة «بلاء» نكرة لتفيد التفخيم وتبين أن هذا الابتلاء بقسميه كان عظيما وأمرًا كبيرا ينبغى التنبيه له والاعتبار به، مما كان يقتضى شكر النعم باهتدائهم إلى الاستجابة والاتجاه إلى صراط الله المستقيم، وإن كانوا لم يوفقوا لذلك لطبيعتهم الكافرة وسلوكهم الشائن.

وفى هذا تنبيه للناس جميعا - والمسلمين - بخاصة - ألا يسلكوا مثل ما سلك اليهود من عدم الاستجابة والشكر، فكل من تصيبه سراء أو ضراء عليه شكرها فهى اختبار وابتلاء ينبغى أن يستجيب له من تنزل به أو تصيبه.

منهج القرآن في الدعوة إلى الله ومحاورات الخصوم [٢]



د. عبد العظيم المطعني

ولخطورة هذه القضية، وانتشارها بين مشركي العرب، وقف القرآن أمامها موقفا طويلا لم يقف مثله مع قضية أخرى من قضايا الدعوة ومشكلاتها.

وفي منهج القرآن في محاورات الخصوم سمة جديرة بالذكر، ولفت الأنظار إليها، وهي: أن القرآن إذا تصدى لدعوى باطلة يدعيها خصوم، فإنه يعتمد أولا لتصوير تلك الدعوى تصويرا أميناً، ويذكر مقولة مدّعيها، والشبهات التي استندوا إليها في اعتقادهم إياها، وكل ما بنوها عليه من عناصر، بحيث لا يترك من مقولاتهم شيئاً له صلة بقصور تلك الدعوى، قويا كان ذلك الشيء أو ضعيفا.

ثم يكرّ عليها كراً أو كرات: ناسفا شبهاتهم، ومبطلا تصوراتهم وواضعا الحق الذي يتبناه موضع الباطل الذي نعقوا به ويحسم المعركة بكل قوة في أقصر ما يمكن من البيان والزمان وله مع ذلك عدة محاور - يدير من خلالها حواراً مع الخصوم - كل محور يؤدي إلى المطلوب - وهو نصرة الحق على الباطل، بوسائل إقناعية لا تقبل الجدل.

ومن تلك المحاور:

● ضرب الأمثال من أنفس المخاطبين:

تقدم أن اعتقاد مشركي العرب في الأصنام لم

القضية الثانية، التي واجهها الخطاب القرآني في مكة المكرمة - «بيئة القرآن الأولى» قبل الهجرة - هي قضية التوحيد، وما نشأ حولها من إشراك، حيث اتخذ خصوم الدعوة الأصنام آلهة من دون الله، أو معه، وهي ظاهرة قديمة عرفها التاريخ النبوي من عصر نوح ﷺ، واستفحل خطرهما في عصر أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ.

ولما بعث الله محمدا ﷺ كانت أم القرى تكتظُّ بالأصنام والأوثان، ويمكن القول: إن عبادة الأصنام بلغت في عصر الرسالة الخاتمة مآلها تبلغه من قبيل، وغنى عن الذكر أن الكعبة وحدها كان يحيط بها أكثر من ثلاثمائة صنم، بخلاف ما كان في البيوت من أصنام أخرى.

لذلك كانت هذه القضية - قضية التوحيد، وتعدد الآلهة - أضخم قضية واجهها القرآن في مكة، وبخاصة في السور التي تلي السور القصيرة في المصحف، وفي ترتيب النزول.

يَكُنْ بديلا عن الله عزوجل، بل جعلوا منها شركاء لله في النفع والضرر، أو واسطة بينهم وبين الله، مع إيمانهم بالله عزوجل.

وهذا اعتقاد باطل، والقرآن حين تصدى له لبيان بطلانه، لم يصور ذلك البطلان في أسلوب تقريرى خال من الدليل، بل لم يذكر أن هذا الاعتقاد باطل، وإنما أثبت بطلان ذلك الاعتقاد من خلال مثل بياني بلاغى، ضربه لهم، ثم تركهم ليدركوا - هم من تلقاء أنفسهم - بطلان اعتقادهم، وليكونوا - هم - الحاكمين عليه بالبطلان سواء أقرؤا به واهتدوا، أو عاندوا وضلوا.

فإن أقرؤا واهتدوا فلأنفسهم أرادوا الخير، وإن عاندوا وضلوا فقد قامت عليهم الحجة، وظلموا أنفسهم ولم يظلمهم الله. وهذا المثل تراه في سورة الروم، وفيه يقول الحق عزوجل: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ الروم: آية ٢٨.

الفكرة التي يتصدى لها القرآن في هذه الآية: جعلهم الأصنام شركاء لله - سبحانه - في النفع والضرر والعبادة، فساق الله لهم هذا المثل في أسلوب الاستفهام الإنكارى، وسألهم قائلًا: هل لكم يامعشر الأحرار - من رجالات قريش - هل لكم من عبيدكم الذين تملكونهم شركاء في أموالكم، يتصرفون فيها مثل تصرفكم، وتخافون إذا تصرفتم أنتم في أموالكم من عبيدكم أن يعترضوا عليكم، كما يخاف الشريك منكم - يا معشر الأحرار - من شريكه الحر مثله إذا تصرف في مال هو شركة بينهما بدون علم أو إذن ذلك الشريك؟

المثل - كما ترى - منتزع من أحوال المخاطبين، والجواب كذلك منتزع من أحوالهم، وهم يعلمون أن عبيدهم لا يملكون من أمور أسيادهم شيئًا يقرون بهذا الواقع المحسوس.

إجابتهم لن تكون إلا بنفى أن يكون لهم من عبيدهم شركاء، وكيف يحكمون العبيد في شئونهم وهم أسيادهم ومالكوا رقابهم.

هذا هو المعنى الذى تسلل القرآن من أجله إلى خفايا نفوسهم ليثيره فيها. ويتبين لهم خطأ اعتقادهم في الأصنام - نافعة ضارة - مع الله. والقرآن يريد أن يقول لهم، وقد تهيات مشاعرهم لسماع هذا القول:

إذا كنتم يا معشر الأحرار تستكفون بكل عزة وقوة أن تجعلوا عبيدكم شركاء لكم في أموالكم، وهم مخلوقون مثلكم، وتحدرون من أصل واحد (آدم - حواء) فكيف ساغ عندكم أن تجعلوا الأصنام - ومادتها مخلوقة بقدرته الله - شركاء لله في ملكه، والله هو خالقها؟!

إن القرآن الحكيم، ببيانه المعجز، وبلاغته العالية جعل الخصوم - هم الحكم - من خلال سوق هذا المثل الحكيم، فعليهم - سواء أنصفوا في الحكم أو لم ينصفوا - أن يعلموا أن دعوى شريكة الأصنام باطلة، وفي هذا إلزام لهم بالحجة، ولله المثل الأعلى، ولم يكتف القرآن بهذا القدر من الإلزام والإفحام، بل ختم الآية بمقطع فيه إلهاب وتهيج لأنفسهم للإقبال على الحق والإدعان له: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾.

أى إن كان هؤلاء الخصوم من العقلاء فليتخذوا من هذا المثل المضروب لهم من أحوالهم طريقا إلى الحق، الذى ليس بعده إلا الضلال.

الإشعار بالعجز:

ومن المحاور التى استثمرها القرآن في مواجهة دعوى الإشراك بالله إشعار من يدعونها بالعجز عن إيراد أى دليل عليها، إذ ليس لها في الوجود دليل، ومن يكلف بإيجاد المعدوم، ضاق به كل شيء، حتى نفسه تضيق عليه، وضيق النفس بصاحبها من أشد المحن القاتلة.

ترى ذلك في سورة الأحقاف الآية (٤)، وفيها

يقول الحق سبحانه: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾، يبدأ الإشعار بالعجز لمن جعل الأصنام آلهة مع الله، بهذا الأمر «قل».

وهو خطاب لمحمد ﷺ، ليواجه المشركين بالكلام المقول له من ربه، وهو: ﴿أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ والمراد بالاستفهام في «أرأيتم» هو استحضار صورة من ادعواهم شركاء في الذهن ليجرى حديث القرآن عنها - الآتي بعد - وهي حاضرة ماثلة في أذهانهم، لأن صرف الحديث إليها وهي حاضرة، أوقع في نفوسهم من صرفه إليها وهي غائبة.

والإشعار بالعجز، المسوق من أجله الكلام تدرج صعوداً أو هبوطاً في أربع مراحل:

الأولى: ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض؟﴾

إن المشركين جعلوا الأصنام شركاء لله في ملكه، ينفعون ويضررون، وكل شريك في شيء ينبغى أن يكون له حصة فيه، ومادامت الأصنام عند عابديها شركاء لله في الكون، فعلى من يدعى هذه الدعوى أن يحدد حصتها فيه.

ولنبدأ من الأرض، فأى جزء منها خلقتة الأصنام ياترى؟ ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾. والأمر في «أروني» للتعجيز، لأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا لأصنامهم جزءاً خلقوه - هم - من دون الله.

الثانية: أعجزتم يامعشر المشركين عن إثبات حصة لهم في الأرض فأمامكم السموات، هل تستطيعون أن تثبتوا لأصنامكم شركة فيها، أى شركة، ولو في حجم مثقال حبة من خردل.

ولكن كيف تستطيعون ذلك؟ وأنتم وأصنامكم لم تصعدوا إلى السموات؟ ألم يكن عجركم عن إثبات حصة لهم في الأرض، وأنتم فوق ظهرها - ومنكم من دفن في بطنها - ألم يكن هذا العجز

دليلاً على عجركم عن أن تثبتوا لهم شركة في السموات؟ يكفيني أن تتأملوا في أنفسكم وحاولوا أن تكونوا صادقين معها:

هل أنتم - فعلاً - مقتنعون بأن أصنامكم شركة ما - في الكون مع الله؟ لا تظلموا أنفسكم، فليس المقام مقام دعوى باللسان، ولكن مقام تصديق وإذعان، وهو - هنا - محال، محال.

الثالثة: الدعاوى تحتاج إلى أدلة تثبتها، فما دليلكم على مشاركة الأصنام لله في الكون؟ هاتوا أسانديكم المعتمدة، ائتوني بكتاب سماوى غير القرآن، نزل قبله، فيه دليل على صدق دعواكم. كتاب مُنَزَّل من السماء، لا مكتوب في الأرض، لأن الدعوى الصادرة منكم تتعلق بأمر سماوى إلهي، فهل عندكم كتاب من عند الله يصحح دعواكم؟ هذا محال، محال.

الرابعة: أعجزتم عن الإتيان بهذا الكتاب؟ نحن نخفف عنكم شيئاً فدعوا الإتيان بالكتاب، وائتوني بأثارة من علم يعتمد في هذا المقام. أثارة - أى أثارة - أليست هذه الأثارة خفيفة عليكم؟ ومع خفتها هي أثقل من رواسى الجبال، لأن هذه الأثارة لا وجود لها. والإتيان بغير الموجود، ليس في قدرة أحد، لا من الجن، ولا من الإنس، أليس كذلك؟

لقد أوقعتم أنفسكم في حرج قاتل بادعائكم هذه الدعوى، وليس من سبيل إلى خروج من ذلك الحرج إلا بترك هذه الدعوى، ووضع الأصنام موضعها من «الجمادية» و«العجز» وهذا هو المطلوب ثم يعود القرآن إلى إلهاب نفوس المخاطبين، وتهيجها بهذه العبارة.

﴿إن كنتم صادقين﴾ وهكذا - وضع - القرآن الشرك والمشركين في «مأزق» محكم النواخذ. لا منجى منه إلا بالإقبال على عقيدة التوحيد، إن أرادوا لأنفسهم خير العاجلة والآجلة. وإلا فما أسوأ مصيرهم بعد فوات الأوان.

القصة: وهى من أظهر المحاور التى أسهمت فى مواجهة دعوى الإشراك، وهى تحمل شحنات هائلة لتفسير الناس من شناعة الإشراك بالله، وتمهد لها الطريق الواسعة للخطو نحو عقيدة التوحيد التى فطر الله الناس عليها.

والقصص القرآنية، التى وظفها القرآن لتحقيق تلك الأهداف كثيرة، ومتفاوتة بين القصر والطول، والفردية والجمعية، ونكتفى فيها بالقصة الجمعية الآتية:

الأمم التى كذبت الرسل، واتخذت من دون الله أربابا، أمم كثيرة، ورسل الله كانت مهمتهم الأولى الدعوة إلى توحيد الله، ونبذ ظاهرة الإشراك وقد قص القرآن مصائر تلك الأمم، وكرر القصص عنهم مرات، مثل أقوام نوح، وإبراهيم، وموسى، وصالح، وهود، وشعيب وغيرهم وأن الله، أهلكهم بوسائل مختلفة، وأنه لم يهلكهم لمعاصى فرعية قابلة للغفران، بل بمعصية الكفر والإشراك بالله، وهى المعصية الوحيدة، التى لا يغفرها الله لفرد ولا لجماعة.

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ النساء: آية ٤٨. هذه الأمم ورد ذكرها فى الخطاب القرآنى مفصلاً: : أمة أمة كما ورد أحياناً مجملاً، ومن المجمل ما ورد فى سورة الفجر فى قوله تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾** إرم ذات العماد **﴿التي لم يخلق مثلاً فى البلاد﴾** وثمود الذين جابوا الصخر بالواد **﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾** الذين طغوا فى البلاد **﴿فاكثروا فيها الفساد﴾** فصب عليهم ربك سوط عذاب **﴿إن ربك لبالمرصاد﴾** الفجر: الآيات ٦ - ١٤. فقد سرد القرآن أخبار هذه الأمم الثلاث سرداً محكماً سريع الإيقاع مشيراً إلى جريمة كل أمة منها، ومعروف أن القرآن ذكر أخباراً مفصلة مطولة فى مواضع أخرى مرات، وأن هذه الأمم

كانت أمماً وثنية، تعبد أولياء من دون الله، وفرعون كان ينكر وجود الله، ويقول لقومه: **﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾**.

وأن عاداً أو ثموداً كذبوا الرسل، وعكفوا على عبادة الأوثان، هذا كله معروف.

لذلك كان الحديث عنهم فى سورة «الفجر» تذكرياً بما ورد فى القرآن مفصلاً عنهم: اشتركوا جميعاً فى الكفر بالله ورسله، واتخاذ الأولياء من دونه فصورت سورة «الفجر» مصيرهم فى هذه العبارة الرهيبة **﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾**.

وفى هذه العبارة من تهويل وتقطيع العذاب ما فيها، إنه عذاب صُبَّ عليهم كما يصب الماء، والماء إذا صُبَّ من فوق الرؤوس أحاط بالجسم كله، وفى تشبيه العذاب بالماء تهويل وتقطيع من جانب آخر؛ وهو وصوله إلى كل الأجزاء، بماله من خاصية التسرب والسريان فى كل اتجاه.

والقصة مذكورة إنذاراً وتحذيراً لمشركى العرب، إن هم بقوا على إشراكهم بالله.

وهكذا تتضافر هذه المحاور، وتتناصر، لتزيل كل العوائق التى تحول بين المخاطبين وبين الإيمان بوحدانية الله، لئلا يكون لهم على الله حجة.

تحقير الأصنام: وهذا محور له فعاليات شديدة التأثير فى محو ظاهرة الإشراك بالله،: لأن المشركين لا يتخذون من دون الله ولياً إلا على توهم عظمتهم، وحدوث النفع والضرر عنه أى: تتوفر فيه عناصر الرغبة فى الحصول على خير، وعناصر الرهبة من قدرته على إيقاع الشر.

فإذا كُشِفَ لمن اتخذوا أولياء من دون الله حقارة أولئك الأولياء وعجزهم التام عن إحداث الخير والشر، تولد عند عابديها الزهد فيها والإعراض عنها.

وهذا ما ركز عليه المنهج القرآنى فى مواضع متعددة من سوره وآياته، وذكرها كلها هنا غير

مستطاع: لهذا فإننا نورد منها نموذجا واحدا:
ففى سورة الحج الآية (٧٣) نقرأ قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ مَا اسْتَمَعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَأَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْزَهُ مِنْهُ ضَعْفُ
الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾.

هذا التمثيل يكشف عن الضعف المزرى لكل من
عدا الله، وما عدا الله هم عاجزون كل العجز عن
خلق وتكوين أحقر الموجودات، وهو الذباب، ولو
ناصر بعضهم بعضا، وهذا المخلوق الضعيف لو
اختلس منهم شيئا لعجزوا عن استرداده منه،
والأصنام وغير الأصنام فى هذا العجز سواء.
إذن فما أحق من يشرك بالله سواء.

سوء مصير المشرك: ومن المحاور المؤثرة فى
التفكير من الشرك سوء مصير المشرك، وقد صور
الخطاب القرآنى مصير المشرك فى صورة حسية
مرعبة، منها ما ورد فى سورة الحج الآية (٣١)
﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

صورة حية موحية، تقشعر منها الأبدان،
ويشيب من فظاعتها الولدان وهلاك محقق لا
محالة.

جسم مادي يسقط من السماء، فيتوزع أشلاء
صغيرة الحجم، يسهل على الطير التقاطها فى
الجو قبل أن تصل إلى الأرض، هذه صورة.

أما الثانية: فعلى تقدير بقاءه حيا، فالريح فى
انتظاره، وبعد انتهاء خريف السقوط، تحمله الريح -
ياويله - وتهوى به فى مجاهل الأرض فى مكان
مجهول، سحيق بعيد الغور.

فمن - ياترى - من العقلاء يرضى أن يكون هذا
مصيره؟ إذن فليبحث كل عاقل عن منجاة من هذا
المصير المؤلم، وطريق النجاة معروف.

هو الاحتماء بمظلة «التوحيد» الواقية من كل
سوء..

البرهان العقلى ومقدماته: لم نستقص فيما
تقدم كل المحاور التى أدار المنهج القرآنى من
خلالها حديثه عن الشرك والمشركون، بل بقى منها
الكثير، ومن ذلك الكثير البرهان العقلى العظيم،
الذى أقام صرح التوحيد على أنقاض الشرك،
نختم به هذه الجولة الحاسمة.

ففى سورة الأنبياء الآية ٢٢ ورد قوله عزوجل:
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، كل هذا
الملكوت يسير منذ خلقه الله على نظام بديع لا
يتخلف، وهذا دليل برهاني عقلى على وحدانية
الله فى ذاته وصفاته، وأفعاله، ولو تعددت الآلهة
لفسد هذا النظام شأن كل شئ فيه شركاء
متساوون فى الدرجة.

وفساد السموات والأرض معدوم. إذن فالله
واحد لا شريك له يفعل ما يشاء، وهو على كل
شئ قدير.

هذا هو منهج القرآن فى الدعوة إلى الله،
ومحاورات الخصوم فى قضية توحيد الله،
والانحراف عنه.

كلمات تصنع جملا، وجمل تصنع حوارا
وجدانيا، يقبل فيه المنهج القرآنى وجوه الكلام،
ودقائق المعانى، ويجلى الحقائق حتى وكأنها ترى
بالعين، لم يفرض على النفوس معانى من خارجها،
وإنما يسوسها فى لطف ودقة حتى يُبَصِّرُهَا بِالْحَقِّ
أين هو؟ والباطل أين يكون؟ وليختر كل إنسان
لنفسه ما يحلو له، ويوم القيامة ترى كل نفس بما
كسبت رهينة، فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

الاية

شعر: عمر موسى البرعى

وَبِفَضْلِهِ يَنْجُو وَيَصْلُحُ أَمْرُهُ
وَيَرَى مَقَامًا فِي الْحَيَاةِ يَسُرُّهُ
لَا شَيْءَ مِنْ هَوْلِ الصُّرَاطِ يَضُرُّهُ
رَبُّ الْعِبَادِ وَلَيْسَ يَقْضِي غَيْرُهُ
وَيَصَوْنُهَا الْإِنْسَانُ يَسْهَلُ أَمْرُهُ
وَيَحُبُّ بِهِ لِلدِّينِ يُرْفَعُ قَدْرُهُ
نَعَمَ الْجَزَاءُ وَقَدْ تَعَاظَمَ بِرُهُ
فِي الْخُلْدِ قَدْ بَهَرَ الْخَلِيقَةَ سِحْرُهُ
فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى وَيُبْنَى قَصْرُهُ
وَالْمَرْءُ يَرْفَعُهُ مَقَامًا صَبْرُهُ
لِلْعَالَمِينَ وَقَدْ تَقَدَّسَ سِرُّهُ
فَعَلَيْكَ بِالْخَيْرَاتِ يَفْدُقُ بَحْرُهُ
مَنْ يَنْشُدُ التَّقْوَى يُعْظَمُ أَجْرُهُ
بِسِوَاهُ حَقًّا مُسْتَحِيلُ دَحْرُهُ
أَخْشَى عَلَيْكَ بَأْسَ يُصِيبُكَ جَمْرُهُ
هُوَ خَيْرُ كَنْزٍ لَا يَفُوتُكَ تَبَرُّهُ
لَمَّا أَطْلَعَ عَلَى الْبُرْءِ رِيَّةُ بَدْرُهُ
يَنْفَحُ حَكَّ الْمَنْعِ الزَّكَايَةِ قَبْرُهُ
وَعَلَى هُدَاهُ قَدْ تَحَقَّقَ نَصْرُهُ
حَتَّى يَغْمَرَكَ بِاللِّطَائِفِ ذِكْرُهُ
إِنَّ الْمُهَيَّمِينَ لَا يُوحَدُ غَيْرُهُ

المرء بالإيمـان يعلو قـدره
وبه يعيش حـياته في مـأمن
وعلى الصراط يسير مـؤمن الخطأ
أما القضاء فإنه يقضى به
حيث الحقوق تصان من إهدارها
والمرء بالإيمان يقوى عزمه
ويغد في دار النعيم جزاؤه
وبه لباس نعيمه من سندس
وينال مـقامه بكل تحية
ويغوز بالرضوان في نعمائه
وبه أتى المخـتار في أنواره
فاهرع إليه وارشف من بحرهِ
وانشد به التقوى وقم بحقوقها
واهزم به جيش الفساد فإنه
واحد به سوء العذاب فإننى
والمرء بالإيمـان يحرز عـزه
أنعم به وينوره وبه ديه
وذو الحبيب به وعطر قبره
فالله قد نصر الحبيب بفضلهِ
واذكـر به الله القـوى مناجيا
واعبـد به الله الكريم موحدا

دراسات في السنة المطهرة



- الإسلام دين القصد والاعتدال
- علوم ومصنفات صاحب تدوين السنة في القرن الثالث
- الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ

الإسلام دين القصد والاعتدال

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري.

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي

إلى المعلوم وإلى أن يعرف الأسرار ويعلم الأسباب. كما أنه عرضة لأن يخطئ ويصيب ويواجه المخاطر ويتعرض للمغامرات إلى كل ما يلائم طبيعة الإنسان وما فطر عليه، فلا يمكن أن يكبل نشاطه الإنساني وتقيد إمكاناته البشرية واستعداداته بقيد ينافيها أو يعطلها.

الشرعية والفترة

ولقد قامت الشريعة الإسلامية على رعاية هذه الفترة في كل ما جاءت به من أحكام سواء في جانب العقيدة أو في جانب التشريعات العملية والخلقية وسائر العبادات متوخية في ذلك كله روح القصد والاعتدال بين الأطراف بما يلائم الطبيعة المزدوجة للإنسان فهي ترعى حق الجسم وحق النفس وتحفظ التوازن الذي لا بد منه بينهما. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: آية ٣٠.

الكلمات:

الرهط: ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، وقيل الرهط من سبعة إلى عشرة وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، وقال أبو زيد الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة الجمع لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء، وقال ابن السكيت والرهط ما فوق العشرة إلى الأربعين، وقال الأصمعي رهط الرجل وقبيلته الأقربون.

البيان:

المقدمة

لقد اقتضت حكمة الله أن يخلق الإنسان مركبا من روح وجسم حتى يكون صالحا للماديات والمعنويات، وعلى هذا النحو الجامع كان لا بد من الاعتراف بحقوق فطرته وميوله وعواطفه، وبأنه إنسان يشتهي أن ينعم بما في الحياة من متاع وزينة وطموح إلى المعرفة وإلى الانتقال من المجهول

كما وصفت الأمة التي شرع لها هذا الدين بأنها الأمة الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: آية ١٤٢، ومعنى كونها أمة وسطا أن جميع تشريعاتها والمنهج الذي اختاره الله لها لا قصور فيه ولا شطط، وهو الملائم لفطرة الإنسان المزدوجة والذي لا يستطيع العيش بدونه، ومعنى كونها شهاداء على الناس أنها بهذا المنهج والنموذج الفريد الأسوة لجميع شعوب الأرض ولغيرها من الأمم في أقوالها وأفعالها وما يعد صلاحا وما يعد فسادا وصدق الله العظيم: ﴿إِلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: آية ١٤، ومعنى كونه شهيدا على أمته أن الله عهد إليه بهذه الشريعة فأنزل عليه كتابها وجعل سنته ﷺ وطريقته مفتحها والفيصل الحاسم فيما عسى أن يكون من خلاف في محيطها والحكم الذي لا مبدل لحكمه ولا بديل له فيما شجر بينهما. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَأْمَنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَر بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: آية ٦٥، فهو ﷺ قد أئتمنه الله على هذه الشريعة يبلغها والمكلف ببيانها وتفصيل مجملها وتطبيقها وإعمالها في الحياة والاهتداء بتعاليمها في أى زاوية من زواياها أو مقصد من مقاصدها.

العقيدة الميسورة

ففي جانب العقيدة الإسلامية التي هي العماد الذي يقوم عليه بناء هذا الدين، لا يكلف المسلم بما يستعصى على الأفهام، ويشق فهمه على العقول ولكن يكتفى فيها الإيمان بأن الله سبحانه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل قبيح.

كما أن القواعد التي بنى عليها الإسلام دعوته

في توحيد العقيدة الدينية قد أقامها على أساس أن دين الله واحد وأنه أوحاه إلى أول رسول أرسله للبشر ثم والى إرساله على المرسلين تجديدا لما طمس من معالمه وبيانا لما غمض من أصوله وتصحيحا لما حرف من آدابه، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: آية ١٣، فالدين وضع إلهي أودعه الله في صميم الفطرة البشرية. والإسلام الذي أوحاه الله إلى خاتم أنبيائه محمد ﷺ هو ذلك الدين الأول أرسله الله به على فترة من الرسل إلى الناس كافة ليبلغهم هذه الحقائق ويرفع من بينهم الخلافات التي قضت عليهم بها أهواؤهم وليست من مقتضيات العقل ولا من حقائق العلم في شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ آل عمران: آية ١٩، وقال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران: آية ٨٢، ولأجل أن يؤكد هذه الوحدة الدينية في الأذهان كانت آية الإيمان مفصلة لا لبس فيها ولا تأويل، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمَثَلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧، وقد أمرنا سبحانه أن نفكر في آثار خلقه ونهانا أن نفكر في ذاته، ذلك أن آثار الله في الخلق يمكن أن نراها بعقولنا كما نراها بعيوننا وأن نسبح فيها السبح الطويل دون أن نخشى

كانت هذه الأسباب ليست من صنع فرد أو أفراد فإنها في ضوء هذا راجعة إلى الخالق جل وعلا. فالإنسان فاعل مختار ولكنه في الوقت نفسه مقيد بالظروف والأسباب والأحوال المحيطة به، ومن هنا حين نفعل الفعل نضرع إلى الله نسأله التوفيق.

العبادات وحكمها

وكما يقال هذا في العقائد الإسلامية يقال في العبادات والمعاملات، فالصلاة انقطاع عن المادة واتصال بالروح الأعلى ولكن في أوقات مناسبة بحيث لا ينخلع من حياته وأعماله ولا ينخرط فيها انخراطا كلياً فتظلم نفسه ويتبدل حسه والصوم ليس حرماناً كاملاً بالليل والنهار أو قصرًا على بعض المباحات دون بعض وإنما هو حرمان وقتي في ساعات محدودة بعدها يتناول ما يريد من المباح ويمارس ما أحل الله له فيجمع بهذا بين أشواق الروح ومطالب الجسد، وعلى هذا النحو كانت الزكاة والحج.

الدين المعاملة

وكان التشريع الحكيم في الأحوال الشخصية والمعاملات التي تدور عليها رعى الحياة من بيع وشراء وتحريم لكل ما يعوق مسيرة الحياة سوية ويحقق معنى الأخوة الإنسانية بين بنى الإنسان دون ميل إلى جانب التفريط أو جنوح إلى ناحية الإفراط وإنما كل ذلك وسط بينهما.

وفي ذلك يأتي قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وكلوا مما رزقكم الله حلالات طيبات واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون المائدة: ٨٧، ٨٨، وقد ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية بعض الأحاديث ومنها ما أخرجه

ظلاماً أو نخاف تيهها. أما ذات الله فهي فوق العقول التي ألغت التقدير والتكييف والتحديد والتشبيه. هذه العقيدة في جانب الألوهية كافية للإيمان، وقد ركب متن الشطط أقوام فحاولوا أن يخوضوا بعقولهم وحسبوا أنهم قادرون على إدراك ذات الله وكنهه، فربطوا بين الذات والصفات واختلفوا في أمر الصفات أهي عين الأولى أو غيرها وهل هي قائمة أو مستقلة عنها وفي أنها قديمة بقدمها أو كقدمها محاولين أن يتصوروا الألوهية تصورا ماديا مع أن حقيقة النفس البشرية لم تدرك ولم يُعلم على وجه يصح كنهها وحقيقتها.

كما زعم أقوام أن هذه الدنيا وليدة المصادفة ووقف كل منهما في جانب الألوهية على طرفي نقيض فقوم يؤمنون بالآله ولكنهم يقحمون عقولهم فيما لا طاقة لهم به من معرفة كنهه وحقيقته، وقوم يكفرون به وتعمى قلوبهم عن آياته وآثاره والقرآن الكريم يقول عز وجل فيه: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠، كما يقول: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الروم: ٥٠، إلى غير ذلك من الآيات التي تحض العباد على التفكير في خلق الله وآثاره.

ومن ذلك ما ذهب إليه البعض بأن الإنسان مجبور ظاهراً وباطناً وما ذهب إليه آخرون من أنه خالق لكل فعل من أفعال نفسه من دون الله وكل يؤول آيات الله بما يتفق ورأيه، والمنصف يستطيع أن يعلم الحق ويراه واضحاً في كتاب الله كما هو واضح في الواقع علماً بأن كل فرد يشعر في نفسه بأمرين: أحدهما: أنه فاعل متصرف يأتي الشيء بإرادته.

والثاني: أنه مع ذلك تحيط به ظروف قد تعطل إرادته فلا يتم تنفيذها، وقد تلائمها فتتم ولما

البخارى عن أنس قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وفي ذلك يقول شيخ المفسرين العلامة الطبري لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحله الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح ولو خاف على نفسه بإحلالها العنت والمشقة، ولذلك رد النبي ﷺ: «التبتل على عثمان بن مظعون فإن البر والفضل في فعل ما ندب الله عباده إليه وعمل به ﷺ وسنه لأمة واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ أن خير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ».

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ الأعراف: الآيتان ٣١، ٣٢.

وانطلاقا من المبدأ الإسلامي الذي يدعو إلى التوسط والاعتدال في كل شيء تأتي هاتان الآيتان تقرران هذا المبدأ الذي يؤدي به المرء حق الجسم والروح معا حين توحيان بإقرار حق الجسم في الأكل والشرب والملابس والطيبات من الرزق طبقا للناموس الذي يستقيم عليه شأنه فردا أو جماعة،

كما تقدمان بعض الأصول التي تؤدي إلى تيسير الحياة على الناس وإلى ترقية المستوى البشري في الجانب المادي والروحي، فقد ندب الله الناس بأن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد حيث كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عرايا - الرجال والنساء - في ذلك سواء وهم يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. ومن عجب أن نرى في العالم من يعتبر العري مظهرا حضاريا ويطفى على ذلك الفكر الخاطئ من المبررات أو الفلسفات الأئمة ما يبرر لهم هذا العمل الشائن الذي يتنافى وما خص الله به الإنسان من التكريم الذي كان أحد المظاهر التي واكبت أبا البشرية حين أخرج وزوجه من الجنة وبدت لهما سواتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وذلك يدل على أن طبيعة الإنسان تنفر من انكشاف السوءة وعلى أنهما كانا في الجنة عليهما ما يسترهما والجنة هي الدار المثلى فلو كان الأمتل بالإنسان العري فيها لكان آدم وزوجه فيها عاريين.

ولقد جاء في نفس السورة قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: آية ٢٦، والمعنى إنزال اللباس الذي يوارى السوءة والريش الذي هو زينة زائدة على ذلك ومتاع فوق السترة وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ المراد به تقرير الحقيقة في الجانب الروحي للإنسان ومقابلة الجانب الجسمي بها، وفيه إشارة لطيفة إلى أن للإنسان لباسين: اللباس الحسى الذي يوارى السوءات ويبدى المحاسن الجسمية، والآخر اللباس المعنوي الروحي الذي هو أعلى شأننا وأجل قدرا من اللباس المادي، وفي كل خير.

زينة الرجل والمرأة

وقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنْ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الزينة قدر من التجميل فوق أصل اللباس والخطاب عام يقرر معنى إنسانيا بشريا لا فرق بين جنس وجنس أو لون ولون أو جيل وجيل، وإذا كان الخطاب للنساء والرجال فإن زينة النساء قد حسمت المراد بها الآية الكريمة التي حددت موضعها وما يرى منها في قوله سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النور: الآية ٣١، وقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ الآية، وهو الوجه والكفان ذلك أن بدن المرأة كله عورة، وعورة المرأة الحرة في الصلاة جميع بدننها حتى شعرها النازل على أذننها لقوله ﷺ: المرأة عورة ويستثنى من ذلك باطن الكفين فإنه ليس بعورة بخلاف ظاهرهما وكذلك يستثنى ظاهر القدمين فإنه ليس بعورة بخلاف باطنهما - أما الرجل فإنه ما بين السرة والركبة، وقال الشافعية: حد العورة من الرجل والأمة هو ما بين السرة والركبة والركبة والسرة ليستا من العورة وإنما العورة ما بينهما - ولكن لا بد من ستر جزء منهما ليتحقق من ستر الجزء المجاور لهما من العورة - وحد العورة من المرأة الحرة - جميع بدننها حتى شعرها النازل على أذنيها ويستثنى من ذلك الوجه والكفان فقط ظاهرهما وباطنهما.

وقال المالكية: العورة في الرجل والمرأة بالنسبة للصلاة تنقسم إلى قسمين:

مغلظة ومخففة، فالمغلظة للرجل السوءتان، وهما القبل والخصيتان وحلقة الدبر لا غير - والمخففة له مازاد على السوءتين مما بين السرة والركبة، وما حاذى ذلك من الخلف.

والمغلظة - للحر: جميع بدننها ما عدا الأطراف والصدر وما حاذاه من الظهر - والمخففة لها هي الصدر وما حاذاه من الظهر - الذراعان والعنق والرأس - ومن الركبة إلى آخر القدم، أما الوجه والكفان ظهرا وبطنا فهما ليسا من العورة مطلقا، والعورة المغلظة كشفها كلا أو بعضا تبطل الصلاة، وأما العورة المخففة فكشفها كلا أو بعضا - لا يبطل الصلاة وإن كان كشفها حراما أو مكروها في الصلاة ويحرم النظر إليها - ويستحب فيها أن يعيد الصلاة مستورا في الوقت.

وتعيد المرأة الحرة في الوقت إن صلت مكشوفة الرأس أو العنق أو الكتف أو الذراع أو النهد أو الصدر - أو ما حاذاه من الظهر. أو الركبة أو الساق إلى آخر القدم ظهرا، لا بطنا وإن كان بطن القدم من العورة المخففة - وأما الرجل فإنه يعيد في الوقت إذا صلى مكشوف العانة أو الإليتين أو ما بينهما حول حلقة الدبر. ولا يعيد بكشف فخذه ولا بكشف ما فوق عانته إلى السرة - وما حاذى ذلك من خلفه فوق الإليتين.

وقال الحنفية: إذا انكشف ربع العضو من العورة المغلظة وهي القبل والدبر معا وما حولهما أو المخففة وهي ما عدا ذلك من الرجل والمرأة في أثناء الصلاة بمقدار أداء ركن بلا صنعة فسدت الصلاة، أما إذا انكشف ذلك أو أقل منه بصنعة فإنها تفسد في الحال مطلقا، أما إذا انكشف ربع العضو قبل الدخول في الصلاة فإنه يمنع من انعقادها.

أما المالكية فقالوا انكشف العورة المغلظة في الصلاة مبطل لها مطلقا.

وقال الشافعية: انكشف العورة في أثناء الصلاة مع القدرة على سترها مبطل للصلاة، أما

إذا كشفها الريح فسترها حالا من غير عمل فإنها لا تبطل وبغير الريح ولو بسبب بهيمة أو غير مميز فإنها تبطل.

وأما ستر العورة خارج الصلاة فإنه واجب عن نفسه وعن غيره ممن لا يحل له النظر إلى عورته إلا لضرورة كالتداوى، وأما ستر العورة عن نفسه وغيره في الصلاة فيرى الحنفية والمالكية أنه لا يشترط سترها عن نفسه فلو رآها من طوق ثوبه لا تبطل صلاته. وإن كره له ذلك فإذا كان المكلف في خلوة قال المالكية: يكره له كشف العورة لغير حاجة - والمراد بالعورة بالخلوة خصوص السوءتين والإليتين والعانة. فلا يكره كشف الفخذ من رجل أو امرأة ولا كشف البطن من المرأة.

أما عورة المرأة الحرة خارج الصلاة فهي ما بين السرة والركبة إذا كانت في خلوة أو في حضرة محارمها من الرجال، ويرى المالكية أن عورتها جميع بدننها ما عدا الوجه والأطراف، ويرى الحنابلة أن عورتها مع محارمها من الرجال هي جميع بدننها ما عدا الوجه والرقبة والرأس واليدين والقدم والساق، وفي حضرة نساء مسلمات يحل لها كشف ماعدا ما بين السرة والركبة فإذا كانت في حضرة رجل أجنبي أو امرأة غير مسلمة فعورتها جميع بدننها ماعدا الوجه والكفين فيحل النظر إليهما عند أمن الفتنة خلافا للشافعية فهما عندهم عورة، وأما عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سترته وركبته فيحل النظر إلى ما عدا ذلك من بدننه عند أمن الفتنة، والشافعية والمالكية قالوا: العورة بالنسبة للمحارم والرجال ما بين سترته وركبته وبالنسبة للأجنبية منه جميع بدننه إلا أن المالكية استثناوا الوجه والأطراف فيجوز للأجنبية النظر إليها عند أمن الفتنة وإلا منع، ويرى

الشافعية عدم النظر إلى ذلك مطلقا. وصوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ولو بتلاوة القرآن.

وقوله تعالى: عقب الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد يقول تعالى: **«وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»** كأنه يقول سبحانه أدوا حق بشريتكم بتناول الطعام والشراب، وكما يأمر سبحانه بالأكل والشرب في غير سرف فإنه كذلك يأمر باتخاذ الزينة في غير سرف أيضا.

القصد والاعتدال

والقرآن الكريم يأمر الناس بالاعتدال في ذلك وأمثاله من كل تصرف يتصل بغرض الإنسان واتجاهه فيقول: **«والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما»** الفرقان: آية ١٧، ويقول: **«ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»** الإسراء: آية ٢٩، ويقول: **«يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا»**.

وبمثل ذلك تأمر السنة والآثار المروية قال ﷺ: **«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير مخيلة ولا سرف»** مخيلة على وزن سفينة بمعنى الفخر والمباهاة، ويقول ابن عباس «كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة»، وتأتي الآية التالية وفيها يأمر الله نبيه بالنكير على من يحرم مالم يحرمه الله إذ الأصل أن كل شيء من الأشياء مباح للناس. وهذا مستمد من قوله تعالى: **«هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا»** البقرة: آية ٢٩، أي فلا يحل لإنسان أن يحرم شيئا إلا بدليل على تحريمه وكل مالم يتبين بالدليل أنه حرم واستثنى من أصل الحل والإباحة فهو باق على

حكمه الأصلي من هذه القاعدة، وقوله **«زينة الله التي أخرج لعباده»**، وإضافة الزينة إلى الله تشريف لها ورفعته لقدرها وقوله **«أخرج لعباده»** يراد بها لفت الناس إلى أنها مقصودة لله، ومقصود تيسيرها للناس بخلق موادها وتعليمهم طرق صناعتها والانتفاع بها، ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: **«والطيبات من الرزق»**، فإنه يفيد أن أساس حلها أنها طيبات لا ضرر فيها ولا ألم خصوصا وأنها صادرة من الله الرازق المنعم. كما أنه لا بأس بالتنافس في سبيل التقدم والرقى تنافسا شريفا من شأنه أن يرفع مستوى الناس ويحقق إلى جانب ذلك سموهم الروحي وكمالهم الخلقى، ومن قوله تعالى: **«وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين»** الإسراء: ٢٦، ٢٧، يجعل الإسلام الحق الأول في الصدقة لمن يعوله المتصدق والرسول ﷺ يقول: «أبدأ بمن تعول، بل جعل النبي ﷺ ما ينفقه المرء على نفسه صدقة وهو مقدم على غيره قال ﷺ لرجل جاءه فقال يارسول الله عندي دينار قال تصدق به على نفسك قال عندي آخر قال تصدق به على ولدك، قال عندي آخر قال تصدق به على خادمك، قال عندي آخر قال أنت أبصر به»، وفي رواية جابر أبدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فأهلكه فإن فضل عن أهلك شيء فلهذا قرابتك، فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا. أى لغيرهم من الفقراء والمساكين.. الخ، بل لقد جعل من الصدقة كل أفعال المعروف حيث قال كل معروف صدقة، وتحريم الصدقة على رسول الله ﷺ أساسه علو مرتبته عن مستوى المكلفين وغناه النفسى واعتماده القوى على الله عزوجل، ولأن الرسل يجب حمايتهم من أن تتوجه إليهم الظنون أو الشبهات، وقد

علمهم الله أن يقولوا لأقوامهم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الله، أما آل بيته ﷺ فلأن لهم سهما مقررًا من سهم ذوى القربى فهم به أغنياء فإذا منع هؤلاء سهمهم من بيت المال جاز صرف الزكاة والصدقة لهم.

إما إعلان الصدقة أو إخفاؤها فالإسلام يبيح هذا وهذا فقد يكون فى الإعلان القدوة للغير، وقد يكون الاسرار خيرا بعدا عن مظاهر الرياء أو كان المعطى ذا غنى وافترق أو ذا جاه نزلت به فاقه فهو بها فى حاجة، وظروف المجتمع فيها ما يدعو إلى هذا وذاك، وفى المسلمين من لهم الهمم العالية فلا يضيرهم أن يجودوا بكل مالهم كأبى بكر الذى أنفق كل ماله على رسول الله ﷺ قبل الفتح ومنهم الذين لا يجدون إلا اليسير من المال تجود به نفوسهم راضية فى سبيل الله وهم لا يملكون غيره، وفيهم يقول ﷺ سيق درهم مائة ألف درهم، إذ كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما ومنه قوله تعالى فى شأن الأنصارى الذى نزل عليه ضيف وليس عنده إلا قوته وقوت عياله فقال لامراته نؤمى الصبية واطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية: **«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»** الحشر: ٩، والرسول ﷺ يشى على مثل هذا الصنيع حين يقول مجيبا من سأله أى الصدقة أفضل يارسول الله: قال ﷺ **«جهد المقل»**.

والإسلام وهو يقيم بناء المجتمع يعمد إلى النواة الأولى التى يقوم بها البنيان فيعمد إلى تكوين لبنات الأسرة فيهن كلاً من الرجل والمرأة على طبيعة تحبب إليهما الاجتماع والتقارب وكان هذا إحدى آياته الدالة على قدرته وحكمته، قال تعالى: **«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»** الروم: ٢١.

الأعمال بالنيات

ومن الأصول المقررة في الشريعة الإسلامية التي تضمنها قول رسول الله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، وهي قاعدة ذات أثر فعال في التربية والتوجيه وفيها نفع عظيم للمجتمع. كما يرتبط بها الحكم الشرعي في الجمهرة العظمى من أفعال المكلفين، والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة متضافران على تقرير هذه القاعدة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ الزمر: ٢٤، وفي سورة محمد: آية ٢١: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وفي سورة البينة: آية ٥: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، هذه الآيات وكثير غيرها تشير إلى أن أساس الأعمال هو الإخلاص والنية الصالحة ومما ورد في السنة المطهرة تقريراً لأن المعول عليه هو القصد فإن كان خيراً فُعل وأُثيب عليه صاحبه وإن كان شراً رُدَّ على صاحبه وحمل ما فيه من وذر، وقوله ﷺ: الخيل لثلاثة هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وذر، فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة (المرج: المرعى وفيه الكأ والعشب والروضة ما أعد للترفيه والترفيه وفيه الماء والخضرة)، فما أصابت في طيلها من المرج أو الروضة (الطيل والطوله بكسر ففتح فيهما الحبل الذي يطول به للدابة لتمكن من الرعى مربوطة)، كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلتها فاستت شرفاً أو شرفين (استنت الفرس عمدت إقبالاً وإدباراً، شرفاً أو شرفين أى شرطين كانت آثارها وأرواثها حسنات له). ولو أنها مرت بنهر فشريت،

ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، ورجل ربطها تقياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي له وذر، فقد اعترفت الشريعة هنا بغرضين وأنكرت غرضاً. فالغرض الأول: موافق لمصلحة الجماعة العامة من حيث هو تبرع بأداة من أدوات الجهاد في سبيل الله ويترب عليه مصلحة خاصة للمتبرع فصلاح العامة سيعود عليه بجزء من الصلاح نفسه وماله وأهله وسائر مرافقه، وصاحب الغرض الثاني وإن كان فيه حظ من حظوظ الدنيا فإنه مقبول محمود لأنه مال ينميه ويبتغي به العفاف وعاقبة الدهر وأن يستره الله، أما صاحب الغرض الثالث فإنه يبتغي به غرضاً دنيوياً صرفاً لا تعترف به الشريعة ولا يرضى عنه الله فهو على صاحبه وذر.

وبهذا يتبين أن في وسع المؤمن أن يقصد مع تأدية العبادة مقصداً فيه حظ من حظوظ الدنيا غير منكر شرعاً كمن يقصد بالصلاة في المسجد رؤية جيرانه والأنس بهم، وكالصوم واتقاء مرض يتوقعه أو بطنة يتوقاها مع النية الحسنة، يقول ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»، وكمن يقصد في نية الحج رؤية البلاد أو التخفف من أعباء الحياة وربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الحج: آية ٢٨، وقال أيضاً: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: آية ١٩٨. وفي الفقه: يستحب الوضوء لمن أراد أن يبرد به صيفاً كما يستحب للإمام أن ينتظر بالركوع حتى يتيح إدراك الركعة للمسبوق كما يندب له أن يخفف في الصلاة من أجل الشيخ الكبير،

وأصحاب النية السيئة والمقاصد الملتوية يعكس الله عليهم ما قصدوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴿مریم: الآيتان ٨١، ٨٢، ويقول سبحانه: ﴿ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾.

وفى الفقه جلد القاذف لأنه لو ثبت على من قذفه لاستحق الحد فعوقب بأن حد هو، ومن قتل ليرث حرم الميراث، ومن طلق امرأته فى مرض موته ليمنعها الميراث ورثت. فقد قررت الشريعة بهذا الأصل مبدأ يقوم على أساس من العدل والوسطية ويؤدى إلى تقويم خلقى للأفراد يترتب عليه صلاح كبير للمجتمع وتخفيف كثير من مآرب أرباب المقاصد الفاسدة المفسدة.

هدى الإسلام فى الصدقة

ومن ذلك هدى الإسلام كتابا وسنة فى الصدقة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه وحكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» وهو إشارة إلى أن صاحب المال يبذل صدقته من ظهر الغنى وما يتخلف منه فهو يعطى الفضل منه، فالرسول ﷺ يرشد إلى أن ماهو المطلوب فى الصدقة - وأن أفضلها هو الذى لا يضار صاحب المال بها لا مادة ولا روحا- فعن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال يا رسول الله هذه صدقة ما تركت لى مالا غيرها فحذفه بها النبى ﷺ فلو أصابه لأوجعه ثم قال ينطلق أحدكم فينخلع من ماله ثم يصير عيالا على الناس»، وهذا أسلوب لا يصلح عليه أمر المجتمع.

ومن الأحاديث المشهورة حديث الصحابى الذى

استأذن رسول الله فى التصدق بماله كله فأبى ذلك عليه ولم يزل به حتى بلغ الثلث فقبل منه ذلك، وفى رواية وقال له إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكفون الناس، وهذا الهدى السوى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ الأنعام: آية ١٤١، فالزكاة فريضة واجبة يصفها القرآن بأنها حق الزرع، وقال المالكية إن الشارع إذا حدد قدرا فإن الزيادة على ما حدده تكون بدعة كالزيادة فى الزكاة والزيادة تارة تكون محرمة كالزيادة فى الصلاة وتارة تكون مكروهة كالزيادة فى الزكاة.

الأسرة فى الإسلام

والقرآن الكريم ينظر إلى سنة التزاوج والرباط بين الرجال والنساء على أنه أمر عظيم له خطره الكونى، هذا الرباط له قدره الكبير فى بناء الحياة السوية ولذلك سماه الله ميثاقا غليظا وأطلق عليه اسم الرابطة المقدسة، واتفقت كل الرسالات التى جاء بها الأنبياء فى ذلك، قال تعالى: ﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾، ومن الطبيعى أن يأتى التشريع الإسلامى متمشيا مع روح المحافظة على هذه الرابطة وهذا الميثاق الغليظ، ومن ذلك كان أبغض شئ إليه فصم هذه الرابطة وهذا الميثاق وإن كان أباحه حين لا يمكن معهما أن يقيما حدود الله. كما قرر العلماء أن المطلق على غير السنة المرسومة للطلاق آثم إذ أنه اتخذ آيات الله هزوا متلاعبا بكتاب الله، والرسول ﷺ يقول فى مثل هذا الطلاق غاضبا أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم، وكذلك يحرم على المرأة أن تسأل زوجها

الطلاق بغير سبب مشروع فقد روى أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»، وفي رواية أخرى أن المختلعات هن المنافقات وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريح الجنة أو قال رائحة الجنة».

وإذا شجر خلاف بين الزوجين فلتبعث حكماً من أهل الزوجة وحكماً من أهل الزوج محاولين إصلاح ما بينهما وإلا لجأ إلى فسخ هذه العلاقة إذا لم تكن هناك سبيل غير ذلك، وقد نهى الإسلام الأزواج أن يطلقوا أزواجهن إلا في طهر لم يقع فيه بين الزوجين اتصال، ومن ذلك أن الله تعالى جعل الطلاق المشروع على ثلاث مراحل وجعل للزوج أن يراجع زوجته في كل من المرحلتين الأولى والثانية. أما بعد الثالثة فقد حرم عليه امرأته إلا إذا تزوجت بغيره ثم طلقها، وفي ذلك كله تعويق للنهائية السيئة التي لا يحبها الله وهي انفصام عقدة النكاح.

وهذا هو السر في أن الشريعة الإسلامية تعتبر عقد النكاح عقد دوام واستمرار، وأن فسخه خلاف الأصل وحكمه الحظر، وأنه إنما يلجأ إليه حينما يكون استمرار الحياة الزوجية مستحيلاً ومفضياً إلى ما حرم الله وأن الرحمة في مثل ذلك تقتضي أن يمنح كل من الزوجين فرصة لاستئناف حياة جديدة صالحة، وقد يكون هذا هو السر في قوله ﷺ «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»، وفي قوله عز وجل في الحكمين «إن يريدوا إصلاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً» النساء: آية ٣٥، وقوله سبحانه: «وإن يفرقا يغن الله كلا من سعته» النساء: آية ١٣٠، وعلى ضوء ما تقدم

فإن الإسلام يرى الزواج سنة فطرية جعلها نعمة من نعمه العظمى على الناس، وإن الدين يعطي هذه الرابطة ما تستحقه من قداسة ورعاية، وأن الله يحب لهذه الرابطة الدوام ويكره أن تنفصم عراها فيضع الحواجز في سبيل هذا الفصم، وأنه إنما أباحه مراعاة لواقع الحياة في بعض الظروف ورحمة بالناس وتخليصاً للمجتمع من علاقة فاسدة لا خير فيها وتمكيناً لكل من الزوجين أن يجرب زوجية جديدة لعلها تكون أحسن حالا وأسعد لهما وأنفع للمجتمع.

أخطاء والرد عليها

وبعد.. فإنه بين يدي ما نواجه ويواجه العصر الذي نعيش فيه من افتراءات على الإسلام وتكرار لمبادئه وقيمه دون نظر إلى واقع كان قمة في الجهالة غيرته تعاليم هذا الدين كما غيرت ما كان يسود الحياة من سوء ما كان يطمس كل معالم الخير التي فطر الله الناس عليها حيث الحقوق المهذرة والعلاقات الممزقة والأرحام المقطوعة والحياة المليئة بالعداوات والفرع الذي يقض المضاجع ويروع الأمنين ويزلزل بنيان الثقة في النفوس فلا مكان لغير الأقوياء ولا كرامة إلا للقلب والاستعلاء.. إلى غير ذلك من كل ما يبده سياج الأخوة الإنسانية حتى أصبحت الأرض والناس فوقها كأنهم في غابة يحيون في ربوعها لا يهولهم شيء يكبح جماحهم ولا يجد امرؤ الأمن في محيطهم ورأينا فيهم من يقول:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا

ويشرب غيرنا كدرا وطنينا

ولما جاء الإسلام نشر في ربوع الأرض السلام بأنواعه. السلام النفسى بتلبية أشواق الروح

كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن والإنسان مأمور بأن يتجنب كل وصف مذموم وتجنبه بالتعري عنه والبعد منه وكلما ازداد منه بعدا ازداد من الوسط قريبا وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية البعد منهما فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان.

وقد مدح الله التوسط في مواضع كثيرة من القرآن وذم التطرف والانحراف والخروج عن الجادة وصور غير المتمكن من دينه بصورة من هو على حرف في قوله **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾** الحج: ١١، أى على غير تمكن منه، كما صور المتمكن بصورة من هو على صراط سوى لا عوج فيه ولا أمت، ووصف دينه وشريعته أنها هي هذا الصراط السوى إذ يقول: **﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** الأنعام: ١٥٢، بل وصف نفسه هو جل جلاله بأنه على صراط مستقيم إذ يقول: **﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾** هود: آية ٥٦.

هذا ولعل فيما سبق خلال ما جاء في هذا المقال متضمنا القصد والاعتدال والتوسط في كل ما يهم الإنسان دينا ودنيا ما يطمئن القلوب والعقول إلى أهم القضايا لدى المسلم وهو اعتقاد أن الإسلام دين ودنيا وأن دستوره تنزيل رب العالمين لخير البشرية في عاجلها وآجلها ودينها ودنياها وهو وحده العليم بما يصلحها وهو القائل: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾**، **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾** سورة ق: آية ٣٧.

ومطالب الجسد في معادلة حقيقتها تعاليمه الغراء، والسلام مع الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه حيث لا يرى العبد حيثما نهاء ربه ولا يفقده حيث أمره فهو إلى الخير سباق، وفي مضمار الشر أبعد ما يكون منه إنه ومن على شاكلته في مجتمعهم غرباء إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا، والسلام مع الناس فشعارهم الذي يتعاملون به من منطلق أنهم في المجتمع أعضاء مأيول عضوا منه فإن جميعهم يأمنون له يحب كل منهم لإخوانه ما يحب لنفسه فهو معهم كالبنيان يشد بعضه بعضا أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وفي سلام مع الحياة يبنون ولا يخربون ويشيدون ولا يهدمون ويصلحون ولا يفسدون، ويجمعون ولا يفرقون، ويتعاونون ولا يتنازجون، يسودهم الأمن والرخاء ويملاً قلوبهم الاطمئنان والسكينة والقناعة والرضى بما قسم الله لهم فهم بفضلهم في نعمة وغناء، قريرة أعينهم بما آتاهم الله من فضله وأولاهم من سابغ إنعامه وكريم إحسانه. قال تعالى: **﴿فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** كما وعدهم ذلك حين قال: **﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾** ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى **﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾** قال كذلك أتتك آياتا فتسىتها وكذلك اليوم تسى **﴿طه: الآيات من ١٢٣ - ١٢٦.**

خاتمة

إنه الدين الوسط الذى كانت به الأمة الوسط إنه دين الحياة الذى به تعمر الدنيا والآخرة وما أجمل قالة ابن الأثير يقول في بيان معنى الوسط!

علوم ومصنفات صاحبت تدوين السنة في القرن الثالث

العلوم التي صاحبت تدوين السنة
في هذا القرن:

كان القرن الثالث الهجري أزهى وأسعد
عصور السنة النبوية، في كثرة المحدثين
ومصنفاتهم النفيسة الخالدة، وقد
تخصت بحوث الأئمة وتدوينهم للسنة
إلى علوم كانت قمة ما وصل إليه الفكر
البشرى السوى وأصبح ما عرف في التاريخ
من القواعد العلمية السليمة للرواية
والأخبار، ليس بعدها مجال للتثبت
والتوثيق، وقد نسج على منوال علماء
الحديث كثيرون من علماء السلف في
سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ،
والفقه، والتفسير والأدب وغير ذلك.

أ.د / أحمد عمر هاشم

من حيث القبول أو الرد .
وقد نشأت أصول هذا العلم مع نشأة الحديث،
إذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت وينقدون
المرويات، وقد ازداد الحرص على هذا منذ وقوع
الفتن، فكانوا يقولون: سمو لنا رجالكم، كما زاد
الطلب أيضا عندما قام ابن شهاب الزهري بجمع
الحديث من حامله في الدفاتر والصحف، ثم بعد
ذلك كتب الإمام الشافعى بعض المسائل في كتابه:
«الرسالة»، و«الأم»، وكان أول من ألف في بعض
بحوث هذا العلم هو الإمام على بن المدينى، كما
تكلم في مسائله البخارى ومسلم والترمذى من
علماء القرن الثالث، وقام الترمذى فأشاع مسائل
هذا العلم وجمع بعضها في خاتمة جامعة.

وهذه العلوم هي ما تسمى: «بعلم أصول
الحديث» أو علم الحديث «دراية» ذلك أن علم
الحديث ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم الحديث رواية، وهو علم يعرف به
ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير
أو صفة، ونقل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة
والتابعين على الرأى المختار.

الثانى: علم الحديث دراية وهو علم بقوانين
يعرف بها أحوال السند والمتن، كما قال الشيخ عز
الدين بن جماعة: وقال شيخ الإسلام أبو الفضل
ابن حجر، أولى التعاريف له أن يقال: «معرفة
القواعد المعرفة بحال الراوى والمروى» (١)
والتعريفان يتفقان في البحث عن الراوى والمروى

١ - علم الجرح والتعديل: وقد أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره إلى نشأة علم الجرح والتعديل، أو علم ميزان الرجال، وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم من تعديل يزينهم، أو تجريح يشينهم، وتكلم في هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة إلى المتأخرين من العلماء، فمن الصحابة: ابن عباس ٦٨هـ، وعبد الله بن الصامت ٣٤هـ، ومن التابعين سعيد بن المسيب ٦٣هـ، والشعبي ١٠٤هـ.

أما ابتداء التصنيف ووضع الكتب في الجرح والتعديل، فلم يكن إلا في القرن الثالث، وكان من أوائل الذين ألفوا في هذا العلم: يحيى بن معين ٢٣٣هـ، وأحمد بن حنبل ٢٤١هـ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، والبخاري ومسلم وأبو داود السجستاني والنسائي، ثم تتابع التأليف بعد ذلك.. وألف كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعد بن البرقي الزهري مولاهم المصري الحافظ المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين.

وممن كتب في الثقات والضعفاء: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين، ومن نماذج التأليف في هذا النوع كتاب الضعفاء للإمام البخاري.

كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري

وقد نهج البخاري في كتابه على ترتيب الأسماء حسب حروف الهجاء مبتدئاً بحرف الألف حتى إذا ما استوعب من اسمه إبراهيم، جاء بباب من اسمه إسماعيل ثم بباب من اسمه إسحاق، ثم أيوب، حتى إذا ما انتهى من حرف الألف، جاء بباب «الباء» وهكذا إلى باب الياء مثال ذلك قوله:

فتدوين علوم الحديث إذاً ابتدأ في أبواب، وفي بعض أنواع منه أثناء المائة الثالثة، وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث في هذا العلم غير جامعة لكل أنواعه في كتب خاصة، ولا مستقلة قائمة بذاتها، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم وجمعهم للمرويات، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الإمام مسلم، ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات كما صنع الترمذي في آخر جامعه، وعنى الإمام البخاري فألف كتبه في التواريخ الثلاثة، الكبير والأوسط والصغير، كما ألف أيضاً في تواريخ الرواة الإمام محمد بن سعد (كتاب الطبقات الكبرى)، وخصص البعض مؤلفات في الضعفاء والعلل ككتاب الضعفاء للبخاري، وكتاب الضعفاء للنسائي، ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث وقواعد كثيرة لهم، يعرف بها المقبول والمردود، ففكروا في تخليصها في هذه الكتب وجمعها في علم خاص وتدوينها في كتب مستقلة، وكان ذلك في القرن الرابع. حيث نضجت العلوم واستقر الاصطلاح، فألف القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠هـ كتاب «المحدث الفاصل بين الراوى والواعى»، فجمع كثيراً من أنواع هذا العلم، وكان أول من وضع كتاباً مستقلاً في علوم الحديث، ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه، ثم صنف الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ كتابه: «معرفة علوم الحديث»، ولكنه لم يهذب ولم يرتب، ثم ألف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتاباً في أصول الحديث سماه (الجامع لأدب الشيخ والسامع)، ثم كثر التصنيف بعد ذلك وتتابع.

وقد تنوعت الدراسة في هذا الفن إلى علوم كثيرة من أهمها:

«إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصاري» يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهري وعمر بن دينار يكتب حديثه.

إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة المدني الأنصاري الأشهلي عن داود بن الحصين - منكر الحديث - وهكذا إلى أن انتهى من الأسماء جاء في آخر الكتاب بالكنى من الضعفاء مثال ذلك:

أبو الرجال: سمع النضر بن النضر عن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ «منكر الحديث عنده عجائب».

أبو ماجد الحنفى عن ابن مسعود، ويقال العجلي، قال الحميدى عن ابن عيينة عن يحيى هو منكر الحديث.

أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة المدني، وكان في غالب الأحيان يراعى الترتيب في أسماء الآباء. وقد جعل لكل حرف بابا، وتحت كل باب أبواب فرعية كل منها خاص باسم ومعنون به لكنه لم يلتزم بترتيب أبواب الأسماء على حروف المعجم فقدم من اسمه إسماعيل على من اسمه إسحاق، وطبع الكتاب بالهند سنة ١٣٢٥هـ.

كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي

رتب النسائي هذا الكتاب على حروف المعجم، وقسمه إلى أبواب جاعلا كل حرف من الحروف الهجائية بابا، فبدأ بالألف فالباء.. إلخ.

مثل: باب «إبراهيم» وذكر قائلا:

«إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعيف مدني»، «إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ضعيف مدني»، «إبراهيم بن عطية متروك الحديث واسطى»، «إبراهيم بن الفضل متروك الحديث مدني»، فإذا ما انتهى ممن اسمه إبراهيم انتقل إلى باب من اسمه «أبان». ثم إلى باب من

اسمه «أبي»، فقال: «أبي بن العباس بن سهل بن سعد الساعدي ليس بالقوى» ثم باب من اسمه «أيوب» ثم باب إسماعيل ثم باب إسحاق، ثم باب أسامة وغيره، ثم تتبع الحروف «بابا» «بابا» حسب ترتيبها الهجائي وهكذا.

وبعد حرف الباء وهو الحرف الأخير أتى بباب الكنى فقال: «أبو مطيع الخراساني ضعيف».. وفي آخر الكتاب ذكر اسم أم الأسود يروى عنها أحمد ابن يونس غير ثقة. فالإمام النسائي حين يقدم في هذا الكتاب الضعفاء والمتروكين لا يقدمهم أسماء مجردة وإنما يردفها بالرواة الذين أخذوا عنهم حتى يقف الباحث على مصدر الأخذ ثقة هو أم لا؟ أم نكر هو؟ أم متروك؟ وهكذا فيبين من روى عنه ويذكر حكمه عليه بالنكارة أو عدم الثقة وهكذا.. ويلاحظ أنه في ترتيب الأسماء رتبها حسب الحرف الأول منها فقط دون نظر إلى بقية الحروف وجعل لكل اسم بابا كصنيع البخاري، ولم يراع في الترتيب أسماء الآباء إلا قليلا، ومع ذلك فإن الباحث لا يلقى صعوبة في الكشف فيه، لأن اسم الراوى يذكر بخط كبير أول السطر ثم يتبعه ببيان حاله كما في الطبعة الهندية سنة ١٣٢٥هـ.

٢ - معرفة الصحابة: وهو من العلوم التي تناولها علماء القرن الثالث الهجري بالدراسة والتصنيف، وتعتبر معرفة الصحابة «فنا هاما من أجل فنون علوم الحديث».

وقد عنى به العلماء، في القديم والحديث، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهي: معرفة الحديث المتصل والمرسل.

قال الحاكم (٢): ومن تبحر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعي عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا، وربما رووا

التاريخ الكبير

حاول الإمام البخارى فى هذا الكتاب أن يقدم ما استطاع أن يستوعبه من رواة - الصحابة رضى الله تعالى عنهم - ومن بعدهم إلى طبقة شيوخه، وقام بترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم مبتدئاً الكتاب بمن اسمه «محمد» تيمناً وتكريماً للنبي - عليه الصلاة والسلام - وأعد البخارى فى هذا الكتاب لكل اسم باباً، ورتب أسماء كل باب على حروف المعجم، كما لاحظ هذا الترتيب كذلك فى الحرف الأول من أسماء الآباء، ولكنه لم يراع ترتيب أبواب الأسماء على حسب حروف المعجم فنذكر باب إبراهيم، ثم باب إسماعيل، ثم باب إسحاق، ثم باب أيوب، ثم باب أشعث وهكذا.

وقد ألف البخارى هذا الكتاب فى فجر شبابه ومستهل حياته العلمية، وكان ذلك قبل أن يؤلف الجامع الصحيح، يقول البخارى فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبي ﷺ فى الليالى المقمرة، وقل اسم فى التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أنى كرهت أن يطول.

وكان تأليفه لهذا الكتاب حول مقام الرسول ﷺ، مما يزيده يمنا ويمده بالروحانية، ولهذا فإن الكتاب قد حظى بثقة كاملة من شيوخه وب تقدير عظيم، وبدل تصنيفه هذا الكتاب على سعة علمه ونلاحظ على هذا الكتاب أن الإمام البخارى كان يذكر اسم من يترجم له وبعض من روى عنهم وبعض الذين روى عنه، وقد يذكر حديثاً لأحدهم إلا أنه قلما يذكر جرحاً وتعديلاً، وأرى أن هذا راجع إلى أنه استغنى عن ذلك بما ذكره فى كتابه الضعفاء.

المسند عن صحابى يتوهمونه تابعياً.

وقد ألفت فى معرفة الصحابة كتب، مرتبة على الحروف أو على القبائل وغير ذلك منها:

١ - كتاب أبى بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ الثقة المتوفى سنة سبعين ومائتين.

٢ - «كتاب المعرفة» لأبى محمد عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي الشافعى الحافظ المعروف بعبدان المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

٣ - معرفة الصحابة لأبى بكر أحمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ المتوفى سنة سبعين ومائتين.

٤ - كما ألف فى معرفة الصحابة أبو منصور محمد بن سعيد البارودى المتوفى سنة إحدى وثلاثمائة.

ومن أشهر الكتب فى معرفة الصحابة (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لابن عبد البر (أسد الغابة) لابن الأثير و(الإصابة) لابن حجر.

٣ - «علم الرواة» وهو علم يعرف به تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليهم ووفياتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر فى توهينهم أو تقويتهم، وأول من عرف عنه الاشتغال بذلك الإمام البخارى، وابن سعد فى طبقاته (٣)، ومن ألف فى هذا: أبو الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عتبة ابن الأزرقي بن عمرو بن الحارث الأزرقى المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وقيل سنة سبع عشرة ومائتين ونقدم هنا كتاب: «التاريخ الكبير» للإمام البخارى كنموذج حى، ومثال صحيح للتصنيف فى هذا القرن بالنسبة لعلم الرواة.

علم معرفة الأسماء والكنى والألقاب

وهو علم يبحث في معرفة أسماء من اشتهر بكنيته، وكنى من اشتهر باسمه، أو يكون قد اشتهر بلقبه دون اسمه أو العكس، ومعرفة ضرورية للمشتغل بالحديث، حتى إذا ذكر الراوى مرة باسمه، ومرة بكنيته، لا يظنهما من لا معرفة له أنهما رجلان، وربما ذكر بهما معا فقد يتوهمهما رجلين.

وممن كتب فى ذلك ابن المدينى ومسلم والنسائى، والإمام أحمد بن حنبل كتاب «الأسماء والكنى»، وكتاب أبى بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصارى المتوفى سنة عشر وثلاثمائة، وللإمام البخارى كتاب الكنى.

كتاب الكنى

ذكر الإمام البخارى فى هذا الكتاب كنى من غلبت كنيته على اسمه، ومن لم يعرف إلا بكنيته، وأبتدأ بحسب ترتيب حروف الهجاء بعد لفظ أب أو أم، وقد ذكر الإمام البخارى فيه أول ما ذكر باب أبو أميمة بن الأخنس قال قبيصة عن أبى سلمة بن شقيق المخزومى عن أبى أميمة بن الأخنس عن عمر فى الموضحة، قال: إنا لا نتعاقل المضغ بيننا، ثم ذكر بعد ذلك أبا أميمة المخزومى وهكذا إذا ما انتهى من ذكر حرف الألف انتقل إلى حرف الباء إلى آخر ما ذكر، وقد يذكر اسم صاحب الكنية بعد كنيته كأن يقول: أبو ربحانة: اسمه عبد الله، وذكر فى آخره الكنى من النساء واسم أم هانئ بنت أبى طالب «هند»، وقال البعض: اسمها فاختة «واسم أم حبيبة رملة»، ويلاحظ أنه فى آخر هذا الكتاب قال «هذا آخر كتاب التاريخ الكبير، وعلى ذلك فهو جزء منه».

وكان لهذا الكتاب أثره فيما ألف بعده من كتب، فكان البخارى بحق باعث نهضة القرن الثالث فى تدوين السنة وفى تاريخ الرجال.

رواة التاريخ الكبير هم:

١ - أبو الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه.

٢ - أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الفندجاني عنه.

٣ - ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحميد بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف عنه (٤).

كتاب التاريخ الصغير

وأما كتاب التاريخ الصغير للإمام البخارى فقد اختصر فيه تاريخ النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار، وطبقات التابعين ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم، وكانهم ومن رغب فى حديثه، والجز الأول تحدث فيه عن أخبار مهاجرى الحبشة وفى آخره تحدث عن المهاجرين والأنصار الذين حدثوا عن الرسول ﷺ، وتوفوا فى عهده. كما تحدث على من توفوا فى عهد أبى بكر الصديق - رضوان الله تعالى عليه - ومن بعده من الخلفاء.

وأما الجزء الثانى من هذا الكتاب فابتدأه بذكر من مات فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه - ثم من بعده إلى أن انتهى من الجزء السادس حيث ذكر الذين ماتوا فى سنة ست وخمسين ومائتين.

وقد جاء هذا الكتاب من رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى قال أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانية وثلاثمائة. قال: أخبرنا أبو محمد بن محمد النيسابورى قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى.

علم تأويل مشكل الحديث

ويسمى مختلف الحديث، وهو التوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث وأول من تكلم في هذا العلم هو الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، صنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث ولم يقصد استيفاءه، وإنما ذكر جملة منه ينبه بها على طريقة الجمع بين مآظهم التناقض، ثم صنف فيه من علماء القرن الثالث ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ وسمى كتابه «تأويل مختلف الحديث» وقد سبق الحديث عنه في الباب الأول.

وصنف فيه أيضا ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي المتوفى سنة ٣٠٧هـ.

علم معرفة غريب الحديث

وهو علم يعنى ببيان معاني بعض الكلمات الغامضة، فقد كان - صلوات الله وسلامه عليه - أفصح الناس كان يخاطب الوفود على مختلف أسنتهم بما يفهمونه، فلما كانت الفتوحات، ودخل في الإسلام كثير من العجم ونشأ جيل تشوب العجمة لسانهم خيف على الحديث النبوي أن يستغلق فهمه على بعض الناس فأنبرى جماعة من اتباع التابعين، فتكلموا في غريب الحديث أمثال: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأول من صنف في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ، وألف فيه من علماء القرن الثالث أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتابا كان عمدة في هذا الفن جمعه في أربعين سنة، ثم جاء ابن قتيبة الدينوري، فتهج منهج أبي عبيد، وصنف كتابه المشهور. وممن صنف فيه أيضا الإمام إبراهيم الحري المتوفى سنة ٢٨٥هـ، ويقال إن أول من ألف فيه: أبو عبيد

القاسم بن سلام البغدادي الحافظ كتابه «غريب الحديث والآثار» ولعل من ذهب إلى ذلك يقصد أول من ألف في غريب الحديث مع الاستقصاء في الجملة، إلا فأول من ألف فيه على الصحيح النضر بن شميل المازني، وكتاب أبي عبيد هذا هو القدوة في هذا الشأن، وقد أفنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه: جمعت كتابي هذا في أربعين سنة، وألف في غريب الحديث كذلك أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وأبو عمر شمر بن حمدويه، قيل فيه إنه قدر كتاب أبي عبيد مرارا توفي سنة ست وخمسين ومائتين، وكتاب ذيل كتاب ابن قتيبة لأبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي الأندلسي واسم كتابه «الدلائل في شرح ما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث» وفيه قال أبو على القالي: ما أعلم أنه وضع بالأندلس مثل كتاب الدلائل، قال ابن القرضي: ولو قال: ما وضع مثله بالمشرق ما أبعد، مات ولم يكمله فأتمه أبوه أبو القاسم، وتوفى أبو محمد سنة اثنتين وثلاثمائة.

كتاب غريب الحديث لابن قتيبة

وكتاب «غريب الحديث» لابن قتيبة، هذا فيه حذو أبي عبيد، ولم يدون فيه شيئا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد إلا ما دعت إليه حاجة من زيادة أو شرح بيان، ولهذا كان كتاب ابن قتيبة مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر منه.

ويعتبر هذا الكتاب من أوائل ما ألف ابن قتيبة، وأنه قد ألفه قبل تأليف كتاب تأويل مختلف الحديث وقبل كتاب «الأشربة» و«الشعر والشعراء»، وقبل «أدب الكاتب» و«عيون الأخبار» وذلك لأننا نراه في هذه الكتب يشير إلى كتاب «غريب الحديث».

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب النفيسة المفقودة التي لم تقع في أيدينا. وقد ذكر ابن الأثير أن ابن

العلل الكبير للإمام الترمذی

سار الإمام الترمذی فی تصنیف العلل علی درب الإمام البخاری واعتمد علیه وعلى علمه وكتابه، وكان يروى فيه كثيرا عن البخاری مما يدل على تأثره به وانتفاعه بعلمه، وقد اتقن الإمام الترمذی هذا الفن وحذقه كما هو الشأن فی كتابه «الجامع» وغيره حتى قال فيه الحافظ الإدريسی: صنف الجامع، والتواريخ والعلل، تصنیف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل فی الحفظ.

وللترمذی كتابان فی العلل:

أحدهما: العلل الصغير، «وهو الكتاب الذي أحقه بجامعه، وجعله خاتمة له».

والثاني هو العلل الكبير، وهذا هو الكتاب المقصود بقول المحدثين رواه الترمذی فی العلل، ولكن مما يؤسف له، أن هذا الكتاب غير موجود بأيدينا، فهو من الكتب المفقودة، ولعله يكون مخطوطا ضمن مخطوطات خزانات الكتب الأجنبية، أو اندثر ضمن ما اندثر من تراث الغزير تحت غبار السنين والقرون.

وهذا هو ما دعا البعض أن يقول: إنهما كتاب واحد.

وأرى أن كتاب العلل الكبير، غير كتاب العلل الصغير، لما روى من الأحاديث عن (العلل الكبير) وهي غير موجودة فی العلل الصغير.

ومثال ذلك ما رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمر عن أخته حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»، وقد أعل الترمذی وأحمد والنسائي هذا الحديث لمخالفة عبدالله بن أبي بكر ابن عمر بن حزم الذي تقرد به من هم أكبر منه قدرا كابن عيينة، ويونس الأيلي وغيرهما ممن رووه موقوفا

فتبية قال فی مقدمة كتابه: «وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع غريب الحديث، وأن الناظر فيه مستغن به، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحو مما ذكر فتتبع ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر(٥) أ.هـ.

علم معرفة علل الحديث

والعلة عبارة عن سبب غامض قاذح فی الحديث مع أن الظاهر السلامة منه، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا.

وقد تطلق العلة على غير مقتضاها ككذب الراوى، وغفلته، وسوء حفظه ونحوها من أسباب ضعف الحديث وقد يطلقها بعضهم على مخالفة لا نقدح كإرسال ما وصله الثقة الضابط حتى قال: «من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ»(٦).

أما كيفية إدراك العلة ومعرفةتها فهو: تفرد الراوى ومخالفة غيره له مع قرائن تضم إلى ذلك، تنبه العارف بهذا الشأن على وهم وقع بإرسال فی الموصول أو وقف فی المرفوع أو دخول حديث فی حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على ظنه فيحكم بعدم الصحة أو يتردد فيتوقف فيه، والطريق إلى معرفته: جمع طرق الحديث والنظر فی اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم، والتصنيف على العلل هو جمع الأحاديث المعللة وتدوينها مرتبة ترتيبا موضوعيا مبينا فيها مع كل حديث علته، وقد يلحق بعض المصنفين هذه الطريقة بطريقة المسانيد فيصنف مسنده معللا وممن صنف فی العلل «الإمام على بن المدینی، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاری، والإمام مسلم، وأبو يحيى بن زكريا بن يحيى الضبي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، والإمام الترمذی ونقدم هنا نموذجا للتأليف على العلل.

على حفصة، ولما رواه نافع في رواية مالك موقوفاً على ابن عمر، كما ظهرت بعض القرائن في ذلك وهي كثيرة الاختلاف في سند الحديث حتى رجحوا رواية الوقف على رواية عبدالله بن أبي بكر، قال الترمذي في العلل: (وهو خطأ، وهو حديث فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر موقوفاً).

الطبقات

ومن الأنواع التي صنف في القرن الثالث كذلك «كتب المشيخات» وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم، وأجازوه وإن لم يلقيهم كمشيخة الحافظ أبي يعلى الخليلي، ومشيخة أبي يوسف يعقوب بن سفيان بن حيان، المتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين ومشيخته في ستة أجزاء مرتبة على البلاد.

المشيخات

ومن الأنواع التي صنف في هذا القرن أيضاً «كتب الطبقات» وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم، ورواياتهم طبقة بعد طبقة، وعصر بعد عصر إلى زمن المؤلف، وتقدم الحديث عن طبقات ابن سعد الكبرى، وممن ألف كذلك في هذا القرن الثالث أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري الحافظ أحد شيوخ البخاري ألف «طبقات الرواة» وتوفى سنة ثلاثين وقيل: سنة أربعين أو ست وأربعين ومائتين.

رواية الأكابر عن الأصاغر والآباء عن الأبناء

وهو من أهم الأنواع، ومن فوائده ألا يتوهم أن المروي عنه أفضل وأكبر من الراوي لكونه الأغلب في ذلك، ومنها ألا يظن أن في السند انقلاباً. وهو أقسام:

١ - أن يكون الراوي أكبر سناً، وأقدم طبقة من

المروي عنه كالزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري في روايتهما عن مالك بن أنس.

٢ - أن يكون الراوي أكبر قدراً لا سناً كمالك في روايته عن عبدالله بن دينار، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه في روايتهما عن عبيد الله بن موسى العبسي.

٣ - أن يكون الراوي أكبر من المروي عنه من الوجهين معاً كعبد الغنى في روايته عن الخطيب، وكالخطيب في روايته عن ابن مأكولا (٨).

ومن الكتب المصنفة في هذا النوع في القرن الثالث: كتاب (ما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء» تأليف الحافظ أبي يعقوب بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقي البغدادي الوراق نزير مصر المتوفى سنة أربع وثلاثمائة (٩).

والحق أن أنواع علوم الحديث كثيرة لا تعد، وكما قال الحازمي: علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته.

الهوامش

- ١ - تدريب الراوي ص ٥.
- ٢ - علوم الحديث (٢٥).
- ٣ - تدريب الراوي ص ٤٥٠، علوم الحديث ومصطلحه ص ٦١.
- ٤ - التاريخ الكبير للبخاري، طبع بمطبعة حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٦١هـ.
- ٥ - مقدمة النهاية لابن الأثير ص ٤.
- ٦ - تدريب الراوي ص ١٦١.
- ٧ - رواد أبو داود ج ٢ ص ٣٢٩، والنسائي ج ١ ص ٣٢٠، والترمذي ج ١ ص ١٤١، وابن ماجه ج ١ ص ٥٢٠.
- ٨ - تدريب الراوي ص ٤٢.
- ٩ - الرسالة المستطرفة.

الأمثال السائرة

صلى الله عليه وسلم

عن رسول الله



من تأليف الحسين الحراني المتوفى عام ٣١٨هـ

١.

الإمام - الحافظ المحدث - أبو عروبة، الحسين بن محمد السلمي، الجزري، الحراني (٢٢١ - ٣١٨هـ - ٨٣٦ - ٩٣٠م) من أشهر المحدثين في عصره، ووصفه الذهبي: بأنه كان من نبلاء الثقات، ورحل الناس إليه. تلقى الحديث، وعلومه عن عدد كبير من الشيوخ بالجزيرة والشام والعراق والحجاز، وتلمذ عليه في الحديث جمهور كبير من الطلاب والعلماء. وألف العديد من الكتب التي من أشهرها كتابه «الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ وله كذلك: كتاب الطبقات، وكتاب تاريخ الجزيرة الذي قال عنه الإمام الذهبي: لقد سمعناه وانتفعنا به.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

٢.

وأمثال الحديث النبوي الشريف ألف فيه عدد من العلماء، منهم: ١ - الإمام الترمذي المتوفى عام ٣٢٠هـ - ٩٢٢م، مؤلف كتاب - الأمثال من الكتاب والسنة -، مطبوع في القاهرة عام ١٩٧٥م بتحقيق البجاوي. وللترمذي أيضا كتاب «الأصول في أحاديث الرسول» وهو أحد أصحاب السنن الستة (٢).

ويقول أبو أحمد الحاكم في «الكُنَى» عن الحراني: كان من أثبت من أدركناه، وأحسنهم حفظا، يرجع إلى حسن المعرفة بالحديث والفقه والكلام (علم التوحيد). وقال ابن عدي عنه: كان عارفا بالرجال وبالحديث، وكان مع ذلك - مفتي أهل حران (١).

٢ - الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد
الرامهرمزي المتوفى عام ٣٦٠هـ - ٩٧٠م (٣)، وكان
المحدثون يسمونه: محدث العجم في زمانه، وكتابه
«أمثال الحديث» مطبوع في بيروت عام ١٩٨٨
بتحقيق أحمد عبدالفتاح.

٣ - الأصبهاني عبدالله بن محمد بن جعفر
المتوفى عام ٣٦٩هـ - ٩٧٩م، وكان يُعدُّ محدث
أصبهان، وكتابه «الأمثال في الحديث النبوي»
مشهور، طُبِعَ في القاهرة عام ١٩٨٧م في الدار
السلفية، وللأصبهاني (٤) أيضا كتاب «السنن» في
عدة مجلدات.

٤ - ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ) مؤلف
كتاب «أمثال الحديث»، وله أمثال القرآن - حققه
ناصر الرشيد، وطبع في مكة ١٩٨٠م، وقد طبع
كتابه «أمثال القرآن وأمثال الحديث» لابن القيم في
بغداد عام ١٩٩١م بتحقيق العليلى.

٣.

وكتاب «أمثال الحديث» للحراني الذي نتحدث
عنه في هذا المقال أقدم كتاب أمثال: الحديث -
نشره المحقق العراقي الكبير الأستاذ - هلال ناجي -
لأول مرة عن نسخة خطية بمكتبة «أحمد الثالث»
طوب «قبوسرائ» في الآستانة برقم ٩٦١، وهذه
النسخة مجموع ضخم يشغل كتاب «أمثال الحديث»
منه من الورقة ١٩٣، وهو منسوخ عام ٧٠٨هـ،
والمحقق الجليل - هلال ناجي - قام بعمل كبير في
تحقيق الكتاب والتعليق عليه، ومنه استفدنا، وعليه

عولنا، ويحتوى الكتاب على ستين مثلاً نبويًا منها
على سبيل المثال:

- إن من الشعر لحكمة.
- إن من البيان لسحرا.
- كل معروف صدقة.
- المستشار مؤتمن.
- الأرواح جنود مجندة.
- حبك الشئ يُعَمِّي وَيُصِمُّ.
- تدع الجذع في عينك وتبصر القذى في عين أخيك.
- الجار قبل الدار.
- لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.
- رأس العقل بعد الإيمان التودد للناس.
- لن يهلك امرؤ بعد مشورة.
- لا حلیم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة.
- إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.
- المؤمن مرآة المؤمن.
- المؤمن أخو المؤمن حيث لقيه.
- إذا صلح القلب صلح الجسد.
- القناعة مال لا ينفد.
- انصر أخاك ظالما أو مظلوما.
- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

- المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

- إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

- الرفيق قبل الطريق.

- اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

■ ٤ ■

ولقد قام المحقق - هلال ناجي - بتخريج كل أحاديث الكتاب.

ففى المثل النبوي: «القناعة مال لا ينفد»، يفيض إفاضة كبيرة، إفاضة فى تخريج الكثير من الأحاديث.

ونذكر هنا أن الشريف المرتضى له كتاب عن «المجاز فى الحديث النبوي»، وللشريف الرضى كتاب عن «المجاز فى القرآن».

وللدكتور محمد الزير كتاب عن «القصص النبوي فى صحيح البخارى».

وهى تتناول أمثالا كثيرة ورَدَتْ فى هذا المجال.

وبعد، فإن كتاب «الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ» يُعدُّ من الكتب النادرة، ومن كنوز التراث الإسلامى الخالد.

■ الهوامش:

١ - راجع فى ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥١٠/١٤ -

٥١٢، و«العبر فى خبر من غير» ١٧٢/٢، وتذكرة الحفاظ ٧٧٤/٢.

و«مرآة الجنان لليافعى» ٢٧٧/٢، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٢٢٥، و«شذرات الذهب» لابن العماد، ٢٧٩/٢.

٢ - راجع فى ترجمته: صفة الصفوة ١٦٧ - لسان الميزان لابن حجر ٣٠٨/٥ - طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٥/٢ - مفتاح السعادة ٣٠٩/٢ - طبقات الصوفية ص ٢١٧ - الرسالة القشيرية ٢٩ - حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني ٢٣٣/١٠ - كشف الظنون ١/١ العمود ٩٣٨ - الأعلام للزركلى ١٥٦/٧.

٢ - ترجم له: الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٧٢/١٦، و«العبر» للذهبي أيضا ص ٣٢١، وتذكرة الحفاظ ٩٠٥/٣، والوفى بالوفيات للصفي ٦٤/١٢، ومعجم الأدباء نشر رفاعة ٥/٩ - ١٧، وبتيمة الدهر للثعالبي ٤٢٣/٣، وطبقات الحفاظ ص ٣٩٩.

٤ - ترجم له الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٦، وكتاب تذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣، و«العبر» للذهبي ٣٥١/٢، وكتاب «ذكر أخبار أصبهان» ٩٠/٢، وغاية النهاية ٤٤٧/١، والنجوم الزاهرة ١٣٦/٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٢٨١، وطبقات المفسرين للدواوى ٢٤٠/١، وشذرات الذهب ٦٩/٣، وهدية العارفين ٤٤٧/١.

الداء الذى لا دواء له

سأل كسرى طبيبا، ما الداء الذى لا دواء له؟

قال: إدخال الطعام على الطعام
فذاك الذى أفنى البرية وقتل سبع البرية!

فسأله عن الحمية؟

فقال: الاقتصاد فى كل شىء، فإذا أكل فوق المقدار، ضيق على الروح.

اليهود في ظل الإسلام

حينما نقلب صفحات تاريخ اليهود، عبر العصور الإسلامية، نجد أنهم نعموا في المجتمعات الإسلامية بروح التسامح والمودة التي تفيض بها الشريعة الإسلامية السمحة، التي تدعو إلى احترام حقوق أهل الكتاب في ديار الإسلام، فقد شعر اليهود في ظل الحكم الإسلامي - بفضل مودة المسلمين لهم - بالأمن والأمان، إذ كفل الإسلام لأهل الذمة من يهود ومسيحيين حرية العقيدة دون حظر، وحرية الرأي دون مصادرة، وحرية الفكر دون حجر، مؤكداً بذلك أنه دين التسامح، والحرية، والسلام، لا يفرق بين مسلم، ويهودي، ومسيحي، فالكل فيه سواء.

صلاح عبد الرحيم محمد

عمر عنه الجزية، واشتغل كثير من اليهود بفلاحة الأرض، وترك لهم عمر أرضهم مقابل دفعهم الخراج، واحترف اليهود أيضاً التجارة، واشتغلوا بالصناعة، وكان منهم الأطباء، فقد كان للحجاج بن يوسف الثقفي طبيباً يهودياً، وفتح العرب المسلمون كثيراً من الأمصار، منها العراق، والشام، ومصر، فرحب معظم أهل الذمة من يهود ومسيحيين بالفتح العربي، تخلصاً من الاضطهاد الروماني، والصراع الديني، ودعا العرب الفاتحون أهل الذمة إلى الإسلام، وأعلنوا أن من يسلم منهم يصبح له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، ولذا دخل في دين الله أفواج من اليهود والمسيحيين، ويروى البلاذري في «فتوح البلدان»: «أنه كان على أهل الذمة طوال عهد الخلفاء الراشدين والأمويين واجبات، ولهم في مقابلها حقوق. أما الواجبات فكان على أهل الذمة أن يدفعوا الجزية، فكانت على الموسر ٤٨ درهماً، وعلى متوسط الحال ٢٤ درهماً، وعلى الفقير ١٢ درهماً». وقيل: أُعْفِيَ النساء، والصبيان، وذوو العاهات، والرهبان من

وفي المدينة المنورة، كتب الرسول ﷺ كتاباً عاهد فيه اليهود، ووادعهم، وأقرهم على دينهم، وأموالهم، وأمنهم على أنفسهم، فصار هذا الكتاب فتحاً جديداً في إقرار السياسة الدينية باعتباره وثيقة تقر لليهود حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المال، وحرمة النفس، فقد أراد النبي أن يجعل المدينة وطناً واحداً، ومن الجميع أمة واحدة، لا يفرق بينها اختلاف في الدين، لذلك يمكن وصف هذه الوثيقة بأنها وثيقة تآلف وأمان لليهود.

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أوصى لليهود بأن يؤفَّق لهم بعهدهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم، وكتب أمير المؤمنين إلى عامله بالكوفة يأمره أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة ليسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، وكان من سماحة الإسلام وعدالته أن عمر أجرى الصدقة على يهودي كفيف البصر، وأمر له بعتاء دوري من بيت مال المسلمين، وقال لخازن بيت المال: «انظر لهذا وأمثاله، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم»، ثم وضع



عنوان عريض للتضامن الشامل

السلف عهدا طويلا، وكان البستاني موضع تقدير عمر بن الخطاب ورضائه، فأوصى بحسن معاملة اليهود^(٢)، وقد صار ليهود مصر رئيس طائفة مستقل عن غيره هو «أبو الحسن بن الموفق بن شموئيل» سنة ٦٨٤هـ، وكان يشرف على مصالح الفرق اليهودية من قرائين، وسامريين في جميع ديار مصر^(٣)، ويذكر «بينيامين التطيلي» في رحلته: «أن اليهود زمن الفتح الإسلامي لمصر، كان لهم في الإسكندرية جالية يتراوح عددها بين أربعين ألفا، وسبعين ألفا، وجاء في نصوص الهدنة بين العرب والبيزنطيين نص خاص باليهود يسمح لهم بالإقامة في الإسكندرية، ولقد أبقي العرب المسلمون المعابد، والكنائس، ولم يتدخلوا في الشؤون الدينية لأهل الذمة من يهود ومسيحيين، ولم يتشددوا معهم في بناء معابدهم وكنائسهم، وتركوا لهم حرية الاحتفال بأعيادهم»، وفي العصر الطولوني اعتنق كثير من اليهود

الجزية، والحقيقة أن الجزية لم تكن عقابا لأهل الذمة، فهي نظير إعفائهم من الجندية، ومقابل حماية الإسلام لهم.

ويروى البلاذري: «أنه كثيرا ما كان بعض أهل الذمة ينقضون ما شرطه المسلمون عليهم، فكان المسلمون لا يؤذونهم، أو يتعرضون لأموالهم».

ويتحدث الماوردي في «الأحكام السلطانية» فيقول: «أما حقوق أهل الذمة، فهي الكف عنهم، والحماية لهم، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم». وكان يتولى شئون اليهود رئيس ديني يسمى «رأس الجالوت»، ففي العصر العباسي، تولى هذا المنصب «دانيال بن حسداي» وكان يشغل أيضا وظيفة قاضي اليهود عامة، ويستعين بعشرة مساعدين، وهو يقوم على شئون جميع اليهود في البلاد الخاضعة للخليفة^(١)، وكان «البستاني» هو أول رأس جالوت تولى شئون اليهود في العهد الإسلامي، وقد بقى هذا المنصب في أعقابها، يتوارثه الخلف عن

أمريكا تعطي إسرائيل الملايين من الدولارات لترتكب مزيداً من الجرائم ضد الفلسطينيين

«موسى بن ميمون» فسمح لليهود بالعودة، فعادت أعداد كثيرة منهم من المنافي إلى فلسطين، إذ كانوا يتعرضون للاضطهاد والقتل في أوروبا، وقد استقبل الملك العادل أخو صلاح الدين ثلاثمائة حاخام يهودي استقبالا وديا حين أتوا من أوروبا لزيارة القدس، كما يروى المؤرخون، وقد ذكر الشاعر اليهودي الأسباني «يهود الخرزي» الذي زار بيت المقدس سنة ١٢١٦م: «أن فتح صلاح الدين لبيت المقدس أعقبته هجرة جموع كبيرة من اليهود إليها، وأن صلاح الدين نفسه لم يمنعه من الإقامة فيها»، وهذا يدل على سماحة صلاح الدين، فكانت فلسطين في عهده واحة الأمان لليهود، إذ وجدوا فيها الحماية والرعاية. وفي العصر العثماني وصل اليهود إلى أعلى المناصب في الدولة، فقد عين «يوسف حامون» طبيباً خاصاً «لبايزيد الثاني» ثم سليم الأول، وارتقى ابنه «موسى حامون» ليكون الطبيب الخاص لسليم الثاني. وقد نعم اليهود - في كنف الدولة العثمانية - بالهدوء والاستقرار، والحرية، ولما فتح العرب المسلمون الأندلس أعادوا لليهود أملاكهم وأراضيهم التي استولى عليها الحكام السابقون، وسمح لليهود ببناء معابدهم، وتوفر لهم الاستقلال القضائي في المسائل الشرعية.

ويذكر «أرسكين تشايلدر» في كتابه «العرب في نظر الغرب»: «أنه يكفي أن نقارن بين حسن معاملة العرب لليهود، وسوء معاملة الغرب لهم، فقد جاءت وفود اليهود الأسبان إلى الجيوش العربية في

الإسلام، وانخفضت مقادير الجزية المفروضة على غير المسلمين، حتى بدأت تختفى كباب من أبواب الإيرادات، وكان يعمل في بلاط أحمد بن طولون عدد من الأطباء اليهود، وكان منهم الصيارفة، والتجار الذين حققوا ثروات طائلة، وكان لأهل الذمة محاكم دينية خاصة بهم كما يروى المؤرخون، وفي العصر الفاطمي يذكر المؤرخون أن الفاطميين عاملوا اليهود بالمودة والرحمة، وقد تقلدوا أرفع المناصب وأعلاها في عهد الخليفة العزيز، كما شغلوا المناصب العالية في عهد المستنصر، ومن جاء بعده. ومن اليهود من تقلد الوزارة، فقد انتهج الفاطميون سياسة التسامح تجاه اليهود، وهذا واضح في السماح لهم ببناء معابدهم وترميمها والمحافظة عليها، ولقد شاع في العصر الفاطمي شغل اليهود لأعلى المناصب في الدولة، وعلا شأنهم فيها مما دفع أحد الشعراء لنظم هذه الأبيات حيث قال^(٤):

يهود هذا الزمان قد بلغوا

غاية آمالهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم

ومنهموا المستشار والملك

يا أهل مصر إنني نصحت لكم

تهودوا قد تهود الفلك

وفي العصر الأيوبي، وبعد انتصار صلاح الدين

الأيوبي على الصليبيين توسط لديه طبيبه الخاص

المغزب تنشُد مساعدتها تخلصا من اضطهاد الأسباب لهم». وفي أواخر الحكم الإسلامي للأندلس، في عهد بني الأحمر نعم اليهود بسماحة الإسلام، ففي عام ١٣٦٧م استقبل «محمد الخامس» ثلاثمائة عائلة يهودية هربت من اضطهاد القشتاليين، فلجأوا إلى غرناطة، ولج في بلاط محمد الخامس، من بني الأحمر، الطبيب اليهودي «إبراهيم بن ثرثار»، كما عمل «صموئيل بن تغرالة» اليهودي طبيباً لبني زيري.

وقد أجاد اليهود اللغة العربية والقشتالية، فكان منهم مترجمون مشهورون أمثال «عزr الرندي»، واستعان «عبدالله» آخر ملوك بني الأحمر بمترجمين يهوديين هما: «اسحاق بردونيل» وصهره «بودا». وبرز من اليهود كُتاب وشعراء وفلاسفة، وعلماء بفضل مناخ التسامح والحرية الذي أتاحه الإسلام لهم.

ويعترف كثير من المستشرقين بأن المسلمين واليهود والمسيحيين عاشوا جنباً إلى جنب في مجتمع واحد، تربطه صلات المودة والتسامح، يقول «جولد تسيهر»: «إن ما يشاهد من تسامح الحكومات الإسلامية يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع الميلادي من مبادئ الحرية الدينية التي منحت أهل الكتاب حق مباشرة شعائهم الدينية، فإن روح التسامح الإسلامي قديمة، وهي روح اعترف بها المعاصرون من غير المسلمين، وأصلها في القرآن «لا إكراه في الدين» واعترف «أرنولد توينبي» بتسامح الإسلام مع أهل الذمة من يهود ومسيحيين، فقال: «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف غير المسلمة على قبول الإسلام أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الأديان الأخرى».

ويقول أحد علماء اليهود وهو «عمانوئيل دويش» مثنيا على الإسلام، وفضله، وروحه الصادقة: «إن

المسلمين حملوا بفضل القرآن قيس العرفان إلى أوروبا، وعلموا الشرقيين والغربيين الفلسفة، والطب، والفلك، والشعر، وأحيوا تراث اليونان وعلومهم، لقد كانت الدنيا غارقة في ظلمات الجهل، فغمر المسلمون كل أرجائها بنور العلم، فهم لهذا الاعتبار واضعوا أساس العلم».

وعلى الرغم من سماحة الإسلام التي نعم اليهود بها في المجتمعات الإسلامية، عُنَى مر العصور، فإننا نرى أحفادهم اليوم في إسرائيل يعيشون في الأرض فساداً، فيفتصبون أرض العرب بالقوة المسلحة في فلسطين، والجولان، وجنوب لبنان، ويمارسون أبشع أساليب التعذيب والاضطهاد، والقمع، ويصادرون أراضي العرب في الأرض المحتلة، ويهدمون المنازل، ويشردون أصحابها، ويطبقون المستوطنات اليهودية على أرض ليست أرضهم، مفتصبين بذلك حقوق غيرهم عنوة، ويرفضون الامتثال للقانون الدولي، وقرارات الشرعية الدولية، ويسوّفون، ويماطلون، ويرواغون في مفاوضات السلام الحالية، وينقضون العهود، ولا يحترموا المواثيق، ولا ينفذون ما تعهدوا به، من اتفاقات، لا يردعهم رادع من قانون، أو من ضمير، وتمادوا في غيهم، وصلفهم، وزهولهم بقوتهم، واعتبروا أنفسهم فوق الجميع، فاستخفوا بالعرب وعضوا اليد العربية والإسلامية التي أوتهم حيث لم يكن لهم مأوى في أوروبا بعد طردهم منها، لقد عاملهم المسلمون، في ظل الحكم الإسلامي، معاملة حسنة بوصفهم أهل كتاب، لقد نسى يهود اليوم في إسرائيل ما قدمه العرب والمسلمون لهم من معروف يوم أن كان العالم الإسلامي الملاذ الآمن لهم من ذل العبودية في أوروبا، والملاجأ الهادئ لهم من هوان العذاب الذي عانوه في العصور الوسطى، يؤكد ذلك ما جاء في كتاب «العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق»، لأحمد ديدات،

على لسان «بول فندلى» - أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي الأسبق - فيقول: «يروى إسرائيل شاحاك» - وهو أستاذ كيمياء يهودى - أنه يوجد بين الأحداث التي وقعت ضد اليهود بألمانيا بعد عام ١٩٣٠م والأحداث التي تقع في إسرائيل اليوم ضد العرب أوجه شبه كبيرة. ففي ألمانيا كان اليهود يعتبرون مجرد أشياء، وكان اليهود معرضين للامتهان والتعذيب، والاضطهاد والطرد من البلاد، وبذلك كانت حياة اليهود في ألمانيا آنذاك في غاية البؤس والشقاء الذي وصل إلى ذروته عندما طلب منهم الألمان النازيون أن يحزموا أمتعتهم، وأن يغادروا ألمانيا، أو بالأحرى كانوا مجبرين على مغادرة كل أوروبا هرباً من العذاب، والموت في معسكرات قتل اليهود، وإبادتهم، ووجد اليهود الحل في إقامة دولة لهم، يعيشون فيها. واليوم يقول قادة وزعماء إسرائيليين للفلسطينيين: «يجب أن تذهبوا عن البلاد. يجب أن تخرجوا من البلاد». تماماً كما كان النازيون في أوروبا يقولون لليهود: «يجب أن تذهبوا من البلاد، يجب أن تخرجوا»، نعم، إن تعبير «يجب أن تخرجوا» هو عنوان كتاب نشره واحد من زعماء إسرائيل، وعضو كنيست عندهم هو «مائير كاهاني»، لقد أصبح شعار «يجب أن يذهبوا» هو الحل لمشكلة الفلسطينيين في إسرائيل، في نظر إسرائيل، إن على الفلسطينيين في نظرهم ليسوا بشراً، إنهم مجرد أشياء، إن اليهود يضغطون الفلسطينيين إلى حد السحق بالأرض المحتلة». هذه شهادة صريحة على لسان يهودى يعمل أستاذاً للكيمياء بجامعة «كابل» بواشنطن تدمغ عدوانية إسرائيل. ونجد مراسل صحيفة التايمز الأمريكية «إليكس أ. سميث» في عددها الصادر في ١٩/١١/١٩٨٩م يتسائل قائلا^(٥): «أى نوع من الناس أولئك الذين يطلقون الرصاص على ظهور الأطفال الفلسطينيين، وهم

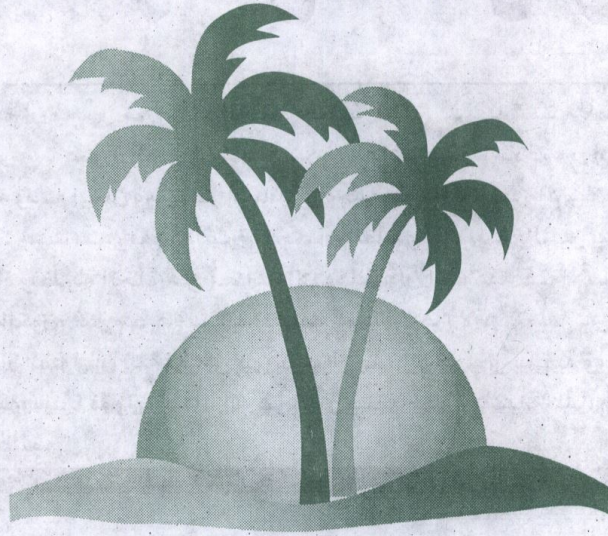
يهريون من المكان لمجرد إلقائهم الحجارة تعبيراً عن احتجاجهم على الظلم الذي حاق بهم، وبأهلهم، وبذويهم؟». ويمتد العقاب أكثر فأكثر ليشمل هدم البيوت، ونسفها بالديناميت والقنابل من جانب القوات الإسرائيلية، أى نوع من الناس - نحن الأمريكيين - ونحن نعطي إسرائيل آلاف الملايين من الدولارات التي جمعتها الحكومة الأمريكية من دافعى الضرائب الأمريكيين كل عام لتتركب إسرائيل مزيداً من الجرائم ضد الفلسطينيين؟».

وليس عندي ما أضيفه بعد هذه الشهادة التي تدين يهود إسرائيل، وحكومتها المدعومة من أمريكا، والتي جاءت على لسان مراسل صحيفة التايمز الأمريكية إذ وصف إسرائيل بالعدوانية، وارتكاب الجرائم ضد الشعب الفلسطيني صاحب الأرض المسلوبة. لقد نسى يهود اليوم في إسرائيل ماضى أجدادهم يهود الأمس عندما كانوا يعيشون في كنف المجتمعات الإسلامية في أمن، وأمان، وسلام، ولكن سنة الله في كونه تؤكد أن المعتدى الظالم، والفاصل لحقوق الغير، لا يمكن أن يفلت من عقاب الله، وإن طال الزمن، ولعل الله القاهر فوق عباده، يأتى بقوم يحبهم ويحبونه فيستردون ما سلب من حق، ويعيدونه إلى أصحابه في فلسطين، والجولان، وجنوب لبنان.

الهوامش:

- ١ - العرب واليهود في العصور القديمة الإسلامية، للدكتور على حسن الخربوطلى، ص ١٠٢.
- ٢ - المرجع السابق، ص ٩٦.
- ٣ - المرجع نفسه، ص ١٠٢.
- ٤ - المرجع السابق، ص ١٠٨، نقلاً عن السيوطى، حسن الحاضرة.
- ٥ - «العرب وإسرائيل، شقاق أم وفاق» لأحمد ديدات، ص ٥٠ - ٥١.

الحضارة والعلوم



- معجزة خلق الإنسان في القرآن
- علماء الجغرافيا المسلمون
- وجهودهم في رسم الخرائط وتلوينها
- مختصر الوجوه في اللغة «للخوارزمي»

معجزة خلق الإنسان في القرآن

إذا أراد المسلم أن يجعل من مبدأ الحياة وقصة الخلق طريقاً شيقاً للمعرفة الفكرية أوسع وأعمق مما صوره العلم فأمامنا طريق الفلاسفة وتأملاتهم، وإذا أراد المسلم أن يجعل منه موضع إيمان ومشاعر إنسانية وروحية، فأمامه الدين الإسلامي، وهنا وعند هذه المرحلة، حيث يبدو تعدد الطرق، نجد أن العلم والفلسفة والدين يتفقون على أن مبدأ الحياة ونظرية الخلق من مظاهر الألوهية، وأن الألوهية هي الأصل، وهي الغاية من كل هذا الكون، فكل شيء فيه إنما يصبو إليها، ونحن لا نستطيع عن طريق المعرفة الفلسفية أن نقول إن الله تعالى هو سبب أو علة الوجود، وخالقه ومصوره، وواضع أسسه ونظمه، وإنما نقول أيضاً: إنه هو الذي يشهد على الأشياء كلها، وليست الأشياء هي الدليل عليه.

أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمه

يصل في أسرار الكون إلى علم الخالق، تلك حقيقة مهمة وبديهية، لأولئك الذين يربطون معجزة الخلق بنظريات من فكر البشر، والحياة والموت، هما مما اختص به الله سبحانه وتعالى نفسه.

حتى أنه إذا أعطى رسولا من رسله هذه المعجزة، كما أعطاه عيسى عليه السلام فإنه يقول: يا ابن الله.. فعيسى يقول «وأحيى الموتى بإذن الله» ويقول: «أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله»، وفي نفس الآية من آل عمران رقم (٤٩)، يقول جل شأنه «وأبرئ الأكمه والأبرص»، «وانبئكم بما

إن القرآن الكريم لم يأت ليعلّمنا أسرار الوجود والخلق، ولكنه أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهي للإنسان في كل عصر، ومع كل تقدم للعلم والمعرفة البشرية، على أن ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية، شيء لا يجب أن يحدث أو يقال، فالقرآن لا تربط صحته باتفاقه مع نظرية علمية أيا كانت ولكن العلم هو الذي يستمد صحته وبيانه إذا اتفق مع آيات القرآن الكريم، فكل علم مخالف لحقائق القرآن هو علم خاطئ وزائف، لأن قائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى، وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن لمخلوق عالم أو متفلسف أن

تأكلون وما تدخرون في بيوتكم»، وهنا يجب أن نلاحظ أن معجزة الحياة والموت لم ترد إلا ومعها كلمة بإذن الله، بينما وردت المعجزات الأخرى كإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك، كمعجزات لتأييد عيسى من الله سبحانه وتعالى، دليلاً على صدق رسالته وتبليغه عن الله، ولكن معجزة الخلق هي لله وحده.

والله سبحانه وتعالى حين أوجد الحياة أبلغنا بطريقة الخلق ومعجزته فقال في سورة السجدة آيات ٧، ٨، ٩: ﴿وإذا خلق الإنسان من طين﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾. وقال في سورة الحجر آية ٢٨، ٢٩: ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون﴾ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾، وقال عن مريم في سورة الأنبياء: آية ٩١: ﴿والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾. وقال في سورة التحريم آية ١٢: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فننفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾. وقال إنني خلقت من كل شيء زوجين اثنين، أي أن كل مخلوقات هذه الدنيا بدأت بخلق الله سبحانه وتعالى ذكراً وأنثى ثم بدأ التكاثر بعد ذلك، وهذه هي بداية الخلق، وحقائق الكون كما ذكرها الله في القرآن الكريم هي حقائق أزلية لا يمكن أن تتصادم. تأتي الآن إلى خلق آدم، أخبرنا الله سبحانه وتعالى.. أنه خلق الإنسان من طين يقول تعالى في سورة الرحمن آية ١٤: ﴿خلق الإنسان من

صلصال كالفخار﴾، أي من عناصر الأرض والتربة التي نعيش عليها والبحث العلمي العملي أثبت أن الأرض تتكون من ٢٠ عنصراً كلها موجودة في جسد الإنسان هي الكربون والأيدروجين والأكسجين والنيتروجين والفسفور والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والحديد والنحاس والكلور وتكون هذه العناصر ٦٠ - ٨٠٪ من رماد الجسم، أما الكوبالت والمنجنيز والزنك واليود والخاصين والألومنيوم واليورون فهي توجد بكميات صغيرة جداً في جسم الإنسان، ثم نفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه، والروح من أمر الله، لم يصل إليها العلم ولن يصل، فتم خلق آدم وخلق حواء من آدم.

بداية خلق الإنسان من التطفة وحدها:

لقد كان مفهوماً منذ القدم أن الأم لا دخل لها في خلق أبنائها، ولكن «ماء» الرجل ما أن يصل إلى رحم المرأة حتى ينمو ليكون جنيناً ثم وليداً، مثله في ذلك مثل «البذرة» حيث تصادف التربة الطيبة فإنها تنمو وتزدهر، ولم تكتشف طبيعة الحيوان المنوى كذات مستقلة في السائل المنوى «ماء الرجل» (ماء الخليقة) إلا في القرن السابع عشر، في عهد «ليفنهوك» - Leeuwenhoek وبالتحديد عام ١٦٧٧م اعتبر الحيوان المنوى حينئذ كائناً حياً له ذاته وصفاته المستقلة، التي بها يمكنه أن ينمو فيكون الجنين في رحم الأنثى، وبعد الولادة يصبح فرداً إنساناً وقد تصور العلماء آنذاك أن الحيوان المنوى ماهو إلا إنسان صغير الحجم جداً يجلس القرفصاء.

وكان ليفنهورك قد توصل إلى صنع عدسة دقيقة سمكها أقل من ١٠/١ بوصة متقنة الصقل بحيث كانت تريح الأشياء في ضخامة واضحة، أخذ في توجيه عدساته إلى كل شيء يستطيع الحصول عليه، ففحص رأس ذبابة وألصق معها بالإبرة الدقيقة، وكم أثارت إعجابه التفاصيل الواضحة عندما كان يفحص البذور الصغيرة والبراغيث والقمل لكي يرى التفاصيل التي تعجز العين عن رؤيتها، وفحص بعدسته قطرة صغيرة من ماء المطر فرأى كائنات دقيقة تسبح في هذا الماء.. وكانت الكائنات الدقيقة الجديدة عجيبة وصغيرة وأعدادها كبيرة ومتعددة الطرز، تتحرك وتتمايل وتنقلب ذات الشمال وذات اليمين، فكتب إلى عظماء العلماء في لندن ووصف لهم ما اعتراه من دهشة، وأخبرهم عن رؤية مئات من الكائنات الدقيقة.. فهزت كتاباته العلماء وسرت بينهم الدهشة ولاسيما رؤيته لأول مرة أوعية الدم الشعرية التي ينتقل الدم خلالها من الشرايين للأوردة في ذيل السمكة، واكتشف الحيوانات المنوية للإنسان وأماط اللثام عن تلك الكائنات الحية غير المرئية والتي يعيش بعضها على التهام البعض الآخر، وكان يقول حياة تعيش على حياة، ولذا يعتبر ليفنهورك في تاريخ العلم أول من اكتشف الميكروبات وترك لمن بعده من العلماء أمثال باستير Pasteur بداية تصنيف تلك الميكروبات.

وقد استعان باستير بعدسات ليفنهورك لكشف الميكروبات التي تعيش على اللبن وعلى الخمر، وتوصل إلى أنه إذا سخن اللبن أو الخمر - ولو

تسخينا هينا - قبيل درجة الغليان، فإن هذا التسخين يقتل الميكروبات الدخيلة.. وهذه الحيلة اليسيرة هي المعروفة باسم البسترة في صناعة الألبان.. وعلى مقتضاها تعالج منذ ذلك اليوم فتتعقم وتتجو من التلف والتخثر، ومن أعظم ما خطر على فكر باستير أن الميكروب على ضآلته قد يدخل جسم الرجل أو جسم الثور أو الفيل وينهي حياته، ولم يكن يجد في هذا الخاطر استحالة أو غرابة.

والآن نعاود الكتابة عما جاء بأمر الكتاب، حين نزل القرآن الكريم على الرسول الأمين ﷺ منذ قرابة أربعة عشر قرنا من الزمان، لم يكن أمر الحيوان المنوى - ووظيفته وطبيعته - معروفا كما أن موقفه من تخليق الإنسان وغيره من الحيوانات لم يكن مفهوما.

وفي كتب الشريعة والتفسير حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، يعبر عن السائل المنوى بعبارة «ماء الرجل»، والقرآن الكريم يعبر عنه أيضا «بالماء المهين»، وأحيانا «بالماء» فقط، يقول سبحانه: «ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» السجدة: آية ٨ «ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات: آية ٢٠: «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا» الفرقان: آية ٥٤.

لكن علماء البيولوجيا المعاصرين، يعرفون عن يقين، أن الإنسان وأغلب الحيوانات تبدأ حياتها بخلية واحدة، ومن هذه الخلايا أو اللبانات الدقيقة الحية، تبنى أجسام النبات والحيوان والإنسان والخلية الأولى لتكوين الإنسان، هي حصى اندماج حيوان منوى (نطفة) من الذكر

مع بيضة من الأنثى، والخلية الناتجة تعرف علميا بالبيضة المخصبة أو الزيجوت **Zygote**. ولا يمكن للحيوان المنوى (النطفة) وحده أن ينتج كائنا حيا دون مشاركة من البيضة، أى أن الرجل لا يمكن أن يكون له ولد (أى ابن) دون مشاركة من أنثى، ومن هنا يرجع أمر خلق الإنسان بداية من النطفة للأسباب الآتية:

١ - أن بيضة الأنثى لا يمكنها أن تنقسم وبالتالي لا يمكنها أن تكون جنينا فى رحم الأم إلا بعد أن يخصبها الحيوان المنوى، ومالم يأتها الحيوان المنوى فإنها تبقى بحيويتها على حالتها لفترة زمنية فى انتظار إخصابها بحيوان منوى يصلها فى الوقت المناسب، فإن أخفقت فى أن يصل إليها الحيوان المنوى، فإنها لا تلبث أن تفقد حيويتها فتتلاشى وتمتص ويضيع أثرها.

٢ - النطفة هى السبب الأصيل فى تكوين الجنين، وهى التى تبعث النشاط الانقسامى فى البيضة بعد تخصيبها، ولا يمكن للنطفة أن تكون الجنين إلا بمشاركة البيضة، والتفسير السابق ينطبق على الإنسان عامة، فلم يحدث أن استطاعت امرأة بمفردها، أى دون الذكر، أن تتجب، وولادة سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم، هى معجزة إلهية، والمعجزات أمور خارقة لنواميس الكون ولا يقاس عليها.

وصحيح أن هناك حيوانات أخرى من غير البشر، يمكن لبيضة الأنثى وحدها، ودون احتياج لحيوان منوى، أن تنقسم وأن تنتج الذرارى وهذا شائع طبيعيا فى أنواع من الحشرات مثل حشرة المن، كما أن ملكة النحل يمكنها أن تنتج الشغالات فى طائفة النحل عن طريق وضع بيض لا تخصبه بحيوانات منوية، وانقسام

البيضة على هذا النحو وتكوين الأجنة فيها دونما حاجة إلى الحيوان المنوى، هى ظاهرة تعرف علميا باسم «التولد البكرى أو العذرى»، ولا وجود لمثل هذا التكاثر فى الإنسان.

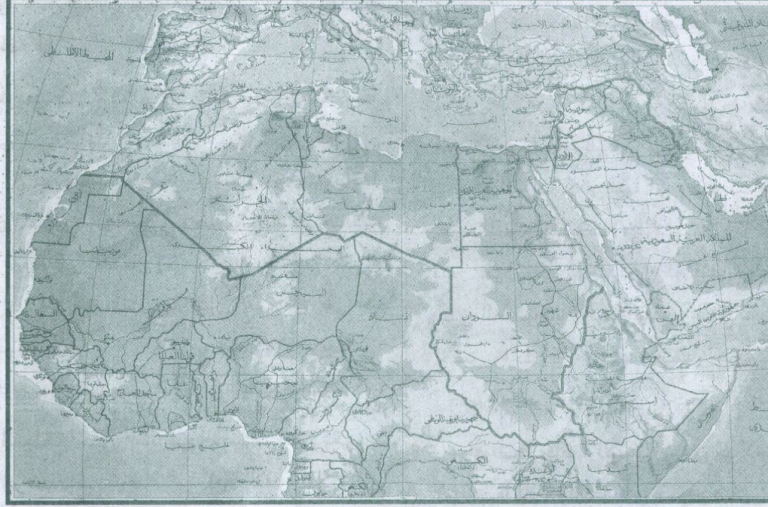
٣ - إضافة إلى ما سبق، نجد أن الحيوان المنوى هو الشق الوحيد من شقى التاسل، الشق الآخر هو البيضة، ويترتب على هذا التنوع تكوين الذكر والأنثى، بمعنى أن منى الذكر يكون الحيوان المنوى فيه على صورتين مختلفتين، إحدهما إذا قدر لها أن تخصب البيضة تنتج عن ذلك جنينا ذكرا، والأخرى إذا قدر لها ذلك نتج عنها جنين أنثى، ولو لم يتنوع الحيوان المنوى على الصورتين السابقتين لنتج عن الإخصاب جنس واحد فقط، وهل يمكن للحياة أن تستمر بجنس واحد فقط دون الجنس الآخر؟

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴿ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقناعلقة مضغة فخلقناه المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾
المؤمنون: الآيات من ١٢ - ١٤.

يقول تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ من نطفة إذا تمنى ﴿النجم: آية ٤٥، ٤٦.

ويتضح مما سبق وبجلاء ودون ارتياب، أن إنجاب الإناث والذكور معا مسئولية الذكر (الزوج) دون الأنثى (الزوجة)، وعليه فليس من الكياسة فى شئ ولا من العدالة فى قليل ولا كثير أن يحمل زوج زوجته مسئولية إنجاب البنات، كما يشيع فى بعض أوساط الجهل والبسطاء من الناس.

علماء الجغرافيا المسلمون وجهودهم في رسم الخرائط وتلوينها وتجسيمها



أ.د/ أحمد شلبي

ابن حوقل :

هو أبو القاسم محمد بن حوقل، ولد ونشأ في مدينة الموصل شمالي العراق، ثم رحل إلى بغداد حيث نال قسطاً من الثقافة، وبدأ رحلاته بالخروج من بغداد بقصد السياحة والتجارة، وكان ذلك سنة ٣٢١هـ، وطالت رحلاته وأسلمته أرض إلى أرض مدة تزيد عن ربع قرن، شملت رحلاته: بلاد العراق من الجنوب إلى الشمال، ثم بلاد فارس، ثم اتجه إلى إفريقية وأوروبا، فزار دول الشمال الإفريقي والأندلس.

وعاصر من الجغرافيين الرحالة الاصطخري وتعرف عليه، واطلع على كتابه «المسالك والممالك» فاتجه ابن حوقل لهذا النوع

في الحديث الماضي تكلمنا عن ثلاثة من مشاهير المسلمين في علم الجغرافيا، وهم ابن خرداذبة والبلاخي والاصطخري، ووضحنا جهودهم في هذا المجال، والخرائط الدقيقة التي رسمها كل منهم، ووصف البلدان التي تقع على هذه الخرائط، وما تشتهر به من حاصلات.

ونستمر اليوم في دراساتنا عن الجغرافيين المسلمين، فننتحدث عن ابن حوقل والإدريسي وياقوت، وسنرى كيف لم يقنع ابن حوقل بدراسة المسالك والممالك في العالم الإسلامي، بل امتد جهده إلى بلاد غير المسلمين، ولذلك سمي كتابه «صورة الأرض».

وأما الإدريسي فقد رسم خرائطه وحفرها على قطعة من الفضة، ووصل بذلك إلى مستوى رفيع لم يسبق إليه وفيما يلي تفاصيل هذا النشاط:

من الدراسة، ولكنه غامر وزار بلادا كثيرة، فيها شيء من الخطورة ولذلك أسمى كتابه «المسالك والممالك والمفاوز والمهالك».

وقد طبعت أجزاء من هذا الكتاب المهم في «لیدن» بهولندا، وفي «يون» بألمانيا وكان ذلك سنة ١٨٧١م، وترجمت أجزاء من هذا الكتاب إلى عدة لغات أوروبية وكذلك إلى اللغة الفارسية، ولابن حوقل كتاب آخر عنوانه «صورة الأرض» وفيه يضع الخرائط لكثير من البلدان بالعالم، وتوفى ابن حوقل سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٧م.

الإدريسي:

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد، ويلقب بالشريف، إذ ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي - رضی الله عنهما -.

وقد ولد في «سبتة» على المضيق الذي يفصل إفريقية عن أوروبا، وطاف بلادا كثيرة منها أوروبا وآسيا الصغرى وأراضى حوض البحر المتوسط، ثم استقر في بلاد روجر الثاني في «بالرما» بصقلية، عندما كانت اللغة العربية لاتزال شائعة في هذه البلاد، وعندما كان بلاط الملك لايزال متأثرا بالثقافة الإسلامية التي سيطرت على الجزيرة ردحا من الزمن.

وفي «بالرما» اتجه لرسم الخرائط ولكن على شكل جديد لم يسبق إليه، فقد حفر خريطة للعالم على اسطوانة من الفضة الخالصة، كما صنع كرة فلكية من الفضة أيضا.

ثم صنف كتابه الذي يشرح معالم هذه الكرة وتلك الخريطة وأسماء «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وهو وصف للأرض اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة، وعلى تقرير نفر من الخبراء بعث بهم روجر إلى مناطق متعددة يصاحبهم الرسامون، وأخذ الإدريسي يتلقى تقاريرهم ويسجلها مما جعل كتابه السابق أهم الأعمال الجغرافية في عصره، إذ كان نتاج جهده ونتاج جهد عدد من الخبراء المرموقين.

وقسم الإدريسي العالم في كتابه إلى سبعة أقاليم مناخية، ثم قسم كلا منها عشرة أقسام من

الغرب إلى الشرق ووضع لكل قسم خريطة، بالإضافة إلى الخريطة العامة، ومن هذه الخرائط استخراج «ميلر» خريطة الإدريسي ونشرها، وقد أعاد المجمع العلمي العراقي خريطة الإدريسي إلى أصلها العربي بعد تصحيح لما وقع في عمل «ميلر» من هنات، ونشرها المجمع العلمي بطول مترين وعرض متر سنة ١٩٥١م.

وللإدريسي كتاب آخر في الصيدلة عنوانه «الجامع لصفات أشتات النبات» وقد ساعدته معارفه ورحلاته الجغرافية في جمع مادته، وأشار فيه إلى أنه استعان بكثير من الكتب التي سبقته في العقاقير.

ومن أبرع ما وصل إليه الإدريسي أنه رسم خريطة لنهر النيل، أبرز عليها منابع النيل الأصلية التي اكتشفها الأوروبيون بعد قرون. وتوفى الإدريسي سنة ١١٦٦م.

ياقوت الحموي:

أديب ومؤلف موسوعات اشتهر بموسوعتيه:

معجم الأدباء - ومعجم البلدان.

وفي معجم الأدباء جمع أخبار الأدباء إلى أيامه ورتبهم على حروف المعجم، وأشار إلى ما اشتهر عنهم من أعمال أدبية كالكتابة أو الوراثة، أو النسخ، أو الخط أو الشعر.

وذكر ياقوت في مقدمة كتابه مجموعة المراجع والمصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب. وهي تدل على مكانته في العلم والمعرفة والتاريخ.

أما كتابه الثاني «معجم البلدان» فهو أيضا موسوعة ضخمة في مجال الجغرافيا، تكلم فيه عن أكثر بلاد العالم ورتب مادته على حروف المعجم كما فعل في معجم الأدباء، ويقولون عن معجم البلدان إنه معجم غني بالمعرفة وليس له نظير في سائر اللغات، وتوفى ياقوت سنة ١٢٢٨م. ولاتزال عندنا معلومات مهمة عن جهود المسلمين في مجال الجغرافيا، وهذه المعلومات دونها Profeson Sharif Muslim Thanght: its Origin and Achievements كتابه ومنه نقتبس بعض الفقرات:

وفي سنة ١٢٩٠م صنع قطب الدين الجغرافي خريطة للبحر الأبيض المتوسط، وقدمها إلى ملك إيران، ووضع أبو الفدا أمير حماة كتاب «تقويم البلدان» الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن الثامن عشر، وكان مرجع كثير من علماء الغرب.

وبالإضافة إلى ما أضافه العرب من معلومات جغرافية لاتزال معينا للباحثين والدارسين، فقد كان العرب معبرا انتقلت بواسطته إلى أوروبا أفكار اليونان الجغرافية والفكرة الهندية عن صورة الأرض، وعقيدة استدارة الكرة الأرضية، والنظرية الصائبة عن أسباب المد والجزر.

ومما يدل على براعة العرب في الجغرافيا ما نشرته مجلة (نيوزويك) الصادرة في العاشر من شهر إبريل ١٩٩١م أن الدكتور (هوى - لن - لي) الأستاذ بجامعة بسلفانيا بأمریکا أورد بعض الدلائل على أن العرب اكتشفوا القارة الأمريكية قبل (كريستوفر كولومبس) بأربعة قرون.

وقد أحدث المسلمون هذه الدراسات في الجغرافيا في وقت كانت الكنيسة تعتبر البحث في المظاهر الكونية خروجاً على الدين كما ذكرت دائرة المعارف.

الجغرافيا التاريخية:

بقى أن نقول إن علم الجغرافيا شديد الاتصال بعلم التاريخ، وقد نتج عن هذه الصلة أن ظهر علم يرتبط بالجغرافيا والتاريخ معاً، هو: الجغرافيا التاريخية، أي أن التحركات التاريخية بسبب الحروب والمعاهدات والتقلبات الكونية استلزمت تغييراً في مسيرة الجغرافيا، فعلى دارس التاريخ أن يكون شديد الارتباط بالخرائط الجغرافية وما يحدث فيها نتيجة لهذه العوامل.

وفي الدراسة الحديثة لعلم الجغرافيا ينقسم هذا العلم قسمين هما: الجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا البشرية، وتعتمد الأولى على العلوم الطبيعية في دراسة مظاهر الأرض، فهي تدرس التربة وأنواعها وتوزيعاتها، وتتناول الحياة النباتية والحيوانية في مختلف الأقاليم، أي أنها تدرس ظواهر وجدت على الأرض قبل الإنسان.

أما الجغرافيا البشرية فتعنى بدراسة مظاهر خاصة بالإنسان.. كالسكان والمدن والإنتاج الاقتصادي.

في مجال الدراسات الجغرافية برز المسلمون بروزاً واضحاً: ففي النصف الأول من القرن التاسع الميلادي إبان حكم المأمون رسم الخوارزمي وأعوانه - وكانوا تسعة وتسعين - خريطة للسماء والأرض. كما قام هؤلاء بمحاولة ناجحة لقياس محيط الأرض على أنها كرة، وقد أجريت هذه المحاولة على سهل (سنجار) وهو سهل إلى الشمال من الفرات، وكذلك على مقربة من مدينة (تدمر)، وكانت نتيجة هذه المحاولة أن توصل هؤلاء إلى أن طول الدرجة الزوالية ٥٦ ميلاً وتلك نتيجة رائعة إذ لم تزد عن الطول الحقيقي إلا بمقدار ٩٥٩ ياردة، وتوصل هؤلاء بعد معرفة طول الدرجة الزوالية إلى أن محيط الأرض يبلغ ٢٠.٠٠٠ ميل وأن نصف قطرها ٦٥٠٠ ميل، وقد ظهرت هذه النتائج في الشرق حينما كان الأوروبيون يعتقدون أن الأرض مسطحة.

وفي القرن التاسع الميلادي قام المقديسي برحلات طويلة استغرقت ٢٠ عاماً زار خلالها أماكن مختلفة من العالم، ثم دون ما يمكن أن يسمى دائرة معارف في الجغرافيا، وصف فيها بدقة جميع الأماكن التي زارها.

وفي أواخر القرن التاسع ثم في أوائل العاشر دخل إلى اللغة العربية ترجمتان كاملتان مستقلتان لجغرافية بطليموس، وقد قام بهذه الدراسة عالمان كبيران، وتلا ذلك أن ظهر باللغة العربية عدد من الدراسات الجغرافية الممتازة اتجهت - مع دراسة الجغرافيا - عدة اتجاهات فمنها، ما اهتم مع الجغرافيا بالتاريخ أو بعلم تخطيط البلدان ومنها ما اتجه إلى ما نسميه الآن الجغرافيا الاقتصادية أو إلى ما نسميه الجغرافيا السياسية، ومنها ما فصل القول عن نظام البريد في عهد الخلافة ونظام الضرائب في كل مقاطعة، كما أن من هذه الدراسات ما اهتم بالمناخ والمناجم والمعادن.

وفي مطلع القرن الحادي عشر نشر البيروني كتابه عن جغرافية روسيا وشمال أوروبا، وفي هذا القرن نفسه استطاع الزرقالي «أبو إسحاق إبراهيم ابن يحيى» أن يقرر أن طول البحر المتوسط هو ٤٢ درجة، وهو تقدير قريب جداً من الحقيقة.

مختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي

د / رمضان عبدالنواب

١ - هذا الكتاب في الأصل، من جمع إسحاق ابن محمد الآسي، ثم اختصره محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٧هـ)، وقد نشر هذا المختصر الأستاذ مصطفى الزرقا في حلب سنة ١٣٤٣هـ، في مجموعة تشتمل مع هذا الكتاب على كتابين آخرين هما: كفاية المتحفظ لابن الأجدابي، والمذكر والمؤنث للفراء.

٢ - تبدأ مخطوطة الكتاب بمقدمة قصيرة، نسوقها فيما يلي:

«هذا مختصر كتاب الوجوه، وهو كتاب جمعه إسحاق بن محمد الآسي - رحمه الله - من كتاب وجوه الأصمعي، وكتاب العين للخليل بن أحمد، وكتاب تكملة العين للخارزنجي، وكتاب اليواقيت (محرفاً: المواقيت) لأبي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب، وكتاب الجمهرة، وأمالى ابن دريد، وسافر كتب اللغة، بعد ما روى أكثرها عن أبي عمر غلام ثعلب، وبعضها عن أبي حامد الخارزنجي، وغيرهما من مشايخه.

- ١ - الوجوه للأصمعي (انظر اشتقاق الأسماء (٣٨).
- ٢ - العين للخليل بن أحمد (انظر: بغية الوعاة ٥٥٧/١).
- ٣ - تكملة العين للخارزنجي (انظر: بغية الوعاة ٣٨٨/١).
- ٤ - اليواقيت لأبي عمر الزاهد (انظر: بغية الوعاة ١٦٤/١).
- ٥ - الجمهرة لابن دريد (انظر: بغية الوعاة ٨٧/١).
- ٦ - الأمالى لابن دريد (انظر: بغية الوعاة ٧٨/١).

«وقع الكتاب في قريب من ألفى ورقة، فاختصره محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الخوارزمي (صاحب مفاتيح العلوم، المتوفى سنة ٣٨٧هـ)، فحذف الحجج من الشعر ونحوه، وألغى ما كان وحشى الوجوه كلها، وأوجز التفسيرات الطويلة، وبalg في الإيجاز مع الشرح ليسهل حفظه، ويخف محمله، بعدما روى الكتاب عن إسحاق بن محمد - رحمه الله - ورتبه على حروف المعجم، لئلا يتعذر وجود ما يطلب فيه، وبالله التوفيق».

وفي هذه المقدمة نعرف أن مؤلفه إسحاق بن محمد الآسي، جمع الكتاب الأصلي: «الوجوه» من الكتب التالية:

وبعد أن عدد هذه المؤلفات، قال: «وسائر كتب اللغة»، وذكر أنه تلقى هذه المرويات عن الزاهد والخارزنجي.

ثم قال إن الكتاب الأصلي «الوجوه» يقترب حجمه من ألفى ورقة.

ونعرف من هذه المقدمة كذلك شيئاً عن المختصر الذي بين أيدينا، وأنه من عمل محمد بن أحمد بن يوسف أبي عبد الله البلخي الخوارزمي (١). وقد لخص عمله فيه في النقاط التالية:

١ - حذف الشواهد من الشعر وغيره.

٢ - إلغاء الوحشى من الوجوه كلها.

٣ - إيجاز التفسيرات الطويلة.

٤ - المبالغة في الإيجاز مع الشرح، ليسهل حفظه ويخفف محمله.

٥ - ترتيب الكتاب على حروف المعجم.

٦ - روى الكتاب كله قبل ذلك على مؤلفه إسحاق بن محمد الآسى.

٣ - لم يصنع الخوارزمي ترتيباً معيناً للكلمات، التي ذكرها على ترتيب حروف المعجم؛ ففي الألف مثلاً نجد: الأبيض والأحمر والأملس والأسود والأقرع والأعمى، والإغراب والإبريق والأم والآسى والإكبار والأمة والآل والآلة والأفن والأتان والأذن والأرض والأنثيان، ونحو ذلك.

٤ - من كتاب الخوارزمي، نعرف أن الزخاف في أيامهم، كانت تدق له الأجراس؛ فيقول (ص ٢٧): «الجرس الصوت، وأكل النحل الشجر، ووسط الليل أو ساعة منه، وتحريك الجرس للزخاف، والكسب والعمل».

٥ - درس الخوارزمي بعض قضايا الصوت والبنية في كتاب «مختصر الوجوه»؛ فهو يقول مثلاً (ص ٣٤): «الحلق مخرج النفس والصوت»، وإذا كان الخوارزمي يرى ذلك، فإننا نعرف منه أن الحلق مكان خروج النفس والصوت، وفي ضوء ذلك نفهم كلام سيبويه (٢)، في أن المجهور يمنع النفس، والشديد يمنع الصوت، فهذا يعنى أن في المجهور منعاً، كما أن في الشديد منعاً كذلك، غير أن المنوع في الأول هو النفس، وفي الثانى هو الصوت، وربما اتضح الفرق بين الاصطلاحين عند سيبويه، لو عرفنا المراد عنده بالنفس والصوت.

ويقول الخوارزمي كذلك (ص ١٠٧): «الهمس حس الصوت مما ليس له جرس، ولعل المراد بالجرس هنا، هو ذبذبات الأوتار الصوتية، التي أحس بها القدماء، دون أن يدركوا كنهها».

وفي قول الخوارزمي (ص ٣٦): «الحج: الحى» بلغة من يجعل الياء المشددة جيماً» إشارة إلى الظاهرة الصوتية، المعروفة بظاهرة «عجعة» قضاة. فهذه القبيلة تقلب الياء جيماً، كما في قول الراجز:

خالى عوف وأبو علق
المطعمون اللحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج

يقلع بالود وبالصيصج (٣)

٦ - والشواهد الشعرية معدومة في الكتاب تماماً، ولا يوجد من القرآن الكريم، إلا شاهدان فقط وهما:

١ - كانوا يعبدون الجن (سبأ ٤١/٣٤).

٢ - حجرا محجورا (الفرقان ٢٥/٢٢).

وأما الأحاديث والأمثال وأقوال العرب، فهي ليست قليلة في الكتاب.

ومما ذكره الخوارزمي، ما يلي:

- أَلْفٌ أَقْرَعُ (يعنى تام).

- أول صَوْكٌ وَبَوْكٌ (أى أول كل شيء).

- لا يعرف هِرًّا من بَرٍّ.

- اسقنى بول عجوزك (أى لبن ناقتك).

- نهى عن بيع حَبْلِ الحَبَلَةِ.

- جىء به من حَسَكٍ وَبَسَكٍ.

- للعاهر الحجر.

- لا خل عنده ولا خمر.

- جاءوا بِزَرْهَمٍ (أى بجماعتهم).

- شَتْوَةٌ زَوْلَةٌ (شديدة البرد).

- ماله سَمٌّ ولا حَمٌّ (أى شيء).

- أمرهم سوط واحد (أى أمر واحد).

- قشر له العصا (أسمعه ما يكره).

- لا تمثّلوا بنامية الله.

٧ - ذكر الخوارزمي في الكتاب مجموعة من كلمات المثني اللغوي؛ مثل (ص٣): الأبيضان (ص٤) الأسودان، كما ذكر أن يوم السبت يسمى عند العرب: «شيار». وهو اسم من الأسماء القديمة للأيام عند العرب في الجاهلية؛ وهي:

١ - الأحد = أول.

٢ - الاثنين = أهون.

٣ - الثلاثاء = جُبَار.

٤ - الأربعاء = دُبَار.

٥ - الخميس = مؤنس.

٦ - الجمعة = العروبة.

٧ - السبت = شيار (٤).

٨ - ومن الكلمات الشامية الشائعة في مصر، عند الخوارزمي، قوله (ص٥١): «الرَّيْرُ حُبٌّ» (إناء من الفخار) الماء، بلغة أهل الشام.

٩ - ومن وجوه كلمة: «الفَش» التي ذكرها الخوارزمي (ص٨٣)، يتبين لنا أن معظمها سيئ، ويبدو أنها خاصة بأعمال البلطجية، والحرافيش، في الزمان القديم. وهذه الوجوه هي:

«الفش الفسوة، وإخراج الريح من الرُّقِّ، وتقطيع اللبن في المحلب، والتميمة، والكساء الرقيق والأحمق، والخرنوب، والردى من التمر، وأكل كَسَرِ الصدقة، وأكل ما على المزابيل، وفتح المغلاق بغير مفتاح».



ونذكر هنا شيئاً من النماذج للكلمات التي أوردها الخوارزمي في كتابه، مع وجوهها المختلفة: (ص١٠): البَعْلُ الزوج، وَبَعْلَتُ المرأة بَعْلًا؛ تزوجتها. وبعل الدار ربها، وما شرب بعروقه من النخل، وصنم كان يعبد.

(ص٢٥): الجَنُّ أحد الثقلين. والملائكة، وأول كل شيء وحِدْثَانُهُ. وكل ما أَجَنَّك وسترك. والأوثان. ومنه: «كانوا يعبدون الجِنَّ» أى الأوثان، ولأجن به أى لا خفاء به. وجنّ العين المنية.

(ص٤١): الخال أخ الأم. والخيلاء. والمختال، وضروب من البرود. وثوب من ثياب الجهال.

والسحاب المخيل. والشامة. واللواء يعقد للولاية. والقائم بالمال. وناحية الجنوب. والبطن. والملك السائس. والجمل العظيم، وأثر الخير والكرم.

(ص ٥٥) : السواد الشخص. والمال. وسواد العراق. والجماعة. والتمر والماء. وسفح الجبل. وضد البياض.

(ص ٧١) : العلم العلامة. والراية. وشق في الشفة العليا. وطرأز الثوب علمه. وماله علم، أى نظير. والجبل.

(ص ٧٣) : العمر العمر، واللحمة بين السنين. ولحمتا اللهاة عمران. واللؤلؤة والخززة فى أسفل القُرط.

(ص ٧٨) : العين الناظر. وعين الماء. وعين الركبة. وما عن يمين القبلة بالعراق. وعين الركبة. وقرص الشمس. والمال العتيد. وهو عين الكريم، أى الكريم عينه، ولا أطلب أثرا بعد عين، أى معاينة، والدنانير، وإصابة الإنسان بالعين. والجاسوس. والميل فى الميزان، ومطر أيام لا يقلع. وخاصة الملك ووليّه، وخيار المتاع، وما بالدار عين، أى أحد. وفساد الأديم فى الدباغ. ومصدر حَقَرَت حتى عنت.

(ص ٨٦) : القلس حبْل ضخم من ليف وخصوص. والسحاب، والماء الكثير، وما يخرج من الحلق عند القيء. وشرب النبيذ الكثير، والغناء الجيد، والرقص فى غناء، واللعب بين يدي الوالى يوم قدومه.

(ص ٨٨) : القرن الخصلة من الشعر. والعرق. وقرن الشاة والبقرة. والحين. والأمة، والسيد من الناس، وحد السيف. ومستقر الولد من البطن،

وضرة إبهام الرجل. وزبد الخمر، وكالعفلة فى رحم المرأة.

(ص ٩١) : الكفل كساء يجعل حول السنام ويركب، والذي لا يثبت على متن الفرس. والمتهور. وخارقة توضع على عنق الثور تحت الثير لئلا ينسحج. والنصيب، والشعر ينبت بعد الناسل. ورديف الإنسان.

(ص ٩٥) : اللحن إسقاط الإعراب. والفهم والفتنة، ومعنى القول، والإيماء واللغة، يقال: فى لحن بنى فلان، وترجيع الصوت.

(ص ٩٨) : المحراب القبلة، والغرفة، وصدر المجلس، والشجاع، وموضع مقيل الأسد فى العرينة.

(ص ١٠٦) : الهلال غرة القمر حين يهله الناس، والغبار، وحى من أحياء العرب، وحديدة يعرف بها الوحش، والطاحونة، والحية، وسمة فى الفخذ، وشئ من ملابس النساء. وصب السماء.

(ص ١٠٨) : اليد معروفة. والنعمة السابغة. ونصاب السيف، وسية القوس، ويد الدهر مدى زمانه، والمالك يقال: الضيعة فى يدي. ومصدر يديته إذا أصبت يده. والكم. وأعطيته مالا عن ظهر يد، أى فضلا. وبنو فلان يد أى متفقون. واليمين اليد اسم له خاصة.

الهوامش

- ١ - انظر: وفيات الأعيان ٢٥٥/٦ والأعلام للزركلى ٢٠٤/٦، وكشف الظنون ١٧٥٦/١، وهديّة العارفين ٥١/٦.
- ٢ - الكتاب ٤٠٥/٢ - ٤٠٦.
- ٣ - انظر: فصول فى فقه العربية ١٣٠.
- ٤ - الأيام والليالى والشهور للقراء ص ٦.

خير أمة والبعث الحضارى المنشود

لايساورنى

أدنى شك، أنا فى

أمس الحاجة إلى بعث

حضارى جديد، يبعث فى روح

هذه الأمة لهيب الجد والعطاء،

لكى تعرف الأمة المسلمة أولوياتها

فى هذه المرحلة من تاريخ

البشرية، ولو غفلنا عن تبعتنا فى

هذه المرحلة الراهنة، فسندقى الله

ونحن مقصرون فى الأمانة.

دكتور/ جمال رجب سيدبى

التف المسلمون تحت راية واحدة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فالمسلمون الأول على قلة عددهم استطاعوا بفهمهم الحق لهذا الدين، أن يزلزلوا مملكة الفرس، والروم، وأن يشيدوا بالإسلام حضارات عظيمة شهد لها التاريخ بالقوة، وأقام الإسلام الحضارة الإسلامية شامخة.

لم يكن المسلمون آنذاك ربع سكان العالم، كما هو الآن تقريبا لى يزلزلوا الممالك الطاغية، فقد كانوا قلة ولكن أى بشر هؤلاء!! لعمري أتصورهم وكأنهم ملائكة هبطوا من السماء!!

فالفهم الصحيح للإسلام، هو الذى يحقق النتائج الصحيحة، فالمسلم الذى يضيع وقته سدى،

إن البعث الحضارى المنشود، ضرورة شرعية من هذا الجيل المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها لخدمة دين الله. وتحقيق منهجه فى الأرض، وهذا البعث غايته إعادة الحضارة الإسلامية إلى مكانها المنشود، وهو توجيه خط سير البشرية نحو الهدى والخير للناس جميعا «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر». إن هذه الآية الكريمة بألفاظها المعبرة الرفيعة توجب على الأمة الإسلامية واجبات وفروضا لى تصل إلى مرتبة خير أمة!! لا أن تكون فى ذيل الأمم!! وكانت خير أمة أخرجت للناس، يوم أن عرف المسلمون دورهم وتبعاتهم نحو هذا الدين، يوم أن

دون عمل منتج، ودون إبداع، ودون عطاء، ويظن أنه من خير أمة أخرجت للناس ويشرف بالانتساب إليها كلا. وألف كلا! إن المرحلة الراهنة في أمس الحاجة إلى الاستفادة بكل دقيقة من أجل عمل منتج، ومن أجل إبداع وعطاء للنهضة والتنمية لدفع عجلة الاقتصاد الإسلامي.

إن الشعارات والهتافات لا تكفي لنهضة الأمم، فالأهم الجادة العظيمة هي التي تعمل كثيرا ولا تتكلم إلا قليلا، فضلا عن أن ديننا الحنيف ينهانا عن اللغو فيما لا طائل منه **«والذين هم عن اللغو معرضون»**.

إن الاهتمام بجانب الروح في العبادة، لا بد أن يواكبه إبداع في علم المادة، فالإسلام كل لا يتجزأ، يولى عنايته بالروح والجسد في توازن لا يخل هذا بذاك، أما جهلة الدين، ممن يظنون أن العبادة هي الاهتمام بالروح وحسب، ويستعدون عن الحياة والعمل والعطاء، فهذا هو الفهم المبثور لهذا الدين.

فالحضارة الغربية، بمعطياتها في مجال العلم الآن واضحة وضوح الشمس لكن هذه الحضارة تعاني من الخواء الروحي لأن الطفرة العلمية لم تواكبها طفرة روحية مماثلة، وهذا سر الأزمة وقربها من الاحتضار.

لكن هذا لا يدعونا إلى الكسل والتخلف بدعوى أن هذه الحضارة اقتربت من الفناء. إن مسؤولية الأمة المسلمة أن تحاول ما استطاعت للحاق بركب هذه الحضارة من الناحية العلمية، وتحاول أن تبذل في علم المادة، وأنا أعلم أن البون شاسع لكن المهم البداية.

من المؤسف أن بعض المتدينين يظنون أن الاشتغال بعلوم الدنيا أقل مرتبة في العبودية من علوم الدين، وعلى هذا، فيترك الفرد منهم تخصصه كالكيميائي مثلا ليولى قبلته إلى علوم الدين، وربما يضيع وقته سدى في قضية حسمت منذ عدة قرون!! ويظن أنه بذلك يخدم دينه وأمته في هذه المرحلة.

إن الصحوة الإسلامية المعاصرة في أمس الحاجة إلى ترشيد لخدمة دين الله، فالمسلم الحق يسخر الدنيا لخدمة الدين، ويوم أن خسرت الدنيا أضحت حالنا الآن، العالم الثالث، أو العالم المتخلف كما يقولون، لا كما كنا من قبل، العالم الأول، وهل يرضى عنا ربنا، الذي وصفنا في قرآنه المجيد بكنتم خير أمة، هل يرضى عن خير أمة وهي في ذيل القافلة!!

هل يرضى عن خير أمة وهي تضيع أوقاتها سدى؟ هل يرضى عن خير أمة وهي لا تملك قوت يومها؟ هل يرضى عن خير أمة وهي مقصرة في مجال العلم والتكنولوجيا بهذا التخلف المذري؟ إذا لم نفق الآن فمتى نصحو؟ هل نتنظر أن نلقى ربنا ويحاسبنا بتقصيرنا؟

أزعم أن الإبداع في مجال العلم والمادة، مسؤولية هذه الأمة نحو بعث حضارى جديد، لأننا نملك مقومات الحضارة القوية البنيان، التي تهتم بالروح والجسد ومؤهلة لقيادة البشرية.

إننا في أمس الحاجة إلى الطبيب المسلم النابه، لعلاج المرضى، والصيدلى العالم ليجنبنا شرور الأدوية الفاسدة التي تفتك بالأمة، وغيرهما في كافة التخصصات المختلفة.

إن المسلم الذي يساعد في دفع التنمية الاقتصادية في أى بلد مسلم له فضل عظيم ومشوبة إن شاء الله في الآخرة **«قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين»**، ولقد قبّل الرسول ﷺ اليد الخشنة التي تعمل وتكدح، وقال هذه يد يرضى عنها الله ورسوله.

إن في أعناقنا مسؤولية أمام الله، إذ لم نؤدها حق أدائها فما ندرى ما الله صانع فينا؟ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم. فهل من بعث حضارى جديد لترضى الله ورسوله؟

شخصيات إسلامية



- العلامة محمود شكرى الألوسى
«عالم العراق وإمامه الكبير»
- الجاحظ وحديث عن الموهبة
الأدبية
- الشيخ أحمد حسن الباقورى
«فى ذكرى رحيله»

العلامة محمود شكرى الألوسى عالم العراق وإمامه الكبير

يقول الشاعر العربى:

أرى كل غصنٍ نابعاً من أرومة

أبى نسب العيدان أن يتغيرا

د. محمد رجب البيومى

حاجة إلى أن أعيد بعض ما ذكرت، ولكنى أشير إلى أن الشهاب - رحمه الله - ورث المجد العلمى عن أب كريم النبغة، غزير العلم كان رئيس العلماء فى عصره، وقد تتابع أبناؤه يستتون بسيرته خلفا عن خلف، حتى جاء الحفيد محمود شكرى الألوسى فكان مذكرا بفضل هذه الأرومة الماجدة، وتتابع الفضل العلمى فى أسرة من الأسر غير تتابع الفضل المالى، فقد تكون الأسرة عريقة فى الثراء المالى دون أن يكون ذلك موضع مباهاة، لأن المال الموروث لا يبدل وحده على فضل الوارث إذ وجد عقارا وضياعا وتجارة فنشأ منعما فى ماورث، وخلفه من تمتع بميراثه دون جهد يدل على معدن خلقى أصيل، أما وراثة العلم فمن أشق الوراثة لأنها تتطلب من كل خلف أن يكده ويكسده حتى يكون رأسا فى العلم، والعلم ذو حسد ومنافسة، فلا ينبغ فيه إلا من كد وكده وأوتى مع الكدح المتواصل رغبة حارة فى الارتقاء إلى معارج الفكر متسلحا بالصبر والسهرة والاطلاع ومداومة التأليف النافع حتى يشهد بفضلته منافسوه. وإذا كان الشهاب الألوسى موضع القدوة

هذا البيت يعبر عن حقيقة مشاهدة لا مجال لإنكارها، فنحن نعرف فى تاريخ العلم أسرا شهيرة ظل أفرادها يتتبعون الزعامة العلمية فاضلا بعد فاضل، وكل عالم يضيف إلى التراث الفكرى ما يعتبر فخرا للأسرة جميعها، وقد يكون منها ذو الفضل الجهير الذى يعم نوره آفاقا كثيرة، وذو القدر المحدود فى النتائج العلمى، ولكن الجميع ينهلون من مورد واحد، وإن اختلف الضياء بين الشمس والقمر والنجوم، هكذا نعرف فى تاريخ العلم من يسمى بابن رشد الجد وابن رشد الأب وابن رشد الحفيد، كما نعرف من يسمى بالسبكي الجد والسبكي الوالد والسبكي الابن، فإذا جئنا إلى الأسرة الألوسية فإننا نجد أنها توارثت المجد العلمى كبيرا عن كبير، فقد كانت من الأسر الماجدة فى العراق لأمد طويل تجاوز عدة قرون حتى سطع نجم الشهاب الألوسى صاحب التفسير الشهير (روح المعانى)، فكان الشمس المشرقة التى تدور حولها أقمار ونجوم، وقد بسطنا سيرته بسطا يشير إلى فضله العلمى، وجاهه العائلى بما يعرف قارئى هذه البحوث⁽¹⁾، فلست الآن فى

الحافزة لمن تلاه فإن الحفيد محمود شكرى الألوسى كان أظهر من لمع نجمه فى الأسرة من بعده، ولن أنكر فضل أبيه وأعمامه فكلهم ذو سمعة طيبة، وله ذكر فى العلم مشهود، ولكن والد محمود شكرى لم يتمتع بالحياة قدرا يتيح له أن يترك مؤلفات علمية كما ترك أبناء هذه الأسرة الماجدة، وحسبه أن ترك مؤلفا حيا هو ابنه الكريم، إذ هيا الله له أن يحمل الراية بعد عمه نعمان الألوسى، فكان حامل الزعامة العلمية فى وطنه، تشرئب إليه الأنظار إذا احتدم الجدل واختلط الحق بالصواب، وقد عرفنا من سيرة المخلصين من العلماء أنهم يتعرضون لمكايد الحسدة، ووشايات الموتورين فيلاقون من ذلك بلاء لا يطاق، وعلى قدر الارتفاع العلمى تكون سعة هذه المكايد وتواصل حلقاتها، كذلك لاقى محمود شكرى من هذه الدناءات مالا لاقى جده الشهاب، فعملت الدسائس على زعزعة أمنهما حينما من الدهر، واضطرا إلى مغادرة بغداد ليدرأا عنهما سطوة الحاكم المعتدى، وبغى الرؤساء فى تركيا، حين أمروا بالعقوبة لوشاية دنيئة دون تحقيق، لقد سجن الشهاب أمدا طويلا لأنه صدع بالحق، واضطر إلى أن يرسل إلى الأستانة من يعمل على إبراء ساحته حتى اتضح الأمر بعد جهد كبير فى المعاناة، إذ أوصدت داره وحوربت أسرته فى رزقها أمدا غير قصير، كما جاء الأمر من الأستانة نفسها من بعد بعقوبة محمود شكرى وتقديمه إلى المحاكمة فى العاصمة الكبرى للخلافة، فسار طائعا مفوضا إلى الله أمره، حتى بلغ فى رحلته (الموصل) وبها من أهل الفضل من يعرفون فضله، ويعلمون أن الدسائس هى التى أحكمت هذه الفرية الظالمة، فتواصلوا بإكرامه مع من صحبه، ليرحل من الموصليين إلى دار الخلافة من يعلن كيد الكائدين فى بغداد للرجل المفضل، وقد نجح المسعى، فتم العفو الشامل، وعاد العالم الكبير إلى بغداد من الموصل، فاستقبل بها استقبال

المنتصر الفائز، ورأى من الوالى الجديد رجلا فاضلا ذا رغبة فى الصلاح والإصلاح فركن إليه وأمدّه بالمشورة، ولم يقبل أى منصب دينى ليتفرغ إلى الدراسة العلمية مدرسا ومؤلفا، ولعله علم ما كابد جده الشهاب من المحنة حين عزل عن الإفتاء، وصودرت أمواله، وتعطلت موارد رزقه، فلم يجد ما يمنح به تلاميذه المترددين على داره كعادته، بل لم يجد الضرورى لأسرته وقد تعودت على النعمة السابقة، وهى سحابة تخيم ثم تتقشع!! عرف محمود شكرى ذلك فاعتزل المناصب طائعا مرتاحا، وله فى ذلك غرائب عجيبة روى بعضها تلميذه الأثير العالم الأديب الشيخ محمد بهجت الأثرى فقال^(٢).

«روى الأب انستاس مارى الكرملى عن الأستاذ محمود شكرى الألوسى أنه كان بعد الاحتلال الإنجليزي منقبض النفس، ضيق اليد يلبس خذاء خشنا من أحذية الجنود فقال له الأب انستاس: يامولاي أراك تلبس فى قدمك ما يلبسه المرتزقة من جنود الإنجليز من الأحذية الضخمة ذات الصوت المزعج، والحمل الثقيل، فابتسم الألوسى وقال: إني أقنع بما أستطيع أن أشتريه»، وكان الأب انستاس يعرف أن الألوسى قد وصل إلى حالة قاصية من الحاجة الشديدة لأن الأتراك قد منعوا عنه كل خير، فلما بلغ أمره المعتمد الإنجليزى حاول أن يضمه إلى صفه وهو رأس العلماء فى بلده، وله صلة وثيقة بالأب انستاس فكلفه أن يحمل إليه ثلاثمائة جنيه ذهبيا، وهى يومئذ تعد مصدر ثراء لأسر شتى لا أسرة واحدة، فغضب شكرى الألوسى وصاح فى وجه الأب انستاس قائلا: خير لى أن أموت جوعا من أن آخذ مالا لم أتعب فى كسبه، فجعل يلح عليه ويصف له شدة فاقة أسرته، وأنه إذا صبر على الشدة فأولاده الصغار لا يصبرون، فأصر على الامتناع، وقال للأب انستاس، إذا أكثرت من إلحاحك طردتك!

يقول الأب انستاس: ولكن فاقه الأستاذ كانت وقرأ على وعلى محبيه، فتكلمت مع ذوى الأمر ليعين قاضيا للقضاة ببغداد، وأجيب الطلب، وسارعت بإخباره، فقال لى: إن هذا المقام يستلزم علما زاهرا، وذمة لا غبار عليها، ووقوفا تاما على الفقه، وأنا لا أشعر بذلك، ووجدانى يحكم على بآنى غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضى قضاة المسلمين! وقد كان هذا الموقف مصدر عجب شديد لمن يعلمون عسر الشيخ وضيق يده. وظل يتردد عنه، حتى لقي ربه، فقال الأستاذ عز الذين التوخى فى رثائه:

تعرضت الدنيا له مستميلة

فأثر أخراه وأعرض نائيا

وقال لمعطيه الدنانير عد بها

لصاحبها، إذ عزة النفس ماليا

لأحوج بالدينار منى مفيدة

إذا كان بالدينار يرمى المراميا

وفى هذا المجال، أرى رأيا غير ما يرتثيه الأستاذ الألوسى فإن ولاية القضاء منصب علمى هو له أهل، وقد يكون تحييه عنه بابا لإعطائه من لا يبلغ مبلغه فى العلم والفضل، ثم إن المال مال بغداد نهبه الإنجليز من خزائنها، وهم لا يعطون قليلا أو كثيرا من خزانة إنجلترا، ولكنهم يسلبون الكثير، ويمنعون القليل، فالرجل يأكل من رزق بلده لمهمة علمية يقوم بها، وهو أهل لها، وإذا خاف على نفسه أن يتعرض للحكم بما لا يراه، فهنا يجب عليه أن يستعفى، والمحتمل الإنجليزى لا يتدخل فى مسائل القضاء، وقد تكون هذه ميزته الوحيدة فى كل بلد احتله، ولكن التحرز الشديد كان دافعا للشيخ فأثر المثال على الواقع.

كتب السيد محمد رشيد رضا للألوسى ترجمة موجزة بالمجلد الخامس والعشرين من المنار، الجزء الخامس ص ٣٧٢، إذ كان من عادته أن ينعى أهل الفضل عند رحيلهم، فيقول مالهم وما عليهم،

إذ لم يكن النعى لدى صاحب المنار مجرد ثناء حافل لا يعرف النقد، وقد قال عن الأستاذ الألوسى:

«إن التعليم فى المدارس الدينية الإسلامية كله تقليدى فإذا رأيت عالما مستقلا فاعلم أنه لا فضل لمدرسته ولا لشيئوخها فى ذلك، بل سببه استعداد خاص فيه، قارنه إرشاد مرشد من غير العلماء الرسميين فى الغالب أو اطلاع على بعض المصنفات التى ترشد إلى العلم الصحيح، وحسب فقيدنا العزيز أنه كان فى أثناء طلبه للعلم يراجع تفسير جده، أو يطالع كتابة أستاذه وعمه (جلاء العينين) فهما يرشدهانه إلى ترك التزام ما قرره أفراد من العلماء من أتباع مذهب معين وترك ما سواه وإن وضع دليله لأنه من مذهب آخر، وما يدرينا لعل عمه السيد خير الدين كان يرشده إلى الاستقلال ولو فى الأصول، وإن كان كوالده صاحب التفسير يلتزمان التقليد فى الفروع، فمهما كانت حالتهم فى التدريس والفتوى، فقد كانا غريبين عن عصرهما لما أوتيا من سعة الاطلاع وعدم الجمود على المؤلف عند الأشياخ، والذى يظهر لنا أن الأستاذ - رحمه الله - لم يعن بالدعوة إلى الاستقلال وترك التقليد، وتربية نشء جديد يقوم بذلك، على ما كان عليه من الشجاعة وعدم المبالاة بالدنيا».

وهذا الكلام يتضمن حقا كثيرا، ولكن بعضه يحتاج إلى تعليق، فالجد الشهاب والحفيد شكرى لم يكونا يلتزمان التقليد فى الفروع، لأن كل مقلد لا يحيد عن مذهبه الخاص به شافعيًا أو حنفيًا أو مالكيًا أو حنبليًا، ونحن نعلم من آراء الجد والعفيد ما يخرج بهما عن التقيد بمذهب معين، فقد كان الشهاب الألوسى شافعيًا، ثم تولى القضاء فدرس المذهب الحنفى الذى هو مذهب الدولة العثمانية المسيطرة حينئذ، وأفتى به، وهو فى تفسيره آيات الأحكام لا يتحيز لمذهب خاص

بل يختار من آراء الأئمة ما يرتاح إليه، لأنه وهو العالم الجهير، يعلم أن كلا منهم مجتهد يفترض في اجتهاده الخطأ والصواب، وكذلك كان الأستاذ شكرى الألوسى، ولهذا تعددت الآراء الفقهية فى مؤلفاته التى لم تتخذ وجهة إمام واحد لا تتعداه، أما قول السيد رشيد رضا «والذى يظهر لنا أن الأستاذ - رحمه الله - لم يعن بالدعوة إلى الاستقلال، وترك التقليد وتربية نشء جديد يقوم بذلك»، فهذا ما يخالف الواقع، إذ كان للأستاذ الألوسى مدرسته العلمية الأدبية التى خرج منها عشرات النابغين وأحدثت تيارا جديدا فى التفكير العراقى صار به الأستاذ أحد الأعلام الموجهين، وقد نشر المنار عقب كلمة السيد محمد رشيد كلمة أخرى فى تأبين الأستاذ شكرى الألوسى جاء فيها ما يخالف قول الأستاذ رشيد، وكاتبها هو تلميذ الأستاذ محمود شكرى الباحث الطائر الصيت الأستاذ محمد بهجت الأثرى وقد قال فيها^(٣):

«وبعد بلوغه الثلاثين اهتدى إلى المحجة البيضاء التى لا تضل سالكها، وكسر أغلال التعصب، وفك ربة الجمود من عنقه، وأطلق طائر فكره من قفص التقليد الأعمى إلى فضاء التساهل والتيسير، وطفق يأخذ بالكتاب والسنة، وبما يوافقهما من كلام سلف الأمة من غير تحزب لشيعة أو مذهب، فصعد بعد أن رسخت قدماه بالأخذ بالدليل الحق، وشن غارات شعواء على الخرافات المتغلغلة فى النفوس بمؤلفاته العديدة التى زعزعت أسس الباطل وأحدثت انقلابا عظيما فى الأفكار».

وإذا كان الأستاذ قد اشتغل بالتدريس أمدا غير قصير إذ زاول الشرح فى جامع العدلية، ثم فى مدرسة (السيد سلطان على) ثم فى المدرسة (الدأودية) ثم فى مدرسة (مرجان) غير دروسه بالمساجد العامة، وهى دروس منتظمة خرجت

أدباء من أشهرهم الشاعر الكبير معروف الرصافى، فكيف يكون الأستاذ بعد ذلك لم يعن بتربية النشء؟، وهل كانت هذه المدارس حجرات خالية من الطلاب؟، إن بعض مؤلفاته لم يكتبها بنفسه، وإنما كانت أمالى فى حلقات الدرس حفظها الطلاب من بعده، وصارت كتباً فى أيدي الناس، بعضها مخطوط، وبعضها مطبوع، وقد أحصى الأستاذ بهجت الأثرى ما عثر عليه من مؤلفاته فى مقالته المشار إليه بالمنار فكانت خمسين مؤلفا ما بين مبسوط ذى أجزاء، ومختصر يقرب من المتون، ولعل السيد محمد رشيد يقصد بعدم تربية النشء أنه لم يكن صاحب مدرسة فكرية، كالأستاذ الإمام محمد عبده، إذ جاوزت دروسه الأزهرين إلى كبار العلية من المثقفين فى مصر، والبيئة المصرية هى التى ساعدت الأستاذ الإمام محمد عبده على الازدهار، وكانت البيئة العراقية لعهد الأستاذ محمود شكرى لا تسمح بذلك لعدم انتشار وسائل الثقافة من صحف ومطابع ومكتبات، وقد قال تلميذه معروف الرصافى فى رثائه:

لم تترك فنون العلم والأدب

أما خشيت عليهما من يد العطب

تلك المدارس قد أوحشتها فعدت

خلوا من الدرس والطلاب والكتب

ما إن تركت لها فى العلم من وطر

ولا لمتابها فى الدرس من أدب

ولم يخص الأسى دارا نعت بها

بل عم مبتعدا من بعد مقترب

وإذن، فالألوسى كان أستاذ معشر، وقائد نشء

مع نبوغه فى الجدل والتصنيف.. لا يزال صاحب

الرأى الحر مصدرا من مصادر الخلاف بين من

يتجهون إليه فى حسم بعض المسائل ذات الجدل

الممتد، لأنه سيصدر رأيا يوافق فريقا ويفض

فريقا آخر، ولو أخذ العلماء من المتجادلين بمبدأ

الإنصاف لرجعوا إلى الحق متى استبان لهم طريقه، ولشكروا من أخلص لله النصيحة، وللحق الفتيا، ولكن من لم ترضهم آراء الألوسى شنوا الهجوم عليه، ونسبوه إلى الإلحاد تارة، وإلى الممالة تارة أخرى، لذلك خاض الرجل المسالم في مؤلفاته الجدلية حرباً لا نعرفها، فأبلى بلاء صادقاً في الدفاع عن رأيه، ولم يستطع خصومه أن يقارعوا الحجة بالحجة، فقارعوها بالعنت واللجاج، ومنهم من تلمس الظروف السياسية للإيقاع به، لدى المسؤولين، ورأى في ذلك شفاء لنفسٍ تنقد لوعاجها، أما المناسبة فإن الحاكم التركي جمال باشا قد اختار الألوسى للسفر إلى أمير نجد، ليضمه إلى الصف التركي في الحرب القائمة، وقد سافر الشيخ ليستمع إلى القول ثم يرى مافيه من صواب فيقبله أو باطل فيدحضه، فهو في اللغة السياسية سفير يعرض شروطاً، ويعطى رغائب ووعوداً، ومثل محمود شكرى لا يذهب لينصر فريقاً من المسلمين على فريق، ولكن لينصر الحق أياً كان موضعه، وقد حدث أمير نجد ورأى عنده من الأنباء ما لم يكن يعلم، فرجع ليبدى خلاصة ما وقع عليه من أمور، ولم تكن هذه الخلاصة مما يريح الحاكم التركي، فرأى المغرضون أن يدسوا بأن سفيره العالم العامل لم يكن مخلصاً له في سفارته، ولم يعمل على إنجاح كل ما اعتزمه جمال باشا، وقد صدق الحاكم ذلك بدءاً، فتعرض الشيخ لمضايقات في رزقه وعمله وراحته حيناً من الدهر، ثم اتضحت الحقيقة السافرة فعرف الحاكم أن الألوسى لم يملك أن ينتقل بصاحب نجد من جهة إلى جهة، وأنه قام بالرسالة على الوجه المستطاع، وقد رأى الألوسى أن يسجل رحلته إلى نجد في كتاب تاريخي علمي يضم من التاريخ القديم قدر ما يحفل به من وقائع التاريخ المعاصر، وهو كتاب قيم لا يزال به بريقه لأنه يسجل حلقة من حلقات النزاع المتأزم بين

الأتراك والعرب، في سلسلة من الحلقات لم يكتب لها بعد أن تظهر على وجهها الصحيح، لأن بعض من كتبوا عن هذه الفترة الحرجة قد مثلوا وجهات نظر خاصة، والمؤرخ الصادق لابد أن يقرأ وجهات النظر جميعها في حيدة مخلصه ثم يحكم بما ينتهي إليه البحث دون انحياز.

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب عن رحلة الألوسى التي سماها (تاريخ نجد) وبلغت ما يناهز مائة وعشرين من الصفحات:

«يبتدئ الكتاب بالكلام على تحديد نجد نقلاً عن مؤرخي العرب، وتليه جملة صالحة من شعر الأموى (يزيد الإيوردى)، وقد نظم شعراً في الحنين إلى نجد سماه التجدييات معارضاً به الشريف الرضى في شعره الذي أطلق عليه (الحجازيات) وشعر الأموى في التغنى بنجد والحنين إليها مشهور، ثم فصل فيما اشتملت عليه نجد من القرى والبلاد، وفصل في قرى الإحساء وبلادها، وفصل في شمائل أهل نجد ومعايشهم وأقواتهم، ويلي ذلك بسط المقال على معتقداتهم وأعمالهم، وفيه مناظرة ابن جرجيس صاحب كتاب (صلح الإخوان) والشيخ عبداللطيف حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفيه سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويلي ذلك بيان عظيم الأهمية للقبائل الساكنة اليوم في نجد، وفصل في نسب آل الرشيد وآل سعود وبيان من تفرع عنهم من الأمراء، وفيه ذكر رسم حكومتهم، وبعض مكاتبات آل سعود في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي آخره فصل في بعض من اشتهر من علماء نجد، ولاسيما الشيخ محمد بن عبدالوهاب»^(٤).

وهذه الرحلة إلى نجد، تذكرنا برحلة الشهاب الألوسى صاحب روح المعاني إلى الاستانة، حيث نهض إليها من بغداد ليثبت براءته من تهمة التصقت به، وقد كان ذا سعة شاملة في حديثه

عن المدن التي مر بها من بغداد حتى عاد إليها، واصفا من لقيه من العلماء والرؤساء، ومسجلا ما اختاره من أحاديثهم، والرحلة وثيقة سياسية تاريخية تعد مصدرا لتاريخ حقبة غامضة، ولا يشينها غير الأسلوب البديعي الذي كتبت به، وهو داء العصر جميعه.

يقول مؤرخه الأستاذ محمد بهجت الأثرى (٥):

«كان رحمه الله إماما في معرفة مذهب السلف، يأخذ بالدليل دون تقليد، شديد الإنكار على الحشويين لا يعرف المحاباة ولا المداجاة، يقول للمصيب أصيب، وللكاذب كذبت».

ومن هنا تواترت مؤلفاته في الرد على خصوم رأيه، ومن هذه المؤلفات ذات الصدى المتجاوب الآية الكبرى على ضلال النبهاني وراثيته الصغرى، وصب العذاب على من سب الأصحاب، وغاية الأمانى في الرد على النبهاني، والكتاب الأخير دفاع قوى عن أعلام الإسلام الكبار من أمثال الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والأمير الهندي صديق على خان، والمصلح نعمان الألوسى، وجمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، ورشيد رضا، لأن الشيخ النبهاني تناول هؤلاء جميعا بالهجو المقذع، وذلك غير سبيل المنصفين، إذ انحاز إلى ناحية التوسل والاستعانة بغير الله! ولم تكن مناقشاته مقصورة على الجدل العلمى فى مسائل الخلاف، بل تعدى ذلك إلى ما تخيله من الهنات التى ألصقها ظلما بهؤلاء الأفاضل، فأحدهم لا يصلح، والآخر يقترب المنكرات، وما أظن هذه التهم مما تليق برجل يدافع عن الإسلام! وقد نظم ثلاث قصائد فى هجاء جمال الدين، ومحمد عبده ورشيد رضا، وقال عن الأستاذ الإمام:

يدل على خافيه ظلمة وجهه

وأفعال قلب المرء من وجهه تقرا ..

وهو قول مضحك حقا، لأن مرأى الإمام رحمته الله

عنه يخلع المهابة والإجلال فى نفس رائيه، ونوره

بتلأ لأ بهاء حتى لتخشع دونه الأبصار كما قال حافظ إبراهيم فى مدحه (٦).

رأيتك والأبصار حولك خشع

فقلت أبو حفص ببرديك أم على

إلى قصائد أخرى تدل على سمته الرائع، وليس هنا مكان الاستشهاد بها، وقد انتشرت مؤلفات النبهاني، وسكت عنها بعض من تعمدوا إهمالها، ولكن الألوسى رأى أن يدحضها، وقد فعل.

ومن كماله الخلقى أن مقالا ناقدا توجه به الشاعر الكبير محمد باقر الشيبى إلى بعض كتب الألوسى، فلم يشأ أن يرد عليه، لأنه ناقش بأدب، وتكلم فى الموضوع لا فى الذات، ثم وقع الشاعر باقر الشيبى فى محنة سياسية حين قال بهجو بعض أبناء العراق الذين مالوا المحتلين، طمعا فى المنصب.

أبناء هذا الشرق تعسا لشرقكم

أما فيكمو إلا ابن خائنة غمر

فرفع بعض القراء دعوى عليه لأنه فى رأيه طعن فى شرف أمهات الموظفين الذين يمالئون الاحتلال حين نظم هذا البيت، ورأت المحكمة أن ترجع إلى خبير أدبى يفسر مقصد الشاعر كما يفهم من نظمه، فاختارت العلامة الأستاذ محمود شكرى الألوسى للنظر فى الحكم، وظن بعض الصغار أن الألوسى سيهتبل الفرصة فيميل على ناقد الممتد، ولكن الألوسى تدبر الموقف، وذهب إلى قاعة المحكمة ليعلن أن البيت برئ من تهمة الزنا، لأن الله عز وجل يقول عن امرأتى لوط ونوح **«كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين»** التحريم: آية ١٦، قال الإمام الألوسى حاشا لله أن تخون نساء الأنبياء أزواجهن بالزنى، فالمقصود بالخيانة هنا مخالفة الأمر، وعلى هذا فالشاعر حين قال (أما فيكمو

إلا ابن خاتمة غمر) يقصد المخالفة للأمر-
لألزانية، وبهذا الرأي الحاسم يرى باقر الشبيبي
من الاتهام.

نتنقل إلى أهم أثر علمي للألوسي، تردد ذكره
في الشرق والغرب، وكانت له به حظوة بالغة في
دوائر الاستشراق ذلك هو كتابه الرائع (بلوغ الأرب
في معرفة أحوال العرب) الذي نال به جائزة
البحث العلمي من لجنة الألسنة الشرقية في
استكهولم، إذ اقترحت اللجنة منذ أكثر من قرن
على علماء الشرق والغرب تأليف كتاب يعرب عن
أحوال العرب قبل الإسلام ويستقرئ كل ما كانوا
عليه في أحوالهم العامة والخاصة، فتقدم للجنة
أناس ذوو فضل ببحوثهم الجيدة المنتقاه،
واضطرت اللجنة إلى مراجعة كل ما قدم من
البحوث الضوافي، وأقل بحث يقع في ألف من
الصفحات، ثم استقرت على أن كتاب الأستاذ
الألوسي أحسن ما كتب في موضوعه، وأقربها إلى
الشروط المطلوبة فاستحق الجائزة، ونال المؤلف
الوسام الذهبي تقديراً لجهده العلمي، وقد بعث
إليه الكونت كرلودى لندبرج قنصل النرويج
برسالتين تشيان على مجهوده العلمي الشاق، ونشر
الرسالتين بأسماء الصحف العربية في مصر
والعالم العربي فكان لهما أثرهما في ذبوع الكتاب،
واقبال القراء على تصفحه، وحرص أساتذة
الاستشراق على صداقة الأستاذ فكانوا يرسلونه
في كل ما غمض عليهم من شئون البحث العلمي،
فيجيب على هذه الرسائل بإشباع، وقد أسف الأب
انستانس ماري الكرملى لأن الألوسي لم يحاول
جمع رسائله العلمية لتطبع في كتاب خاص، فتكون
ذخيرة كبرى للقراء جميعاً بدل أن تكون ملكاً
للمبعوث بها إليه وحده، وقد كان كبار الباحثين من
أمثال أحمد تيمور وأحمد زكي وأحمد الاسكندري
يحتفظون بصور مما يرسلونه إجابة على الأسئلة

الاستشراقية، ونشرت بعض هذه الرسائل فهدت
إلى خير نافع!
وقارئ كتاب (بلوغ الأرب) بأجزائه الثلاثة
الكبار يشعر أن المؤلف قرأ أكثر من مائتي كتاب
مابين مخطوط ومطبوع، والمخطوط في أيامه -
ولا يزال - أكثر من المطبوع حتى استطاع أن
يتحدث عن تاريخ العرب في الجاهلية بما لم
يستطع أن يصل إليه أحد من سابقه، وقد يؤخذ
عليه أنه اهتم بالجمع والحشد أكثر مما اهتم
بالتحليل والنقد، ولكن موضوع الاقتراح كان منصبا
على جمع الأخبار من ناحية، وكان الجهد المبذول
في جمع هذه الأخبار من دفائن المخطوطات لا
يسمح بجهد آخر في التحليل والتعليل، والمؤلف
بذلك قد قدم أدوات البناء الكافية لإقامة صرح
شاهق للأمة العربية، ولولا هذه اللبانات ولولا هذه
الأرض ما ارتفع البناء فيما بعد على أيدي من
واصلوا البحث في كتاب الأستاذ وحده ليقوموا من
مواده كتباً مختلفة، ذات فنون شتى، فمن يتحدث
عن عادات الجاهليين، ومن يتحدث عن أديانهم،
ومن يتحدث عن طبقاتهم، وعن أجوادهم
وخطبائهم وكرمائهم، وعن مساكنهم في الحضر
والوبر، وأسواقهم ومناظراتهم وأنسابهم، وحكامهم
المستمع إلى آرائهم في المعاضل المتأزمة، وعن
تقاليدهم الذائعة في أفراحهم ومآتمهم، وأحلافهم
السياسية، ولعبهم بالميسر والقداح، ومذاهبهم في
الشعر والخطابة والوصايا، وعلمهم بالتاريخ
وحوادث الأيام وما اشتهروا به من العرافة
والكهانة، ومعرفة نجوم السماء وتقلبات الرياح
والأنواء والبروج ومن اشتهروا بالزجر والعيافة،
ومن أنكروا الزجر والطيرة، وما قالوه في الرعد
والبرق والسحاب، والمأمهم بمسائل الملاحة وارتداد
البحر، وهي مسألة كانت موضع جدل لدى من لم
يقرأوا شيئاً من تاريخ العرب في كتبه المتداولة
حتى كشف عنها الألوسي النقاب، أما أحوال

التجارة والصناعة والحدادة والحياسة والنسيج والكُسى والعمائم فمما كاد يكون جديداً على القارئ قبل أن يجمعه الألوسى فى كتابه الحافل، وقد اختتم الكتاب بفصل حافل عن سكتة البوادرى وما امتازوا به عن سكتى الحضر، وهو فصل جيد ينصف قوما رموا بالغفلة بغيا دون حق، وقد وصل إلى مقطع الرأى حين قرر أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، لأن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها من خير أو شر، والبدوى متجه إلى الخير بطبعه إلا إذا ظلم فإنه يركب جواد الشر، وهو هنا ليس بشريه ولكنه منتقم ينتصر لنفسه، والله عزوجل يقول: ﴿وَلَنْ انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ الشورى: الآيتان ٤١، ٤٢.

على أن بعض الأدعياء قد قطع من صفحات الكتاب ما ليس له، ونسبه إلى نفسه دون أن يهتم بذكر المصدر فى الهامش على الأقل، وهى مأساة تحدث عنها الأستاذ الأثرى فى مقدمة الطبعة الثالثة من الكتاب فقال:

«وقد تطفل بعضهم بعد ظهور الكتاب، على تأليف كتاب مشابه يبحث عن العرب وأطوارهم، فانتحل معظم الكتاب حرفياً من غير مبالاة بملامة لائم، حتى إنك لتجد الخطأ المطبعى فى بلوغ الأرب وارداً بعينه فى كتابه، وهذا من أغرب ما رأيناه من أدعياء العلم والأدب، لا أكثر الله عديدهم، ونسأل غفار الجرائم والذنوب أن يغفر هذه الجريمة التى يَسْوَدُّ منها جبين الإنصاف، ويحمر لها وجه العلم خجلاً».

والكتاب فى طبعته الثانية محلّى بشروح أدبية رائعة للأستاذ محمد بهجت الأثرى، كشفت غوامض كثيرة، وأضافت من المعلومات ما ارتفع به

قدر الكتاب فوق ماله من قدر، إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات هذه الطبعة وما يليها من الطبعات من تعليق لغوى أو نحوى أو تاريخى أو جغرافى، وقد يضطر إلى مخالفة أستاذه فى رأى، فيتقدم كالمسائل المستفسر لا كالتناقد المؤاخذ، وهذا من أدب النفس قبل أن يكون من أدب الثقافة والاطلاع، ولا يثبت للتعليق على كتاب الألوسى غير تلميذه الأثرى فهو منه بمثابة محمد رشيد رضا من الأستاذ الإمام!

ولأهل العلم رغبة لا أدرى كيف تنتهى، فقد ذكر الأستاذ الأثرى فى مقاله بالمنار أن له أكثر من خمسين مؤلفاً ذكر أسماءها دون لبس، كما ذكر أنه قرأ أكثرها فى مخطوطات لدى الأسرة الألوسية، فلماذا لا تُؤلَّفُ لجنة علمية لفحص هذه الآثار، ونشر ما تتجه إليه الرغبة فى نشره خدمة للعلم والأدب، واقتداء بما قامت به لجنة نشر الآثار التيمورية فى مصر حين عكفت على إصدار بحوث العلامة أحمد تيمور المخطوطة، بحثاً وراء بحث، وبعض هذه البحوث كان ناقصاً لم يتم، فحاول القائمين على نشره أن يستكمل مواضع النقص فى فصول ضاعفت حجم الكتاب، حتى صار به كتاباً آخر. كما نرى فى صنيع الدكتور زكى محمد حسن حين أشرف على نشر كتاب (التصوير عند العرب) للعلامة أحمد تيمور، فهل من مستجيب لهذه الرغبة، فيلبى أمانى كثيرة لعشرات من الباحثين!! هذا ما نرتجيه.

الهوامش

- ١ - النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ج٢ ص٣٢.
- ٢ - الحديقة: للأستاذ محب الدين الخطيب ج٤ ص٨٤، تحت عنوان (زهد الألوسى).
- ٣ - مجلة المنار - المجلد الخامس والعشرون ص٢٧٩.
- ٤ - مجلة الزهراء، المحرم سنة ١٣٤٤هـ ص٦٢.
- ٥ - المنار مجلد ٢٥ ص٢٨٢.
- ٦ - ديوان حافظ ج١.

الجاحظ

وحديث عن الموهبة الأدبية

قراءات في تراثنا

من النقد الأدبي:

د/ طه مصطفى أبو كريشة

” النبوغ في الأدب، وإحسان القول فيه، مثل النبوغ في أي فن من الفنون، لا بد فيه من ملكة خاصة؛ من أجلها يفترق شخص عن آخر، ويمتاز هذا عن ذاك، وإذا اختص بها واحد أبدع وأجاد، وإذا حرّمها غيره مضى في ركب الحياة وليس له في مجال الإبداع الأدبي نصيب.“

يصل بها إلى سن الرشد المؤهل للإبداع الأدبي العلني.

فمن هذا قوله:

«وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشاكلانك في بعض المشاكلة، ولا تهمل طبيعتك، فيستولي الإهمال على قوة القريحة، ويستبد بها سوء العادة» (البيان والتبيين: ٢٠٣/١).

وإذا كان من الأمور البديهية أن موهبة الأديب تحتاج إلى غذاء ثقافي تنصده نماذج الأدب العالية، فإن «الجاحظ» يبين لنا في هذا التوجيه أمرا لا يقل أهمية عن الزاد الثقافي؛ إنه الممارسة العملية للعطاء الأدبي، والتأليف البياني؛ وهي ممارسة مركزة على الرياضة والمران؛ للكشف عن كفاءة الموهبة، وإثبات جدارتها؛ حتى يفيض ذلك النبع المختزن في أغوار النفس، وحتى تنقذ نار

وقد وقف النقد العربي القديم عند ظاهرة الموهبة الأدبية، وتناولها النقاد بالدراسة محاولين الكشف عن أسرارها، وبيان ما ينبغي أن يفعله من يستشعر - في نفسه - ديب الموهبة الأدبية، وقد انتهى بهم البحث حول منبعها إلى أنها عطاء إلهي ومنحة ربانية لا يقدر العبد على اكتسابها إذا كانت مفقودة من الأصل.

و«الجاحظ» من أوائل الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة حديثا باكرا؛ وهو حديث يكشف عن بصيرة نافذة، ورؤية فاحصة، وحس دقيق إزاء هذا الأمر المستور.

١ - فمن حديثه عنها، ما يتصل بها وقد بدت تباشيرها وإرهاصاتهما عند من اختص بها، وشعر في نفسه بميل إلى الأدب إنشاء وتذوقا، وفي هذا الحديث نراه يوجه ويرشد السائر في أول الطريق إلى كيفية تنمية الموهبة الوليدة ورعايتها؛ حتى

الحجر المستكنة فيه؛ وما ذلك إلا لأن إهمال هذا الجانب يؤدي إلى أن تصدأ القريحة، ويعلوها الغبار، وينطفئ منها الوميض الوهاج؛ حتى تصل في النهاية إلى الجمود والخفوت والجفاف، وإلى أن تتواري بعيدا في غياهب الذاكرة، وتتوه وسط عادات الإنسان وطبائعه الأخرى.

٢ - ومن هذا الحديث ينتقل «الجاحظ» إلى حديث آخر متصل بما يلي مرحلة الدربة والمران؛ وهي مرحلة إخراج النماذج التي سوف تذاق على المتلقين، وهنا ترى «الجاحظ» يوصي الأديب بآلا يتعجل تقديم النماذج؛ قبل أن يجرى لنفسه اختبارا يعرف من خلاله إذا كان أدبه يلقي أذنا مصغية أو لا.

وعن هذا الاختبار الذاتي يقول:

«فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتسبب إلى هذا الأدب: فقرضت قصيدة، أو حبرّت خطبة، أو ألقت رسالة، فأياك أن تدعوك ثقفتك بنفسك، أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك، إلى أن تنتحله وتدعيه، ولكن أعرضه على العلماء في عُرُض رسائل أو أشعار أو خطب؛ فإن رأيت الأسماع تصغي إليه، والعيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه؛ فانتحله، فإذا عاودت ذلك مرارا؛ فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية؛ فخض في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه، أو زهدهم فيه» (البيان والتبيين ٢٠٣).

وحديث «الجاحظ» هذا فيه تحذير لأولئك الذين يتعجلون الظهور قبل أن ينضجوا، وقبل أن

تكتمل لهم الأداة؛ حين يريدون أن يكونوا ممن يشار إليهم بالبنان شعراء أو كتابا أو خطباء؛ إنها دعوة إلى التأني والتريث للطمئنان على جودة السلعة التي سوف تطرح في الأسواق؛ فلتوضع أولا مع نظيراتها من تأليف غيره، ثم لينظر بعد ذلك هل راجت ونفدت، أو كسدت وبارت؟ فإن كانت الأولى فليمض، وليعلن عن نفسه، وليظهر بضاعته موسومة باسمه، معلنة بشارته، وإن كانت الأخرى فليبحث عن مجال آخر يصلح للعمل فيه، وكل ميسر لما خلق له.

وقول «الجاحظ»: «فإذا عاودت ذلك مرارا» يشير به إلى أن الاختبار الذاتي لا ينبغي أن يؤخذ بنتيجته السلبية من أول الأمر؛ فيكون من ثم العدول الفوري؛ ذلك لأن إخفاق الأديب مرة لا يحسن أن يزرع اليأس في نفسه؛ بل عليه أن يكرر المحاولة المرة بعد المرة؛ فإن القريحة مثل الضرع تدر بالاتراء؛ وهو أمر يجب أن يكون الأديب على ذكر منه؛ فإذا كان الإلهام لن يجود لما عنده في اللحظة التي نريدها، ولن يجيبنا في الوقت الذي نحدده نحن؛ فكذلك الأمر في مستوى الإجابة، فإنه يختلف من وقت إلى وقت آخر؛ وعلى هذا فقد ينجح الأديب آخرًا فيما أخفق فيه أولا، أما إذا تمادى به الإخفاق، وطال عليه زمان التأبى فقد أعذر نفسه إلى نفسه، وأراحها من أول الأمر من أسنة حداد.

٣ - ثم يأتي للجاحظ حديث ثالث: يجيب فيه عن سؤال: هل من رزق موهبة الأدب يستطيع أن يبدع ويجيد في كل فروع الأدب شعره ونثره؟ وفي إجابته نراه ينفي ضرورة القدرة على الإبداع في

كل فرع على جهة التعميم، وإن كان هذا لا يمنع الخروج على القاعدة عند بعض الأفراد، و«الجاحظ» في هذا الحديث يقيس فن الأدب على سائر الفنون والمهارات في أن هناك تخصصا داخليا في كل فن.

وعن هذا يقول:

«قد يكون الرجل له طبيعة في الحساب، وليس له طبيعة في الكلام، وتكون له طبيعة في التجارة، وليس له طبيعة في الغناء، وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحن، وتكون له طبيعة في الناي، وليس له طبيعة في (البوق) السرناي، وتكون له طبيعة في قصبة الراعي، ولا تكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين، ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع، ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر، وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيدة إلى الرجز ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيدة، ومنهم من يجمعهما، وفي الشعراء من يخطب، وفيهم من لا يستطيع الخطابة، وكذلك حال الخطباء في قرض الشعر، والشاعر نفسه قد تختلف حالاته».

وإذن فالقاعدة أن الموهبة يجرى عليها قانون التخصص في داخل الفن الواحد (٢٠٧/١) وهو تخصص جبري، في الأغلب الأعم، وعلى هذا فلا تثريب على من كان شاعرا مجيدا إذا لم يستطع أن يكون مبدعا ناثرا، ولا إزراء بمن أبدع في أي فن من فنون النثر، ولم يستطع أن يكون له تبرز في باقي فنونه أو في الشعر.

■ وبعد: فهذا حديث «الجاحظ» حول بعض الجوانب التي تتصل بموهبة الأديب؛ وهو حديث

يسبق به كثيرا من آراء النقد الحديث التي تلتقي معه، ولا تذهب إلى أكثر مما ذهب إليه، ومنها ما جاء في قول العقاد: «إن الشاعر قد يحكم قلمه، ويدعو الألفاظ فتسعه، ولكنه لا يحكم طبعه، ولن يكون الطبع عند دعوته، بل إن الإنسان هو الذي يكون عند دعوة طبعه! وهو رهن بما تحوى إليه سجيته»، وقوله: «وليس يلزم أن تتوافر في الطبع بواعث السخط والنقمة؛ كما تتوافر فيها بواعث الشكر والرضاء والثناء، وشأن الشاعر في هذا كشأن المصور والموسيقي وسائر أصحاب الفنون فقد يولع المصور بتمثيل العمائر والقصور، ولا يأتي بشيء في تمثيل الطلول والقفار، وقد يحسن الموسيقى أن يفرح السامعين بأنغامه، ولا يحسن أن يحزنهم ويشجيهم» (مطالعات ٣٩٢ - بين الكتب والناس: ١١٢) ترى: هل يحدثنا «العقاد» هنا بلسان «الجاحظ» حدثنا بلسان العقاد في القديم؟ إننا لن نبعد عن الصواب أيا كان الجواب.

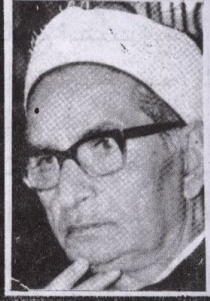
تصدق الرسول في مرضه

قال ابن رجب في «لطائفه» كان عنده ﷺ في مرضه سبعة دنانير فأمرهم بالتصدق بها.

فاشتغلوا بوجعه، فأمر بإحضارها وتصدق بها، ثم قال: ما ظن محمد بربه لو لقيه وعنده هذه؟.

قال ابن رجب: فكيف حال من يلقي الله بدماء المسلمين وأموالهم بغير حق؟!

الشيخ أحمد حسن الباقورى فى ذكرى رحيله الخامسة عشرة



الشيخ الباقورى

على الرغم من مرور خمسة عشر عاما على رحيل الشيخ أحمد حسن الباقورى - رحمه الله - عن دنيا الناس إلا أن سمته وصورته واسمه وأحاديثه لا زال كل ذلك يتردد على الألسنة، ويتحدث الناس عنه كأنه لا زال يعيش بينهم.

وقد ولد الشيخ - رحمه الله - فى قرية باقور بمحافظة أسيوط عام ١٩٠٧م، وكان والده مشغولا بالعلم إلى جانب مزاوئته التجارة، فأسلمه إلى معلم القرآن فى قريته، ولما أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد أسيوط الدينى، وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية فى سنتين من كل مرحلة بدلا من أربع سنوات.

أ. د/ محمد إبراهيم الجيوشى

وظهرت قدرته الخطابية، ومواهبه الزعامية أثناء قيادته للحركة الطلابية، التى كان لها أثر فى توجيه الأحداث السياسية والفكرية، وكانت حركة الطلاب تضم طلاب الجامعة إلى جانب طلاب الأزهر، وقد لفتت مقدرته الخطابية كتابا لامعا آنذاك هو فكرى أباطة، فكتب مقالا يتنبأ فيه للشيخ بمستقبل مشهود فى القيادة والزعامة.

واعقل الشيخ عدة مرات لما كانت السلطات الانجليزية مسيطرة على مقدرات الأمور فى البلاد، وأودع أولا سجن الأجانب بالقاهرة، وهناك تعرف على الرئيس السادات والطيار حسن عزت، وجمال الحماصى وسواهم، ثم رُحِّل إلى معتقل باقوسا بالمنيا هو وزملاؤه.

ولقبه الباقورى له قصة طريفة كان - رحمه الله - يرددها على أسماعنا، إذ كان جد أبيه قد نزح إلى صعيد مصر من الأندلس مارا بتونس، وكان اسمه الشيخ عبدالقادر البدوى، ولذلك كان الاسم الرسمى المسجل للشيخ - رحمه الله - هو أحمد حسن أحمد عبدالقادر البدوى، وقد كتب إلى الجهات المسئولة فى عام ١٩٣٥م لما كان زعيما للطلاب طالبا أن يصير اسمه أحمد حسن الباقورى، ولكنه لم يتلق ردا على هذا الطلب إلا بعد سبعة عشر عاما لما عين وزيرا للأوقاف عام ١٩٥٢م.

وكان الشيخ - رحمه الله - قد التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وتخرج فيها عام ١٩٣٥م، وكان زعيما لحركة الطلاب آنذاك،

الإقناع.

وكان سبب إقامته بعيدا عن الأضواء هذه المدة تعرضه لوشايات حاقدة من الحسدة الذين يكرهون أن يروا إنسانا ناجحا مرموقا تجتمع القلوب من حوله، وتقصت له إذا تحدث فأفسدوا ما بينه وبين رئاسة الدولة، بما زيفوه من وشايات لم ينكشف زيفها إلا بعد هذه السنوات الطوال، وقد تحدث عنها - رحمه الله - في كتابه بقايا ذكريات.

وفي عام ١٩٦٤م عين - رحمه الله - مديرا لجامعة الأزهر، وكانت جامعة الأزهر في أيامه ملتقى الفكر العالمى، يشارك فيه علماء من الشرق والغرب على السواء، وقد شهدت قاعة الشيخ محمد عبده محاضرين من أوروبا وأمريكا والهند، واستقبل الشيخ - رحمه الله - أعدادا كثيرة من أساتذة الجامعات من أمريكا وأوروبا، وكان يتحدث إليهم في كل لقاء، وكان حديثه يستولى على مشاعر مستمعيه، ويثير عددا من القضايا التي تشغل العالم الإسلامى، وموقف الغرب غير العادل منها، وكثير مما قيل فى هذه اللقاءات مطبوع بمعرفة جامعة الأزهر.

وفي عام ١٩٦٦م مرض الشيخ، وظل يعالج من مرضه فى مصر، وفى لندن، ولكن ذلك المرض لم يحل بينه وبين تتابع العطاء، فقد شهدت تلك الفترة ظهور أغلب مؤلفاته، وكان مجلسه فى لندن ملتقى الأدياء والعلماء والشعراء والصحفيين من العالم العربى الذين كانوا يترددون على لندن آنذاك، وكان كبار

وكانت قدرة الشيخ الخطابية تجذب إليه الانتباه إذا تحدث، وشارك فى كثير من المؤتمرات والندوات السياسية والفكرية والاجتماعية.

وبعد تخرجه عمل بالتدريس فى المعاهد الأزهرية، ثم أسندت إليه مشيخة معهد القاهرة، ثم مشيخة معهد المنيا، وظل به حتى عام ١٩٥٢م لما قامت الثورة، ومن معهد المنيا اختير وزيرا للأوقاف، وظل بالوزارة عدة سنوات، كان له فيها آثار مذكورة مشكورة، وكانت مشاركته فى الوزارة ذات أثر بعيد فى الاطمئنان لاتجاهات الثورة فى العالم الإسلامى، بل وكانت مؤشرا لدى الغرب إلى الاتجاهات الإسلامية للثورة حتى إن جريدة التايمز الإنجليزية المشهورة كتبت آنذاك تقول: «ثورة الإسلام فى القرن العشرين».

وبعد أن ترك الشيخ الوزارة ظل فى بيته خمس سنوات وخمسة أشهر، وخمسة أيام، كان مجلسه فيها حافلا بارتياح العلماء والباحثين وقادة الفكر، وكانت تناقش فيه القضايا الدينية والفكرية والأدبية واللغوية إلا أن الشيخ - رحمه الله - لم يكن يسمح أن تثار قضايا سياسية فى مجلسه، وكانت هذه المدة كأنها تحديد إقامة فرضها الشيخ - رحمه الله - على نفسه، وكانت فرصة للاستزادة من العلم واتساع آفاق المعرفة لديه أكثر من ذى قبل، وكان - رحمه الله - يدير الجلسات العلمية، ويشارك فى المناقشات بما يجلى رأى، ويوضح الحقيقة، وقد أعانه على ذلك بيانته المشرق، وعلمه الغزير، وقدرته على

رجال الدين المسيحي في انجلترا يزورونه ويدور بينه وبينهم أحاديث شتى تتسم بالود والتقدير، وعلى الرغم من المرض فلم يتوقف الشيخ - رحمه الله - عن المشاركة في كل ألوان النشاط سواء كان سياسيا أو فكريا أو دينيا .

وأُسند إليه - رحمه الله - رئاسة مجلس إدارة جمعية الدراسات الإسلامية وعمادة المعهد التابع لها، وكان يحاضر في المعهد على عهده صفوة العلماء وقادة الفكر في شتى نواحي المعرفة، وقد فتح الباب أمام خريجي الجامعات المختلفة في مصر والعالم العربي للترؤد من المعرفة الإسلامية الصحيحة والحصول على شهادة الدبلوم والماجستير من المعهد .

وخلال رئاسته لجمعية الدراسات الإسلامية كان مستشارا لرئيس الجمهورية، وأسندت إليه الرئاسة العامة لجمعيات الشبان المسلمين العالمية حيث شهدت في عهده نشاطا ملحوظا، وحفلت مجلة الشبان المسلمين بالبحوث والمقالات التي كان مقالاه واسطة العقد فيها، وكان في الوقت نفسه يصدر عن معهد الدراسات العربية مجلة «الزهراء» وظل مسئولاً عن هذه المؤسسات حتى لقي ربه في لندن في الخامس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٨٥م.

وكان الشيخ - رحمه الله - إلى جانب أنه عالم متمكن وأديب كبير تشهد بذلك كتبه وبحوثه كان إلى جانب ذلك شاعرا جهيرا له إنتاج شعري متنوع في موضوعات شتى، ويصدق عليه قول الإمام الشافعي رحمه الله :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى

لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكانت هناك بعض الأحداث لا يستطيع أن يسكت إزاءها، فيفيض إحساسه شعرا يعبر عما في نفسه، وبخاصة إذا أحس أن هناك تطاولا على دين الله، أو غضا من مكانة رسول الله ﷺ، ومن ذلك أن الأستاذ أحمد حسن الزيات نشر مقالا بعنوان «أمة التوحيد نتوحد» عقد فيه مقارنة بين الدعوة المحمدية والدعوة الناصرية وفهم مما كتب أنه يعلى من شأن الأخيرة، وكان مما قاله ما يلي: «إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ولكن العقيدة مهما تدوم قد تضعف أو تحول، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان، والسلطان يعتريه الوهن فيزول، أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم، وهذه المقدمات الثلاث ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتشتغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم، والأثرة والطماعية، والطفيان والحسد كانت ومازالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم.

وقد رد الشيخ - رحمه الله - على هذا السفه في الرأي، والوهن في العقيدة، والملق في الخلق بقصيدة عصماء بلغت مائة وخمسين بيتا نقتطف منها ما يلي:

هذرت وبعض الكفر أوله الهذر

وجرت وراء المرء أقتله الجور

تعاميت عن قدر النبي وأنه

بعينيك شمس ليس من دونها ستر

ورحت ترى الدنيا بعيني حبيبة

يدلها حسن وترفها وفر

فلم تر إلا سيد الناس ترتعى

حماء وأنت الواهن الأعزل الغير

توازن بين النيل ترجف فلكه

وركة ماء بلّ جلدتها النهر

وتعدل بالشمس الجلييلة شمعة

يضل سناها حين ينبثق الفجر

ويقول في المقطع الأخير منها:

ألا أيها المفتون ضل خياله

وللمرء أحيانا خيالاته الفُتر

خف الله، إن الله مرّ حسابه

وخف فيك أطماعا يلجّ بها الخسر

غدا، وغدّ دان وإن تك ذاهلا

تروح ويبقى منك ما سودّ الحبر

وذو شقوة من أمّ دارا بعيدة

فضل به الهادي وناء به الظهر

وإياك ياشيخ المجلة والهوى

فأعذبه مرّ وأسهله وعَر

لدتلك نصحي والإخاء نصيحة

يموج بها صدر ويعنو لها صدر

وللشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة،

وأحاديث تفوق الحصر، وتراوحت مؤلفاته بين علوم القرآن والسنة والسيرة والتاريخ والأدب، والاجتماع، والفقه، وقضايا العالم الإسلامي، ومنها:

١ - أثر القرآن الكريم في اللغة العربية.

٢ - مع القرآن الكريم.

٣ - القرآن مآدبة الله للعالمين.

٤ - ويسألونك عن ذى القرنين.

٥ - صفوة السيرة المحمدية.

٦ - قطوف من أدب النبوة - جزءان -.

٧ - من معالم الشريعة.

٨ - مع الصائمين.

٩ - على إمام الأئمة.

١٠ - في عالم الصيد.

١١ - في عالم الروح.

١٢ - الدين والتدين.

١٣ - دروس وكلمات.

١٤ - الإسلام والأسرة.

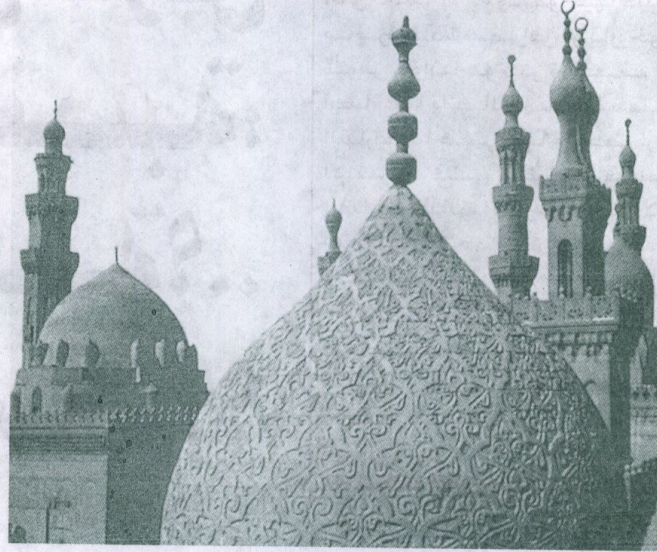
١٥ - العودة إلى الله.

١٦ - بقايا ذكريات.

١٧ - عروبة ودين.

هذه الإمامة سريعة بمعالم حياة الشيخ أحمد حسن الباقوري - رحمه الله - وأجزل مثوبته، وتولاه بفيضه وفضله وحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

الدعوة والدعاة



• التنازل عن الأرض المغتصبة:

هدنة؟ أم سلام؟

• العمل في الإسلام

• الإسلام والإنسان

التنازل عن الأرض المغتصبة؛ هدنة؟ أم سلام؟؟

رغم كثرة مشكلات الأمة الإسلامية، وتعدد مآسيها - في مرحلة الاستضعاف التي تعيشها الآن - إلا أن لمأساة فلسطين خطراً خاصاً ومكاناً متميزاً..

فالرباط بين المسجد الأقصى والبقعة التي باركها الله من حوله وبين الحرم الشريف، والقبلة التي تجمع الأمة وتهفو إليها قلوب المؤمنين، ليس مجرد رباط جغرافي أو تاريخي أو حضاري أو قومي.. وإنما هو «دين» نتعبد الله به.. ثم هو، أيضاً، دنيا ومصالح إسلامية معتبرة، تجسدت في التاريخ والجغرافيا والحضارة على مر تاريخ الإسلام.. ففي القلب من فلسطين تقوم أولى القبلتين، وثالث الحرمين. الذي لا تشد الرحال إلا إليه وإلى المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ.. والقرآن الكريم شاهد على أن الرباط بين هذه البقعة من أرض الإسلام وبين قبلة المسلمين هو «آية» من آيات الله، سبحانه وتعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» الإسراء: آية ١.

د/محمد عمارة

وفلسطين محك الصراعات والتحديات التي غطت قروناً عدة من هذا التاريخ.. وعلى أرضها كان المد والجزر بين الإسلام وأعدائه.. من «هرقل» والبيزنطيين.. إلى الصليبيين وأمراء الإقطاع الأوروبيين.. إلى «هولاكو» والتتر.. وحتى الحلف «الصليبي - الصهيوني» في العصر الحديث.

والصراع المعاصر والحالي بين أمتنا وبين الكيان الاستيطاني الصهيوني على أرض فلسطين، ليس خاصاً بأهل فلسطين.. فهذا الكيان إنما يمثل قاعدة للمشروع الاستعماري الغربي، نشأ

• وفي تاريخ «الفتح.. والتحرير» الإسلامي.. كانت كل المدن والبلاد المفتوحة، يتسلمها القادة الفاتحون، الذين يعقدون معاهدات الفتح والصلح والأمان مع أهل تلك المدن والبلاد.. إلا القدس، فلقد طلب أهلها - عند فتحها سنة ١٥هـ - ٦٣٦م - أن يعقد معاهدة صلحها، ويتسلم أمانتها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رغم أن قائد فتحها كان أمين الأمة: أبو عبيدة بن الجراح.. فهي «أمانة الفاروق» لدى الأمة الإسلامية..! • وعلى مر تاريخ الإسلام كانت القدس

بروتستانتية غريبا، مستندا إلى أسطورة بروتستانتية تزعم أن عودة السيد المسيح ﷺ، ليحكم الأرض ألف عام، قد اقترب أوانها، ولا بد لحدوثها من جمع اليهود في فلسطين وإقامة دولتهم، وشن حرب إبادة ضد العرب والمسلمين.. ولقد صادف تبلور هذه الأسطورة البروتستانتية قيام الغرب بغزوته الاستعمارية الحديثة على ديار الإسلام، وبحثه عن أقلية دينية تمثل بالنسبة له موطن القدم، والشريك الأصغر في المشروع

الاستعماري.. فروجت

الأسطورة في الأوساط

«الصهيونية الغربية» -

الباحثة عن وطن

يحميها من الاضطهاد

الغربي، فقام هذا

الحلف «الصليبي -

الصهيوني» ضد العرب

والمسلمين على أرض

فلسطين.. ليمثل الطور المعاصر لذلك الصراع التاريخي الذي دار بين الإسلام وبين أعدائه على هذه الأرض التي باركها الله.

فالموقف الإسلامي من «الدولة اليهودية» ليس موقفا من «اليهودية الدين».. فاليهودية دين من الديانات التي جاء الإسلام مصدقا لها، ومصححا لما حرف من عقائدها، ومهيما - هيمنة الرسالة الخاتمة - عليها.. ومتعايشا مع المتدينين بها.. وإنما موقف الإسلام من هذه «الدولة» هو موقفه من «العنصرية» اليهودية، التي تحالفت مع الغرب الاستعماري ضد نهضة الإسلام وبقظة أمته، وأقامت في أرضه المقدسة قاعدة استعمارية

استيطانية تقتلع المسلمين من ديارهم، وتحترف العدوان المنظم لإجهاض النهضة والتقدم في وطن العرب وعالم الإسلام.. مستغلين في ذلك أساطير توراتية حول وعد إلهي لبنى إسرائيل بأرض ما بين النيل والفرات.

وللإسلام من هذه القضية - قضية اغتصاب الأرض والإخراج من الديار - موقف حسمه القرآن الكريم عندما قال: «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا

على إخراجكم أن

تولوهم ومن يتولوهم

فأولئك هم الظالمون»

الممتحنة: آية ٩.

فلا موالاة ولا سلم

بين المسلمين وبين من

يخرجونهم من

ديارهم ويظاهرون

على إخراجهم من

الديار - وخاصة إذا كانت هذه الديار «أمانة الفاروق عمر بن الخطاب» التي أودعها لدى الأمة التي جعل الله سنام دينها الجهاد.. وكان الأقصى وما بارك الله حوله في القدس وفلسطين.

وهذا الموقف الإسلامي، من هذه القضية، يتأكد ويزداد وضوحا وحسما، عندما نعلم أن المسلمين الأوائل، بقيادة رسول الله ﷺ، لم يحاربوا مشركي قريش لمجرد شركهم ورفضهم التدين بالإسلام، فالحرب للإكراه على الدين مرفوضة إسلاميا، وهي لا تثمر «إيمانا» وتصدقا قلبيا يقينيا، وإنما تثمر «نفاقا» يدينه الإسلام..

لا موالاة ولا سلم بين المسلمين وبين من يخرجونهم من ديارهم خاصة إذا كانت هذه الديار «القدس»

للمسلمين.. فلقد شاركهم في ذلك اليهود ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ المائدة: آية ٨٢.

وإذا كان مشركوا قريش قد أضافوا إلى إخراجهم المؤمنين من ديارهم وأموالهم محاولتهم أن «يُثَبِّتُوا» رسول الله ﷺ أى أن يحبسوه، أو يشخنوه بالجراح.. فهذا ما تجاوزت فيه دولة إسرائيل الحدود مع العرب والمسلمين، على امتداد ما يقرب من نصف قرن حتى الآن؟!

وإذا كان مشركوا قريش قد أضافوا إلى إخراج المسلمين من ديارهم، «فتنتهم» في الدين، فإن إسرائيل تعلن على الملأ أن دورها في «الشراكة الغربية» لم ينته بسقوط الشيوعية ونظمها وحكوماتها، وإنما دورها القائم والقادم في محاربة اليقظة الإسلامية، لحساب الغرب، دور كبير، ولا يمكن للغرب أن يستغنى عنه.. ورئيس دولتها هو القائل: «إن إسرائيل تصدت في الماضي لخطر الشيوعية والاتحاد السوفيتي.. وإن لإسرائيل دورا في المستقبل، بعد زوال الاتحاد السوفيتي، وهو التصدي لخطر الأصولية الإسلامية على نطاق منطقة الشرق الأوسط كلها»^(١). إن العالم بجهل الخطر الأكبر الذي يهدده، وهو الأصولية الإسلامية..»^(٢).



إذن، فاغتصاب الأرض، والإخراج من الديار، وقتل المسلمين، وفتنتهم عن دينهم، وإجهاض كل محاولاتهم للتقدم والقوة والنهوض، هي جوهر أسباب الصراع مع دولة إسرائيل - كقاعدة لمشروع الهيمنة الغربية.. وأداة للإذلال الاستعماري

وإنما حارب المسلمون المشركين لأنهم اعتدوا على المؤمنين، وفتنهم عن دينهم، ولأنهم أخرجوهم من ديارهم.. والذين يتأملون آيات القرآن التي جاء فيها «الإن» بالقتال، بعد الهجرة، و«التحريض» على هذا القتال، يرون كيف كان «الإخراج من الديار» في مقدمة أسباب الإذن بالقتال والتحريض عليه ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ سورة الحج: الآيتان ٣٩، ٤٠، ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ واقتلوهم حيث تقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل﴾ البقرة: ١٩٠، ١٩١، ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ سورة البقرة: آية ٢١٧، ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ الأنفال: آية ٣٠، ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ الإسراء: آية ٧٦، ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ التوبة: الآيتان ١٣، ١٤. فمشروعية الجهاد، ووجوب القتال، ليس لمجرد المغايرة في الاعتقاد - شركا أو يهودية - وإنما للإخراج من الديار.

وإذا كان المشركون قد كانوا أشد الناس عداوة

للمسلمين.. وامتداد سرطاني للحضارة المادية العلمانية، فى قلب الأمة الإسلامية، وعلى الأرض المقدسة التى بارك الله فيها!.. ومن ثم فإن الموقف الإسلامى من هذه الدولة. ومن الذين يظاهرونها - هو الجهاد، فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حتى تحرير الأرض، وفك أسر المقدسات..

وقبل هذا التحرير، لا «صلح» ولا «سلام».. وأقصى ما يجوز لمسلم هنا هو «الهدنة» عند الاستضعاف، وحتى يزول هذا الاستضعاف، فيكون الجهاد للتحرير.. ذلك أن «الصلح» إذا عنى «السلم الدائم» كان تكريسا لاغتصاب الأرض والإخراج من الديار، والفتنة فى الدين.

أما إذا كان المراد «بالصلح»: «الهدنة» التى تفرضها توازنات القوى، وضرورات السياسة والحرب، وملابسات الصراع، داخليا ودوليا.. فذلك جائز إسلاميا، شريطة أن تقدر الضرورة بقدرها، وأن يتفق عليها أولوا الأمر - أى كل أهل الذكر والشوكة فى الأمة.. وليس فقط الحكومات - وخاصة منها المقيدة بقيود التبعية لأعداء الأمة - يتفقون على ذلك بالإجماع أو بالأغلبية. وبشرط السعى الجاد والحثيث لتسخير الإمكانيات اللازمة لتجاوز عوامل هذه الضرورات وأسبابها.

لقد هادن رسول الله ﷺ مشركى قريش هدنة موقوتة بعشرة أعوام «يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا» - وسمى المؤرخون هذه «الهدنة»: «صلح الحديبية» - لكنها لم تكن «سلاما دائما» مع الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وفتنهم فى الدين.. ولقد كرس المسلمون جهدهم يومئذ فى نشر الإسلام وتقوية الدعوة والدولة، حتى جاء يوم

الفتح المبين»!..

وفى «الهدنة» ترد «الترتيبات»، التى يجب أن لا تكون عوامل لتكريس الواقع الظالم.. إذ لا بد من دفع المواقع والملابسات نحو إزالة الضرورات التى فرضت مهادنة المغتصب للأرض، حتى يأذن الله بالجهاد الذى نسترد به الحق السليب..

فلا سلم ولا موالاة لمغتصبى أرض الإسلام ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمُ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة: آية ٩. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: آية ١١٨.

هذا هو موقفنا من قضية الإسلام فى فلسطين - وهى قضية فلسطين الإسلامية.. التى تحدث عنها رواد الصحوة الإسلامية فقالوا: «إن فلسطين وطن لكل مسلم، باعتبارها من أرض الإسلام، وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله. ففلسطين دين للمسلمين لا تهدأ ثأرتهم حتى استعادة حقهم فيه».. (٣).

□ الحواشى:

- ١ - محمد سيد أحمد - صحيفة (الأهالى) - القاهرة - فى ١٩٩٢/٤/٨ م.
- ٢ - من خطابه فى البرلمان البولندى بتاريخ ١٩٩٢/٥/٢٩ م.
- ٣ - (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا) - رسالة المؤتمر الخامس - ص ١٨٤. طبعة دار الشهاب، القاهرة.

العمل في الإسلام

كل إنسان مهما علا شأنه أو
انخفض - العمل واجب عليه - لأن قواعد الإسلام
وسلوك الأنبياء والصالحين تشير إلى وجوب العمل لاكتساب المال من
وجه حلال للإنفاق منه على النفس والأهل والأولاد، والارتقاء بهذا
المال الذي يكسبه الإنسان من العمل فيقتات به ويكتسب ويربى عياله
ويصل رحمه، ويحفظ عرضه، ويصون دينه ويستغنى عن السؤال
ويعيش كريماً عزيزاً ويموت جليلاً حميداً..

الشيخ / منصور الرفاعي عبيد

ومن هنا وضع الإسلام قواعد عامة للعمل
فعنى بتنظيمه وتوزيعه حتى لا يشغل الإنسان
بعمل الدنيا عن الآخرة، ونبه إلى أن المغالاة
فى جانب على جانب فيه ضياع للإنسان الذى
يجب عليه أن يعتدل ويجمع بين عملى الدنيا
والآخرة إعمالاً لقول الله تعالى: **«وابتغ فيما**
آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من
الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين»
سورة القصص: آية ٧٧.

وعندما أمرك الإسلام أن تعتدل فى
حياتك، أمرك أن تتحرى طرق العمل الحلال
عملاً وإنتاجاً - بيعاً وشراءً - لأن العمل فى
الشئ المحرم يجلب الخراب ويحقق للإنسان

ولقد أكدت الدراسات الميدانية فى مجال
علم الاجتماع الصناعى أن الإنسان دائماً يعمل
ليجد إشباعاً لكل حاجاته، وأولى هذه
الحاجات ما يحتاجه الجسم: من الطعام
والشراب والكساء -، فإذا فرغ من ذلك يعمل
لإيجاد مأوى لنفسه يجد فيه الأمن والاستقرار.
فإذا هبأ المأوى بحث عن الزوجة، فإن
تزوج وأنجب بدأ يبحث عن المكانة الاجتماعية
ليحظى بمقتضاها بالاحترام والتقدير.. من
هنا - كما يؤكد علماء الاجتماع الصناعى
والمهنى - فإن العمل واجب لمواجهة متطلبات
الحياة، وفى إطار الحدود الشرعية التى لا
تمس حقوق الآخرين ولا تضر بمصالح
المجتمع ليتعايش الجميع فى سلام وتعاون..

الشقاء ويدفع به إلى التعاسة.. ومما قاله لقمان لابنه في هذا المقام «يا بني استعن بالكسب الحلال على الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابته ثلاث خصال: رقة في دينه - وضعف في عقله - وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به»، ولقد عرف الأنبياء قيمة العمل على هذا النحو.. وكان لكل نبي حرفة يعمل فيها ويعيش منها مع عظم مسؤولياته.. وخذ مثلاً سيدنا - إدريس - كان خياطاً يكسب بعمل يده، وداود كان حدادا كما ذكر القرآن في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ سبأ: الآيتان ١٠، ١١، وهناك بعض الروايات تؤكد أنه كان خوّاصاً يعمل من الخوص - القفة - وغير ذلك، ونوح عليه السلام كان نجاراً، كما كان زكريا عليه السلام، وإبراهيم كانت عنده الجمال والخيول والأغنام.. كما كان موسى عليه السلام أجيراً عند رجل يعمل في رعى الغنم، والقرآن الكريم يقول لنا ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة: آية ١٠٥، وسيدنا محمد ﷺ كان يرعى الغنم لأهل مكة بأجر معين.

إن العمل عندما يكون هو الذي ينتج الكسب الحلال فهو أحسن الطرق.. لهذا ليس بغريب أن يهتم الإسلام بالعمل والعاملين. لأن العمل لا تعود فائدته على العامل وحده، وإنما العائد على المجتمع كله، وخذ مثلاً المزارع الذي يفلح الأرض لتثمر الثمر وتثبت الزرع فإن العائد من هذه الزراعة للمجتمع.. كذلك

الذي يقوم بالبناء ويبنى العمارات - فإن ذلك عائد على المجتمع، وخذ كل مهنة فسوف ترى أن كل واحد يعمل في جزء يكمله الآخر، فالذي يعمل في الزراعة يحتاج إلى من يطحن وبعد الطحن لابد من مخبز، وبعد الخبز لابد من حمله إلى المستهلك، والذي يصنع النسيج يحتاج إلى من يزرع القطن، وإلى التاجر الذي يحمله منه إلى مصانع الغزل، وهناك الآلات التي صنعها الصانع لتتولى غزل القطن أو الصوف ثم يدخل إلى النسيج ثم يدخل إلى الصباغة ثم إلى التجهيز.. ثم.. ثم.. إلى أن يُنقل إلى المستهلكين..

ولو أن أى إنسان أهمل في إنتاجه سيلحق الضرر بالآخرين لأن كل إنسان عليه مرحلة من مراحل الإنتاج، عليه أن يجودها ويحسن فيها ويرقى بمستوى الأداء وهذا ما حث عليه الإسلام في قول الرسول ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ». إن الإسلام يطلب مع إتقان العمل إخلاص النية فيه لله فهو المكافئ مع زيادة معدلات الإنتاج والله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: آية ٩٧.. والحق سبحانه وتعالى رفع شأن الإنسان وزوده بقدراته البدنية والعقلية والملاكات الفكرية - فالحكمة من وراء ذلك هي تهيئة الإنسان لعمارة الكون وحمل مسؤوليات التنمية في كل الاتجاهات التي لا تتحقق إلا بالعمل الدائب والنشاط

المثمر المتواصل لاستغلال خيرات الأرض وما أفاء الله به على الإنسان من جليل النعم، وما من به سبحانه على الإنسان من مصادر لا تنفد ومدد لا ينقطع من المواد الخام والأساليب الإنتاجية الفنية، وكل ذلك يكون مادة لعمل الإنسان وحقلًا لتفكيره، وهذه الأشياء أصبحت كافية في تحقيق رسالة الإنسان في التنمية الاجتماعية والاقتصادية على أن يقاس ذلك بمقدار ما يبذله الإنسان من عمل وما يقوم به من جهد لأن العائد عليه مرهون ببذل الجهد في العمل وما يتحملة من مشقة.

لقد حبيب الإسلام كل المهن والأعمال والحرف والوظائف إلى الناس لأنهم يتفاوتون - فهذا يعمل بيده، وهذا بالوقوف خلف الآلات، وهذا بالحساب جمعًا وطرحًا، وهذا بالرسم الهندسي، وذاك بمعرفة المرض وتشخيصه ووصف العلاج، وهكذا تجد أن كل واحد يخدم الآخر من حيث يدرى أو لا يدرى ولذا قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة..

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
إن الله سبحانه وتعالى وقد وهب الناس كل واحد موهبة تختلف عن الآخر لتستقيم الحياة وعلى المجتمع أن يضع أسس التربية العامة التي تمكن كل ذي موهبة من القيام بالعمل الذي يناسب موهبته لأنه في أثناء التربية - فإن المواهب تكتشف وتعرف بالاختبارات النفسية - كذلك القدرات والذكاء ليتأتى من وراء ذلك تكوين هرمى للمجتمع

قاعدته العمالية أوسع ويحتاجون إلى من يساعدهم حتى يتم العمران بأيديهم، وإذا علونا من قاعدة الهرم إلى ما هو أعلى منها نجد العمال الفنيين المهرة، فإذا ما وصلنا إلى الوسط نجد الإدارة الوسطى وهؤلاء هم واسطة العقد في سلم العمل.. فإذا قاربنا قمة الهرم كان المفكرون والمخططون من أعلى المستويات، فإذا ما علونا كانت طبقة النبوغ ثم الذين يكونون في أعلى القمة وهم الذين تعيش الإنسانية على اختراعاتهم وابتكاراتهم واكتشافاتهم لتوأميس الكون، وبمقدار ارتقاء تفكيرهم يكون تقدم الأمة، ولهذا نوه الحق سبحانه وتعالى بأن رفع شأنهم وأعلى أقدارهم لأنهم يقول عنهم الحق **«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»** المجادلة: آية ١١، ولما كانتهم السامية، فإن خشيتهم من الله تشتد لأنهم عرفوا أن المانع للعقل هو الله، وأن الملهم للتفكير الرشيد هو الله.. لهذا قال الله عنهم **«إنما يخشى الله من عباده العلماء»** فاطر: آية ٢٨، إن العمل في الإسلام عبادة لأنه من وراء العمل المتقن نفع الناس وتسيير دولاب العمل، وقد جاء عن رسول الله ﷺ **«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»**، والإسلام وهو يؤكد على هذا المعنى ينبه على راحة العاملين وتوفير الأجور المناسبة لهم مع توفير المساكن، ووسائل المواصلات، وإيجاد جو من الرفاهية المباحة ليرؤحوا عن أنفسهم عناء العمل: لأن العمال إذا تعبوا من بعض أوضاعهم فإن

عملهم يرتبك.. لذلك يحدد الإسلام أسلوب التعبير عن هذا التعب ورفع أمرهم إلى المسؤولين عنهم ولا يليق بالعامل أن يترك عمله لأنه إن عطّل عمله أساء إلى الأمة لأن العامل بعمله له ثواب عند الله فهو في عبادة مستمرة لا يقصر فيها ولا يتكاسل حتى لا يضر بالآخرين، فالنبي ﷺ يقول «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، والدين الذي نؤمن به دين اجتماعي لا ينفصل عن الدولة.. لهذا حذر الله سبحانه وتعالى من القعود والكسل بدعوى التدين أو التعبد فهو القائل سبحانه وتعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» الجمعة: آية ١٠، ويقول أيضا: «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» الملك: آية ١٥، والرسول ﷺ يقول: «لو توكلتُم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا»، أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخره ممتلئة البطون فالحركة فيها بركة، ولذلك يقول الإمام أحمد رحمته الله في هذا الحديث ليس فيه دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق إذ المراد أنهم لو توكّلوا على الله في سعيهم كما تسعى الطير لرزقهم كما يرزق الطير في سعيه إذ تغدو خماسا وتعود بطانا.. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة». إن اتقان العمل إحسان، وحسن

المعاشرة إحسان لذلك نرى أن الحق سبحانه وتعالى بكريم تأييده وعظيم مؤازرته مع المحسنين وهم الذين لا يكتفون بمجرد العمل، بل يتقنونه ويجودونه ويحسنونه ويأتون به على وجهه الأكمل فهؤلاء لهم الجزاء الأوفى من رب عظيم قال «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى» النجم الآيات ٣٩ - ٤٠، ويقول أيضا: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» العنكبوت: آية ٦٩.

إن الإسلام مجّد حُرّفا كان الناس ينظرون إليها نظرة فيها كثير من الازدراء والتحقير مثل.. رعى الغنم.. فبين الرسول ﷺ أنها كانت مهنة الأنبياء فيقول في حديثه الشريف: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم قالوا - وأنت يارسول الله؟ قال نعم.. كنت أراها على قراريط لأهل مكة»، وكأن الرسول ﷺ بهذا يقول لرعاة الغنم عملكم عظيم فالغنم غنيمة والخيل في ركابها الخير، وكل عمل يؤديه الإنسان فخر للعامل لأنه ما أكل إنسان طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده.. تقول: السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن المرأة التي تعمل وتمارس نشاط الإنتاج تقول «المغزل في يد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله»، جاء ذلك في كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الجزء الثاني، فكما أن الإسلام دعا الرجل للعمل رغب المرأة فيه كذلك ولها أن تمارسه في أي مكان مادامت محافظة على وقارها ملتزمة بالحشمة غير جالبة ضررا خلقيا أو اجتماعيا لأسرتها فلنعرف للعمل قدره فإن الله يحب العاملين.

الإسلام والإنسان

﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾:
لا يستطيع الناظر في الأديان السماوية أن ينكر موقف الإسلام المتميز من الإنسان. فهو أكرم المخلوقات وأشرفها عند الله بلا حسب ولا نسب ولا جنس ولا عرق ولا لون. وهو أعلاها مكانة إن جمع خصال الخير، وأهمها بالرعاية والعناية إن أحاطت به واجتمعت عليه ألوان الشر لا يترك نهبا للظنون والأوهام، كما لا يقهر على شيء حتى في العقيدة، لأنه في حقيقته كائن لاهو بالملك ولا بالشیطان، وإن كان قادرا في بعض حالات الهبوط أن يصل إلى درجة الشيطان من الشر.

أ.د/ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

تمرد على نوازع الجسد ومحاولة لتطهير الروح لتكون خليفة بالدخول في ملكوت الله والانسلاخ عن حاجات الدنيا، والإسلام يعتبر ذلك اختلالا غير متوازن، يعطل أهداف الحياة، ويعذب الفرد في سبيل غايته، وهي وإن كانت سامية إلا أنها غير عادلة بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة التي استخلف الله فيها هذا الإنسان ليقوم بها عاملا فيها ومسخرها لها ومسيطرا عليها، لا يؤخذ بوزر غيره فردا أو جماعة، دولة أو أمة.

قال تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ الطور: آية ٢١.

وقال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ البقرة: آية ١٣٤.

وقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ البقرة: آية ٢٨٦.

وفي بعض حالات الإيمان والرقى أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنه حتى حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر، وليس أي العنصرين غريبا عن طبيعته ولا مفروضا عليه من خارج نفسه، لأن نفسه مركبة من العنصرين معا وهو بهما إنسان مقبول في الإسلام.

لذلك كانت توبة التائب تطهيرا له وتغليبا لعنصر الخير على عنصر الشر، وكانت مكانته عند الله وفي نظر الإسلام بعد التوبة مكانة الواصل بعد عناء المهتدي بعد ضلال، المضيء بعد ظلمة، لا تتقلب آثار الماضي عليه، ولا يظل حبيس ما قبل توبته، ينظر إليه بمقدار ما وصله من تبليغ وعلم وعمل، ويُسأل في حدود هذه الدوائر الثلاث ولا يطالب عدلا بغيرها.. لهذا رفض الإسلام الرهبانية أو التشكل بها لأنها

وقال أيضا: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾
وأن سعيه سوف يُرى﴾ النجم: الآيتان ٣٩، ٤٠.

ويقول: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

ويقول سبحانه: ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن
الله ليس بظلام للعبيد﴾ الحج: آية ١٠.

ويعجبني قول الأستاذ محمد قطب حول هذا
المعنى: «إن الإسلام يكره فقدان التوازن ولو كان
إلى أعلى، لأنه يحرص على أهداف الحياة
العليا، التي لا تتحقق بغير الاستجابة لتوازن
الأرض وكل ما يعمل الإنسان ويهدف إليه هو
تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لتوازنه
حتى ترتفع الحياة كلها وتصبح كريمة جميلة،
خليقة بمعنى التكريم الذي أسبغه الله على
الإنسان» (١)، وليس أصدق دلالة على هذا
التوازن من موقف الإسلام من الأمم السابقة
عليه.. ومن اتباع رسلها.. في صلاحهم
وفسادهم، في يقينهم وتمردهم، في التزامهم
بالحق والخروج عليه، فهم مسئولون عن ذلك
حسب أزمانهم ورسالات رسلهم إليهم، لا ينتقل
أثرهم إلى غيره، كما لا ترتد إليهم عقائد
غيرهم، هم مرهونون بما بلغوا من رسالات، وما
أوتوا من علم، وما قدموا من عمل.

وقال تعالى: ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء
رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾
يونس: آية ٤٧.

ويقول تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا﴾ الإسراء: آية ١٥.

وقال سبحانه: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾
النساء: آية ١٦٥.

وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا
أن اعبدوا الله﴾ النحل: آية ٣٦.

﴿إننا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما
أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ المزمل: آية ١٥١.

﴿فلنساءل الذين أرسل إليهم ولنساءل
المرسلين﴾ الأعراف: آية ٦.

وليس في الإسلام قهر للطبائع البشرية، كما
ليس فيه إغفال لتوازن النفس، إنه يرتقى بهذه
الطبائع دون قهر لها، ويسمو بهذه النوازع ولا
يحاول القضاء عليها، أباح شهوة الطعام وشهوة
الجنس وشهوة الاستمتاع بطيبات الحياة في
وضوح وصراحة، وجعل الاستمتاع بها في
حدودها المرسومة وطرقها المشروعة عبادة. كما
جعل ضبطها والاتزان فيها والاعتدال في
تناولها طهرا ونقاء.

قال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾
المؤمنون: آية ٥١.

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق﴾ الأعراف: آية ٣٢.

﴿إننا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا﴾ الكهف: آية ٧.

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه
فيحل عليكم غضبي﴾ طه: آية ٨١.

وقد حرص الإسلام على بيان قيمة هذا
الإنسان، فأوضح منازل تكوينه وكيفية خلقه،
وعرض صورته المثلى التي بها رفعه الله على
مخلوقاته، وصورته الدنيا التي بها يهبط إلى
الدرك الأسفل من الكائنات، فلم يكن في هذه
ولا تلك مغاليا، وأحاط بالإنسان المكوّن من

جسم وعقل وروح، وأعطى لكل مكوّن منها دوره وقيّمته في الحياة، وقرر أن مطالبه حقيقة بالاستجابة إليها صريحة من غير إسراف ولا تقتير من غير قهر ولا تبذير، فالجسد بما فيه من لحم ودم، ونوازع فطرية، وشهوات جامحة، هو المطالب بحفظ الحياة على الأرض، والمحافظة على الذات وعلى النوع - ووسيلة ذلك هي الطعام والشراب والكساء والتناسل - وقد جعلها الإسلام حقا لكل كائن، وجعل للمسلم فيها خيار الوصول إلى حلالها وأعظم طيباتها بالعمل والكفاح والرقى النفسى.

قال تعالى: ﴿ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ الجاثية: آية ١٦.

وقال أيضا: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ الحجر: آية ٢٠.

وقال سبحانه: ﴿ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين﴾ الحج: آية ٥٨.

فالرزق من الحسن والطيب الحلال منه وأحسن ما فيه مباح للإنسان لا قيد عليه ولا حرج في العمل من أجله والكفاح في سبيله، لأنه من متطلبات الجسد وضرورة من ضرورات البقاء، وتحقيقه إرضاء لنزعة من نوازع الجسد العنيفة والملحة التي يستحيل عدم الاستجابة إليها، فإحساس الجوع والعطش إحساس عنيف لا يمكن السكوت عليه. وذلك سر من أسرار الوجود ولتبقى الحياة مستمرة، وليستمر الإنسان الفرد فيها محافظا على ذاته ممتدا بوجوده ما شاء الله له وللأجيال من بعده..

وقرن الله هذه النزعة - نزعة الطعام والشراب والكساء - بالعقل، وجعله المهيمن عليها حتى يتم تحصيلها عن طريق التدبر والتفكر،

الذي هو نتاج العلم والمعرفة التي بها يتحقق التقدم والرقى، وتنتقل الدنيا من حالة إلى حالة، ويتفاضل فيها الناس بمقدار ما وصلوا إليه من فسحة لهذا العقل أو ضيق، وتتحقق لهم منازل القرب من ربهم بمقدار علمهم المصحوب بالعمل الصادق من أجل الحياة والإحياء. ويبتعدون عنه بمقدار جهلهم وسوء عملهم، وسيطرة النوازع غير المحكومة بالعقل عليهم.

قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾ آل عمران: آية ١٨.

ويقول: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر: آية ٢٨.

ويقول: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ الشورى: آية ٢٧.

وقال: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ الأنبياء: آية ١٠٥.

وقد جعل الله في الإنسان قوة حار فيها العلم ووقفت دونها مدارك البشر، هي قوة الروح التي منها يستلهم النور الذي لا تراه الحواس ولا يدركه العقل. ولكنه بواقع الحياة ومشاهداتها موجود. يسمو به الإنسان ويرتقى على نواذعه ويأخذ منه الكائن البشرى المتميز ما يعينه على تحقيق أهداف الحياة، التي لا يمكن تحقيقها بالطعام والشراب والكساء، والتي تصقل الجسد فتجعله قادرا على تحمل ألوان الآلام والصراعات والضيق والعذاب، وتدفعه إلى تسخير مقدراته الكامنة فيه للوصول إلى الغايات العليا في هذه الحياة.

هذا الإنسان المحكوم بهذه النوازع التي أقرها الإسلام وضبطها من غير قهر ولا كبت وجعل الحياة في حدودها شرفاً وعبادة. هو الإنسان الذي كرمه الله وجعل مكانته في الذروة بين المخلوقات بما أودعه من استعداد للتكيف وتحمل تبعة خلافة الله في الأرض.. فهو بهذا أكرم الخلائق «لأنه وحده من ذى حياة أو غير ذى حياة المنفرد بها والمسخرة له والمسئول عنها، والعامل لأمرها، والمتدبر كنهها».

قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء: آية ٧٠. وقال: ﴿وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات﴾ غافر: آية ٦٤.

ويقول: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ التين: آية ٤.

ولوضع هذه المكانة الإنسانية المنفردة موضع الاختبار، سخر الله لها كل مافى الحياة تعمل فكرها فيه، وتقاله بيدها أو بعقلها، وتأخذ منه ما يستوى بها إلى الدرجات الرفيعة جسداً، وعقلاً، وروحاً، فهي في موازين الوجود والعدم بما تعلم ومالا تعلم، وفي مجال التكليف لا تسأل إلا على ما وسعها علمه، ولا تحاسب إلا على قدر طاقتها، وليس في الكون شيء معلوم كله، كما ليس فيه شيء مجهول كله، فعالم الغيب تملك فيه قدرة التصور والتخيل، وعالم الشهادة تملك منه المحسوس والملموس والمدرك والمعلوم، والمتصور والمتخيل، وما يمكن لنا بالبحث والعلم والاجتهاد والعمل الوصول إليه في أى زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿وسخر لكم الفلك لتجرى في

البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ إبراهيم: الآيات ٣٢ - ٣٤.

ويقول: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض﴾ الحج: آية ٦٥.

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض﴾ لقمان: آية ٢٠.

وقد بين الإسلام أن هذا الإنسان الذى كُرم هذا التكريم كله ووضع في هذا الموضع السامى من كمال الخلقة والرقى الفكرى، وسخرت له هذه الأشياء كلها تسخير طاعة وإذعان، ماهو إلا مخلوق تعهده الله بالصفة والإبداع فى الخلق، وجعل من مادته الواهية الضعيفة تلك القوة المفكرة المبدعة، ومن تربيته الضئيلة هذا الكمال والجمال الذى جرى به ويشاهد عليه، من ضعفه ووهنه هذه القوة الهائلة التى بها يغدو ويروح، فهو مخلوق مسئول ذو أطوار صنعها الصانع، وأعدّها لما هو أشرف من الحياة الحيوانية، وجعل من صناعته فيه دليلاً على ذاته العلية، وعلى قدرته فى الخلق والإبداع، وعلى ماهو مطوّى عنا فى عالم الغيب الذى لا يدركه إلا هو..

قال تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم﴾ الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ السجدة: الآيات ٦ - ٩.

وقوله: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ ومن آياته أن خلق لكم من

أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ♦ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللغاتكم إن في ذلك لآيات للعالمين ♦ الروم: الآيات من ٢٠ - ٢٢.

وقوله: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ الفرقان: الآية ٥٤.

هذا الإنسان في الإسلام المخلوق بهذه الصورة المبدع على هذا الشكل هو مجال العناية الإلهية في العطاء والمنع، وهو وحده المخلوق المسئول عما يفعل، المطالب بأن يكون كل كمال فيه، وكل نقص مهما صغر يرتفع عنه، لأن خالقه وصانعه أحاطه بكل ما يكفل له ذلك، وأمده بما يعينه عليه، وبسط له آيات كونه يستعرضها بفكره، ويتناولها بعلمه وعمله، لا تخفى عليه إن أرادها، ولا تغيب عنه إن حاول التماسها لأنها جزء منه، ومن مكونات حياته وحياة الكائنات حوله، وليس في استطاعته أن يدعى غفلة عنها أو غموضاً في مدلولاتها، لهذا كانت دعوة الإسلام للناس كافة، وكان فرض الإيمان بها مسلماً لأنها بالعقل تدرك وبالمشاهد الملموسة يستدل عليها.

يقول تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ♦ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ♦ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ♦ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ♦ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ♦ الروم: الآيات ٢٣ - ٢٧.

وليس في المخلوقات من يجمع بين الضدين

كالإنسان، فهو في أحسن تقويم وأكمل صورة وأرفع مكانة وأعلى درجة، شاهد على الخلائق مسيطر عليها، حامل للأمانة مقرونة به.. وهو ظالم طاغ، مخادع فاجر، متهاون خاسر.

وهو بين هذين الضدين إنسان مقبول في الإسلام، لا يُطلبُ منه أن يسمو عليهما حتى يكون ملاكاً، أو يبقى على أوله فيكون روحاً وجمالاً، أو ينفصل عنها فيتحول مسخاً شيطاناً، إن بين الأمرين في الطاعة والعصيان والرضا والسخط، واليقين والاضطراب هو الإنسان الذي تنصب له التعاليم الإسلامية وتأتيه أحكام الإيمان، ويقف منه الحق مجازياً ومحاسباً ومقرباً ومبعداً.

قال تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر ♦ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ العصر: الآيتان ٢، ٣.

ويقول: ﴿ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾ الإسراء: آية ١١.

وقوله: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربّي أكرمن ♦ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن ♦ الفجر: الآيتان ١٥، ١٦.

ذلك هو الإنسان، وضعه الإسلام في دائرته الصحيحة، ورسم له طريق الخلاص من كل وهن وضعف، وبين له كيف يكون أهلاً لحمل أمانة الخلافة في الأرض؟ وكيف يكون أعظم الخلائق بالعلم والإرادة والعمل؟ وكيف ينتصر على النفس الأمارة بالسوء؟ ليكون نوراً وهداية لغيره من بنى الإنسان.

الهامش

١ - الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب ص ٨١ ط ٣، ١٩٦٨م.

«إسلام بلا مذاهب»



تأليف: أ.د/ مصطفى الشكعة عرض الدكتور/ محمد بهي الدين سالم

- ١ -

هناك نوعية من الكتب يحرص كل مسلم على قراءتها، والتزود بما فيها من معلومات تهم عقيدته، وتوحيداً للصف، وجمعاً للشم، واستهدافاً للتقريب بين وجهات النظر، حتى تظل للإسلام قدسيته، وسماحته، مهما تغيرت الظروف والأحوال، من هذه الكتب النفيسة كتابنا اليوم: «إسلام بلا مذاهب».

□□ عزيزي القارئ لعل وقتك يتسع لتميش معي قراءة هذا الكتاب الشيق الذي يحمل بين دفتيه قضية هامة من القضايا الإسلامية التي شغلت ومازالت تشغل عقول المسلمين منذ انتقل رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الرفيق الأعلى، ألا وهي ما درج المؤلفون القدماء على تسميتها بالفرق الإسلامية.

■ قُسم الكتاب إلى مجموعة أقسام، اهتم القسم الأول منها بمفهوم ماهية الإسلام من خلال عدة مباحث - أو قضايا -:

الإسلام دين الفطرة - وجود الإله الواحد - سماحة الشريعة الإسلامية - مرونة الإسلام وتكافله الاجتماعي - الشورى والمساواة في الإسلام - الإسلام والرق - مكانة المرأة في الإسلام - الزواج بأكثر من واحدة - وآخر مباحث القسم الأول من الكتاب قضية الإسلام والسيوف، وأن الإسلام - انتشر بحد السيف.

وينقلنا القسم الثاني من أقسام الكتاب إلى قضية انقسام الإسلام إلى مذاهب وفرق: الخوارج - الإباضية ودولها - الزيدية.

ويخصص المؤلف القسم الثالث من أقسام كتابه للحديث عن:

غلاة الشيعة - الدروز ونشأتهم وتاريخهم، ثم العلويين نسبهم ومواطنهم ثم عقيدتهم، ثم ينتقل بنا إلى القاديانية وأيضاً الأحمدية ونشأتها، وعقيدتهما.

أما القسم الرابع فيدور حول المعتزلة نشأتهم - عقيدتهم - أعلامهم.

وخصص القسم الخامس حول أهل السنة،

وأشهر أئمتهم: الإمام أبو حنيفة - الإمام مالك - الإمام الشافعي - الإمام أحمد بن حنبل... وختم هذا القسم - الخامس - ببحث حول المتصوفة، أصل التسمية وعرف بعض مؤلفاتهم.

وتنتهي موضوعات الكتاب بنهاية قسمه السادس الذي اهتم بما أسماه: حرب وقتال بسبب المذاهب، وكم ضعف المسلمون بسببها، وينتهي الكتاب بعبارة طيبة تقول: «المذاهب التي تعرضنا لها بالحديث في هذا الكتاب بعضها مندثر، وبعضها قائم، وبعضها تداخل في مذاهب قائمة».

تلك هي فكرة كتاب: «إسلام بلا مذاهب» نادينا بها في ظل هذه الدراسة، ولم يكن هناك من دافع إليها سوى ما لمسناه من الشر والضرر والأذى الواقع على المسلمين متفرقين، والخير والنفع والعزة التي يعيش في ظلها المسلمون ما كانوا متكاتفين متحدين، هذا فضلا عن أن لب العقيدة واحد، ومصدرها واحد، وإلهها واحد، ورسولها واحد.

■ طوفت بك - عزيزي القارئ - حول أقسام الكتاب، وأعود من حيث بدأت بموضوعات القسم الأول التي كان أولها:

●● ماهية الإسلام

الإسلام دين الفطرة دون منازع، أي أنه الدين الذي يتلاءم كل الملائمة مع الخليقة، ما جاء به من دستور يقبله العقل، وهداية يستنير بها القلب، وشريعة تنظم أحوال المجتمع، ومساواة تربط بين جميع الناس.

كل ذلك وغيره جعل الإسلام أقرب إلى طبيعة النفس البشرية دينا ترتضيه، وسراجا تستهدي به. فالإسلام عقيدة بوحدانية الخالق، وإيمان برسالة محمد ﷺ إلى الناس كافة، تمتاز عن غيره من الأديان الأخرى، بأن النفس متى ارتضته

وأمنت بروحه، واطمأنت إلى تعاليمه لا تحيد عنه أو ترضى غيره بديلا.

ثم نقلنا الكتاب إلى موضوع شغل العقل ألا وهو وجود الإله الواحد الذي يدعو الإسلام إلى ضرورة الاعتقاد به كشرط إيماني أصيل، ومتى آمن الإنسان بأن هناك إلها واحدا فلا بد أن يهتدى بأنه - أي الإله الواحد - هو خالق الكون وفاطر السموات والأرض، ولقد لجأ المفكرون إلى إثبات وجود الله بوسائل شتى عديدة، لعل أيسرها طريقة الفيلسوف «ديكار» الذي توصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى عن طريق نفسه - الأنا - فحاول أن يكتشف مصباح - الأنا - وعلى نور هذا المصباح اكتشف كل «اللاأنا».

هذا التسلسل في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى عن طريق النفس موجود في كتاب الله في قوله تعالى: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» الذاريات: آية ٢١.

وفي آيات أخرى كثيرة مثل قوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير» فصلت: آية ٣٩.

ومن الآيات الكونية التي تدل على قدرة الخالق الأعظم، والذي يقف العلم أمامها قوله جل في علاه: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون» النمل: آية ٨٨.

وهكذا فالإيمان بوجود الله الخالق الأعظم الواحد الأحد الفرد الصمد عدل ومنطق، واصطفى الله سبحانه من بين خلقه أنبياء ورسلا آخرهم سيدنا محمد ﷺ أنزل عليه القرآن الكريم وأفاء عليه رسالة الإسلام، عقيدة وشريعة.

فالعقيدة هي الإيمان بالله إلهًا واحدًا خالقًا للكون لا شريك له، وبمحمد رسولًا منه إلى الناس كافة.

وأما شريعة الإسلام وما اشتملت عليه من معاملات وربط علاقات الناس بعضهم ببعض، ونظام الأسرة والمواثيق والوصية، فقد شهد أساطين رجال القانون من الأوروبيين أصحاب الديانات الأخرى أنها أسس الشرائع جميعًا دون منازع.

ولعل من الأمور التي تتفرد بها شريعة الإسلام دون بقية الشرائع مسألة نظام المحارم في الزواج جمعها في قوله في سورة النساء: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أَرْضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورًا رحيماً﴾ النساء: آية ٢٣.

ومن سماحة الإسلام إلى مرونته، فلم يكن - أي الإسلام - يومًا ما متحجرًا، جامدًا، بل كان وسيظل مسيرًا كل عصر، إنما على الجامدين من المسلمين تقع تبعة وصفه بعدم المرونة.

فالإسلام يعظم العقل ويحفظ له قدره ومكانته، ويحض على التزود بالعلم النافع الذي يخدم البشرية في تقدمها وازدهارها، لا يفرق بين عالم مسلم وآخر نصراني أو يهودي في وقت كان فيه البابوات في أوروبا يأمرّون بحرمان العلماء حينًا، وحرّقهم بالنار أحيانًا أخرى.

يقول الله سبحانه في شأن العلم والعلماء:

• ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ الزمر: آية ٩.

• ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ آل عمران: آية ٧.

• ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر: آية ٢٨.

وينقلنا الأستاذ الكاتب إلى قضية هامة تمس كافة الناس، وهي حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي، فلا يموت الفقير جوعًا، ولا يهلك الغنى تخمة.

من أجل ذلك فرض الإسلام الزكاة والضرائب على مختلف أنواع الثروات، لكي يحول دون تضخم الثروات تضخمًا يضر بالمجتمع الإسلامي من ناحية، ويسد حاجات الفقراء والمعوّزين من ناحية أخرى.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ المارج: الآيتان ٢٤، ٢٥. والقرآن الكريم عمد إلى الترغيب كما عمد إلى الترهيب في الإنفاق على الفقراء من ذوى القربى والغرباء يقول سبحانه وتعالى: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم﴾ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥.

• ومما لاشك فيه أن الإسلام دين ودولة، دعا إلى الشورى في الحكم وهو بها يفرض نفسه - في جدارة وعدل - على نظام الدولة، وطريقة الحكم فيها، جاء ذلك في الكتاب العزيز في أكثر من موضع في قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى: آية ٣٨.

وقال أيضا: «وشاورهم في الأمر» آل عمران: آية ١٥٩.

وما تتغنى به الشعوب المعاصرة بما يسمى بالديمقراطيات سبقها الإسلام منذ أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان.

● ويأخذنا الكاتب والكتاب برفق إلى قيمة من قيم الإسلام العليا، ومبدأ من مبادئه، ألا وهي المساواة، شرعها الحق تبارك وتعالى للناس جميعا، فالكل سواء، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا أصفر أو أحمر، ولا غنى ولا فقير، وإنما أفضل الناس أقربهم إلى التقوى وأفضلهم للخير، ويسجل القرآن الكريم هذا الدستور العظيم في قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» الحجرات: آية ١٣.

ويؤكد هذه المساواة أن لا شفاعة لمجرم، خطب النبي ﷺ الناس قائلا: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد.. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهكذا ضرب الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - المثل في المساواة بين الناس، فهي أساس العدالة في المجتمع لا فرق بين مسلم وذمي، بل الكل سواء أمام عدالة السماء.

● ويشرح لنا الأستاذ الكاتب معنى القوة الرحيمة في الإسلام فيقول: جاء الإسلام يُمجّد القوة حيث ينبغي أن تكون القوة، ويمجد الرحمة حيث ينبغي أن تكون الرحمة، ولذلك فإن الله - تعالى - يصف ذاته بالقوة في قوله تعالى: «وكان الله قويا عزيزا».

ويصف ذاته بالرحمة في قوله تعالى: «وكان بالمؤمنين رحيما».

وإذا ما تعلق الأمر بالدين، والدعوة إليه، فإن ذلك ينبغي أن يكون بطريق الرحمة والتلطّف والترغيب لا العنف والإكراه، ذلك لأن طبيعة الدين وسماحته خير داعية له: «لا إكراه في الدين» البقرة: آية ٢٥٦. «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» النحل: آية ١٢٥.

ومع ذلك كله فالإسلام يكره الخنوع والمذلة والاستضعاف، فهو يدعو إلى الرحمة العريضة التي لا تنتهي بالمسلم إلى الذل والضعف، ويطالب المسلم بأن يعيش سيدا مستقلا غير ذليل.

ثم تأتي الدعوة إلى القوة في قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» الأنفال: آية ٦٠.

ويحض الرسول ﷺ على القوة العاقلة الرحيمة البعيدة عن الظلم والجور فيقول: «المسلم القوى خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف وفي كل خير». وهكذا جاء الإسلام وسطا يدعو إلى الرحمة ولا يغفل القوة.

● ومن بين موضوعات القسم الأول من أقسام الكتاب مناقشة موضوعية لقضية - الإسلام والرق - يرد الأستاذ المؤلف على أباطيل وخصوم الإسلام في هذا الشأن بالحجة والبرهان، وفي ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

لم يدع الإسلام إلى الرق، ولم يشعه كما فعلت الشرائع السابقة اليهودية والمسيحية، بل لقد جاء الإسلام فوجد الرق منتشرا في الجزيرة العربية، وفي جميع أنحاء العالم المعاصر له، فقاومه وهذبه، حتى نستطيع أن نقول في غير مبالغة أو محاباة: إن الإسلام محرر العبيد، حفظ لهم حقوقهم كما حفظ عليهم إنسانيتهم، اعترف لهم بحق الزواج، وتكوين الأسرة. والحق الصّراح أن

الإسلام هو الدين الوحيد الذى شرع العتق، ولم يدعُ إلى الرق.

هذا هو الإسلام، وهذه شريعته الغراء تعترف - دائما - بحق الإنسان خليفة الله فى أرضه، فى حياة كريمة لا ظلم فيها ولا اضطهاد.

● ومن الموضوعات المطروحة دائما على ساحة النقاش: مكانة المرأة فى الإسلام، وتكريم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لها.

نعم.. المرأة نصف المجتمع الإنسانى، وهى الأم والأخت والابنة والزوجة والخالة والعمة إذا صلح أمرها صلح نصف المجتمع، بل صلح المجتمع كله.

أما والأمر كذلك فإنه كان حتميا أن يكون للمرأة فى ظل الإسلام وتعاليمه السمحة القويمة مكانة، وأن يكون لها فى نطاق تعاليمه اهتمام، وأن هذه المكانة وذلك الاهتمام يضعانها فى المكان اللائق بها كمخلوق كريم يشكل نصف المجتمع.

يقول سبحانه وتعالى فى محكم آياته ما ينظم شئون المرأة تنظيما عادلا من زواج وطلاق وميراث وحقوق عامة، وأيضا ما عليها من واجبات مثال ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** النساء: آية ١.

وأما الرسول ﷺ فإن ما أثر عنه من تكريم للمرأة فعلا وقولا فهو من الوفرة بمكان، قال ﷺ: **«ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»**.

والحديث طويل ومتشعب حول حال المرأة قبل الإسلام خاصة عند أصحاب الحضارات القديمة، فقد كانت مسلوقة الحرية، معدومة المكانة فى كل ما يتصل بالحقوق الشرعية، تعتبر قطعة من الأثاث هملا، تباع وتشتري ببيع السائمة والعقار.

هكذا كان شأن المرأة عند اليونانيين القدماء والآشيين وأيضا عند الرومان وأهل بابل والفرس.

وإذا ما انتقلنا إلى الديانات السماوية قبل الإسلام فسوف نجد أن المرأة لم تأخذ حقها من الحرية الشخصية أو الميراث أو حرية الزواج فى كثير من الحالات - كان ذلك فى نطاق اليهودية والمسيحية أيضا - وكان الشأن هكذا قبل الإسلام فى القسوة على المرأة، بل وأدها وهى طفلة وليدة يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩.

● لم يكن للمرأة والأمر كذلك شئ أو بعض شئ من الكيان أو الكرامة أو الحقوق قبل الإسلام.. فماذا أسدى الإسلام إليها؟

لقد خص الإسلام المرأة بالتكريم وأحاطها بالإجلال، وشملها بالرعاية وبوأها المكانة الجديرة بها، وعلى سبيل المثال، لم تكن المرأة تراث فى أى مجتمع قبل المجتمع الإسلامى، فجعل الإسلام توريثها إلزاما فى قوله تعالى: **﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾** نساء: آية ٧.

ويعمد الكتاب العزيز إلى تخصيص الأنصبة تخصيصا عادلا.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلزَّكَوٰةِ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ النساء: آية ٧.

السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين أبأؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ﴿ النساء: آية ١١.﴾

وقد حرص الإسلام في هذا المقام أيضا على أن تكون علاقة الزوج بالزوجة قائمة على المعروف، وإذا حدث طلاق فليحدث في حدود تكريمها وعدم امتهائها تقول الآية الكريمة: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾ البقرة: آية ٢٢٩، وهكذا يكون الصداق حقا خالصا للمرأة.

وأيضاً أعطت الشريعة الإسلامية ولأول مرة في التاريخ حقوق المرأة المدنية المتصلة بأملها مع تدبير شؤونها بنفسها متى أرادت.

وينتهي بنا القول إلى أن الإسلام أخذ بيد المرأة وكرمها وزكاها، ومنحها كل ما هي أهل له كنصف للبشرية، وكأم وأخت وزوجة وابنة، فإذا حدثت بعد ذلك نكسة فليس الإسلام هو الذي نكسها، ولكن الأوضاع الاجتماعية والانفلات عن الجادة واستحداث التقاليد من رجعية جامدة أو انطلاقة منحرفة كل ذلك - وليس الإسلام - مسئول عن الردة وملوم على النكسة.

وفي نهاية القسم الأول من أقسام الكتاب موضوع هام دار الحديث كثيرا حوله وهو: الإسلام والسيف.. يخطئ كثير من غلاة المستشرقين وغيرهم حينما يذهبون في كتاباتهم إلى أن الإسلام قد انتشر بحد السيف، يربطون بين الفتوحات الإسلامية وبين نشر الإسلام.

والحق أن الذين يركبون هذا المركب الخشن في محاولة الربط بين نشر الدعوة الإسلامية وامتشاق الحسام ليسوا إلا واحدا من رجلين: رجل حسن الطوية لكنه قاصر في اطلاعه فجاءت استنتاجاته

ظالمة خاطئة، ورجل اطلع وفهم لكنه سيئ النية، شرير الطوية يغالط نفسه ويظلم الإسلام، فالمعروف أن المسلمين لم يشهروا السيف لأول مرة إلا في غزوة بدر، وهم حين فعلوا ذلك لم يكونوا عادين ولا ظالمين، وإنما كانوا يدافعون عن الدعوة التي أنزلها الله على رسوله الكريم محمد ﷺ.

فأسلوب الدعوة بعيد كل البعد عن الدماء، ودستورها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة: آية ٢٥٦.

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن﴾ النحل: آية ١٢٥.

وقوله: ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ آل عمران: آية ٢٠.

على هذا الأساس دخل الناس أفواجا في الإسلام: أهل مصر - السلاجقة الوثيون دخلوا الإسلام - التتار الذين سفكوا دماء المسلمين دخلوا الإسلام طائعين وغيرهم الكثير في الشرق والغرب في كل بقعة وصلتها الدعوة المحمدية، وهكذا فالذين ذهبوا إلى أن الإسلام قد انتشر بحد السيف قوم مخطئون كل الخطأ، لأن الدين الذي يعتمد على السيف لى ينتشر دين ضعيف والإسلام ليس كذلك.

□□ عزيزى القارئ

أقف بك عند هذا القدر من كتاب: «إسلام بلا مذاهب» ذلك الكتاب الشيق في أسلوبه العميق فيما قدم من حقائق ومعلومات لمؤلفه الأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة الذى أثرى المكتبة الإسلامية والأدبية بالعديد من مؤلفاته وبحوثه الجادة القيمة.

المستشار
حسن حسن
منصور

من الأمور المهمة في حضانة الصغار ما يتعلق بالمسكن الذي تكون فيه هذه الحضانة، ولا سيما أن مشكلات الحضانة لا تثار إذا كانت علاقة الزوجية قائمة، ولكن هذه المشكلات تحدث بعد فصر عرى هذه العلاقة وافتراق طرفيها، ويتقرر حق الحضانة لصاحبه ويحتاج إلى مسكن لمباشرة هذا الحق، وسنعرض هنا لأحكام مسكن الحضانة في الفقه والقانون والقضاء بإيجاز على النحو التالي:

مسكن الحضانة.. لمن؟

ثالثاً: مسكن الحضانة في القانون

وقد وضع المشرع في المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ أحكاماً خاصة بمسكن الحضانة حيث نصت المادة ١٨ مكرراً ثالثاً منه على أنه: «على الزوج المطلق أن يهيئ لصغاره من مطلقته ولحاضنتهم المسكن المستقل المناسب، فإذا لم يفعل خلال مدة العدة استمروا في شغل مسكن الزوجية المؤجر دون المطلق مدة الحضانة، وإذا كان مسكن الزوجية غير مؤجر كان من حق الزوج المطلق أن يستقل به إذا هيا لهم المسكن المستقل المناسب بعد انقضاء العدة، ويخير القاضى - الحاضنة - بين الاستقلال بمسكن الزوجية وبين أن يقدر لها أجر مسكن مناسب للمحضونين ولها، فإذا انتهت مدة الحضانة فللمطلق أن يعود للمسكن مع أولاده إذا كان من حقه ابتداء الاحتفاظ به قانوناً». وعلى ضوء هذا النص فإن الحاضنة سواء

أولاً: تعريف مسكن الحضانة

وهو المكان الذي تباشر فيه الحاضنة مهام حضانة الصغير أو الصغيرة وهما في سن الحضانة فيما تختص به النساء.

ثانياً: مسكن الحضانة عند الفقهاء

أ - فرق الفقهاء بين حالتين بالنسبة لمسكن الحضانة هما:

الأولى: إذا كان للحاضنة مسكن خاص بها سواء كان مملوكاً أو مؤجراً لها فاتفق رأى الفقهاء على أنها تحضن الصغير أو الصغيرة فيه بدون أجر لأن الولد يسكن تبعاً للحاضنة ولا يستقل عنها.

الثانية: إذا لم يكن للحاضنة مسكن خاص بها فالرأى الراجح يذهب إلى أن أجرة مسكن الحضانة تجب على الوالد أو من يقوم مقامه لأنه هو الملتزم بالنفقة المستحقة للولد ومنها المسكن.

٨- دستورية بجلسة ١٩٩٦/٦/١ إلى عدم دستورية نص هذه المادة فيما تضمنه: من إلزام المطلق بتهيئة مسكن مناسب للصغار من مطلقته وحاضنتهم ولو كان لهم مال حاضر يكفي لسكنائهم، أو كان لحاضنتهم مسكن تقيم فيه مؤجرا كان أو غير مؤجر، ومن تقييد حق المطلق إذا كان مسكن الزوجية مؤجرا بأن يكون إعداد مسكنا مناسباً لصغاره من مطلقته وحاضنتهم واقعا في خلال فترة معينة لا يتعدها وهي نهاية عدة مطلقته.

كانت الزوجة المطلقة أو غيرها ممن تستحق الحضانة بحسب درجتها يمكنها أن تستقل بمسكن الزوجية بالشروط الآتية:

١ - أن تكون حاضنة لأولاد من المطلق في سن الحضانة وتتوافر فيها شروط استحقاقها للحضانة.

٢ - أن يكون هؤلاء الصغار في السن الإلزامية للحضانة وهي عشر سنوات للولد واثنى عشرة سنة للبنات، ولا يستفيدوا من هذا المسكن بعد ذلك حتى ولو كانت الحضانة بإذن القاضي.

وعلى ضوء هذا

الحكم فإن استقلال

المطلقة وصغارها

المحزونين بمسكن

الزوجية أصبح مقيدا

بعدة قيود هي:

١ - ألا يكون

المطلق قد أعد

المسكن المناسب للمطلقة وصغارها منها المحزونين غير مسكن الزوجية، دون التقيد بزمان معين في إعداد هذا المسكن ولو كان بعد انتهاء عدة المطلقة.

٢ - ألا يكون للصغار المحزونين مال حاضر يمكن الاستعانة به في إعداد مسكن مناسب لهم لأنه من المقرر شرعا أن نفقة الإنسان من ماله بقدر كفايته، ومن هذه النفقة مسكن الحضانة.

٣ - ألا يكون للحاضنة مسكن خاص بها سواء كان مؤجرا أو غير مؤجر، فإذا كان لها هذا المسكن فإن حق الصغار في المسكن ينتقل من الأب إلى الحاضنة لأن حق المحزون يكون تبعا لحق الحاضن في المسكن، وفي هذه الحالة يبقى

يخير القاضي الحاضنة بين

الاستقلال بمسكن الزوجية وبين

أن يقدر لها أجر مسكن مناسب

٣ - ألا يكون المطلق

قد أعد المسكن المناسب

المستقل خلال مدة العدة

أو بعدها بحسب حالة

مسكن الزوجية مؤجرا

كان أو مملوكا للمطلق.

٤ - ألا تكون

الحاضنة قد رضيت بما قدره لها القاضي من أجر مسكن مناسب.

رابعاً: بديل مسكن الحضانة

لما كان حكم المادة ١٨ مكررا ثالثا من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ في استقلال المطلقة وأولادها الصغار في سن الحضانة بمسكن الزوجية قد جاء مطلقا من أي قيد، رغم أن الحاضنة قد تكون حائزة لمسكن خاص بها أو قد يكون للمحزون مال أو مسكن خاص به، فقد طعن على هذا النص بعدم الدستورية، وقد انتهت المحكمة الدستورية العليا في حكمها الصادر في القضية رقم ٥ لسنة

للحاضنة الحق في مطالبة الأب بالنفقة بعناصرها المختلفة ومنها أجره المسكن.

فإذا لم يتوافر أحد هذه القيود فإن الحاضنة وأولادها الصغار المحضونين يستقلون بمسكن الزوجية ويظلون فيه على هذه الحال حتى يبلغ هؤلاء الصغار السن المقررة لانتهاء الحضانة إلزاميا وهي عشر سنوات للولد واثنى عشرة سنة للبنات، ثم يعود مسكن الزوجية إلى الزوج المطلق لأنه صاحب الحق في الاحتفاظ به ابتداءً.

خامساً: مسكن

الحضانة المؤجر

قد يكون مسكن

الحضانة مملوكا للزوج المطلق، فتستقل

الحاضنة به مع الابن المحضون من هذا الزوج مدة الحضانة الإلزامية، فإذا تصرف في هذا المسكن، فيجب عليه إعداد مسكن آخر لهذه الحضانة أو دفع نفقة هذا المسكن طوال مدة الحضانة، ولكن الأمر يكون أكثر تعقيدا إذا كان مسكن الزوجية وهو ذاته مسكن الحضانة مؤجرا للزوج المطلق ولاسيما في حال تنازل هذا الزوج عن عقد الإيجار الخاص بهذا المسكن، وهذه مشكلة عملية تصادف كثيرا من الزوجات المطلقات المستحقات لحضانة أولادهن، حيث يلجأ الزوج المطلق في سبيل الكيد لمطلقاته إلى التنازل عن مسكن الزوجية المؤجر له.

ولمواجهة هذه المشكلة بالحل المناسب يتعين الأخذ في الاعتبار ما يتميز به عقد الإيجار الذي يبرمه الزوج أثناء قيام الزوجية من طبيعة خاصة قالت عنها محكمة النقض: «إن لعقد إيجار المسكن

طابعا عائليا يتعاقد فيه رب الأسرة ليقيم مع باقي أفراد أسرته، وإن إقامتهم معه من قبيل الانتفاع بالعين المؤجرة، ومن بين هذه الفئات زوجة المستأجر وأولاده، ولكن إقامة الزوجة بمسكن الزوجية مقرونة بعلتها وهي استمرار رابطة الزوجية مع الزوج المستأجر، بحيث إذا انفصلت عراها أصبحت الزوجة أجنبية عنه ولا يتبقى لها من سبيل على هذا المسكن، وإن من المقرر شرعا - حتى قبل صدور قانون الأحوال الشخصية - أن نفقة الابن واجبة على

والده، وهذه النفقة

بأنواعها تشمل أجره

الحاضنة ومسكن

الحضانة، وليس هناك

ما يمنع من أن يوفر

الوالد مسكنا لابنه ومن يقوم على حضائته ولو لم يلزمه قانون بهذا الأمر (نقض الطعن رقم ٢٢٧٠ لسنة ٥٥ ق جلسة ١٩٩١/٢/٢١م مجموعة المكتب الفني المدنية السنة ٤٢ ص ٣٦٢)، وعلى هذا إذا كان مسكن الزوجية مؤجرا للزوج المطلق فإن الزوجة المطلقة وأولادها الصغار من هذا الزوج يستمرون في حياة هذا المسكن باعتبارهم من أسرة المستأجر الذين ينتفعون بالإقامة به نظرا للطبيعة العائلية لعقد الإيجار ويظل هذا المسكن خاصا بالحضانة طوال المدة الإلزامية لها، وبعد انتهائها يستقل به الزوج مع أولاده دون الزوجة المطلقة التي أصبحت أجنبية عن عقد الإيجار.

ولكن إذا تنازل الزوج المطلق عن مسكن الزوجية المؤجر دون علم الحاضنة والأولاد المحضونين، فإن هذا التنازل لا يسرى في حقهم طوال مدة الحضانة ويمكنهم اللجوء إلى المحكمة

ليس هناك ما يمنع من أن يوفر الوالد مسكنا لابنه ومن يقوم على حضائته

المختصة والنيابة العامة لاستصدار حكم أو قرار باستمرار حيازتهم لهذا المسكن مدة الحضانة على الأقل باعتبار أنهم أصحاب حق مستمد من عقد الإيجار الذي أبرمه رب الأسرة.

سادس: منازعات مسكن الحضانة

قد تنشأ حول مسكن الحضانة بعض المنازعات بين الأزواج بعد الطلاق أو التطليق أو من الغير، وقد يكون هذا المسكن هو ذاته مسكن الزوجية أو غير ذلك، وقد يكون هذا المسكن مملوكا لأحد الزوجين أو مؤجرا لأحدهما، ثم يرى هذا الزوج أو الآخر أو الغير المسكن مملوكا لأحد الزوجين أو مؤجرا لأحدهما، ثم يرى هذا الزوج أو الآخر أو الغير أنه صاحب الحق في الاستقلال به دون الآخر، وقد يؤثر هذا على حق حضانة الصغار الذين هم في السن الإلزامية للحضانة.

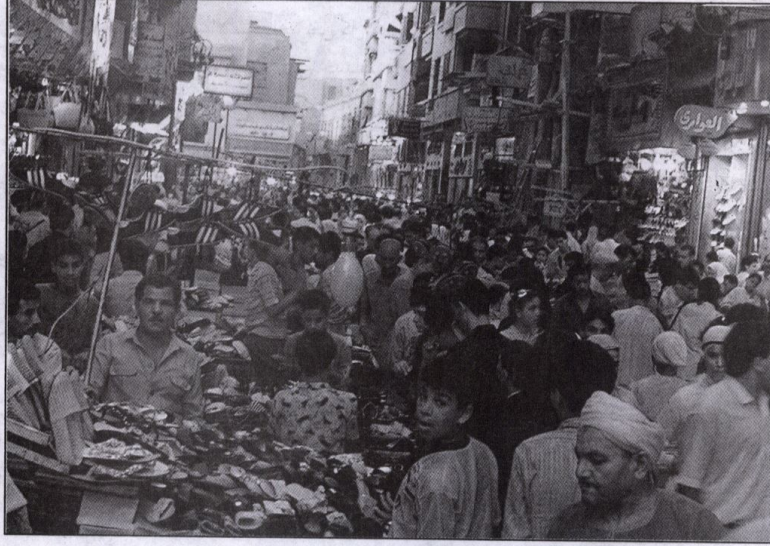
والأصل أن المحكمة المختصة بنظر النزاع الأصلي بين الأزواج هي المختصة أيضا بنظر أية منازعة متعلقة بمسكن الحضانة سواء كان هو مسكن الزوجية أو غيره، فمثلا المحكمة التي تنظر دعوى التطليق بين زوجين لهما أولاد صغار في سن الحضانة تكون مختصة أيضا بنظر أية منازعة تنشأ حول مسكن الحضانة، ولكن عندما تكون الحاجة أشد إلحاحا إلى إصدار قرار في شأن هذه المنازعة نظرا لمصلحة المحضون، فإن المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ في المادة ١٨ مكررا ثالثا منه أعطى للنيابة العامة سلطة إصدار قرار فوري فيما يثور من منازعات بشأن حيازة مسكن الزوجية، ولاسيما إذا كان هو مسكن الحضانة،

وذلك حتى تفصل المحكمة المختصة في هذه المنازعات بحكم يحسم الخلاف القائم حوله.

ومن التعليمات القضائية التي تلتزم بها النيابة العامة في شأن منازعات مسكن الزوجية، أنه إذا كانت العلاقة الزوجية قائمة بين الزوجين المتنازعين أو كانت الزوجة مطلقة رجعيا، فإن النيابة العامة تصدر قرارها بتمكين كل من الزوجين وأولادهما الصغار من مسكن الزوجية باعتبار أن الزوجة المطلقة رجعيا تعتبر في حكم الزوجة طوال مدة العدة، ولكن في حالة انتهاء عدة المطلقة رجعيا، وفي حالة الطلاق البائن سواء كان بينونة صغرى أو كبرى فإن النيابة العامة تصدر قرارها بتمكين الزوجة المطلقة وأولادها الصغار الذين هم في حضانتها من مسكن الزوجية دون الزوج المطلق، ثم بعد انتهاء مدة الحضانة الإلزامية فإن التمكين من هذا المسكن يكون للزوج المطلق باعتباره صاحب الحق الأصلي فيه وانتهى مبرر حيازة الغير له وهو انتهاء المدة الإلزامية لحق الحضانة على النحو المبين بالقانون.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأن لكل من الزوجة بعد الطلاق بالإرادة المنفردة أو بعد التطليق بحكم القاضى وللحاضنة إن لم تكن هي الزوجة المطلقة - الحق في المطالبة بمسكن الحضانة طوال المدة الإلزامية لها، وإذا أثبتت أية منازعة بشأنه فإنها ترفع أساسا إلى المحكمة المختصة بنظر المسألة الأصلية، ولحين إصدار حكمها الفاصل في هذه المنازعة يمكن اللجوء إلى النيابة العامة لتصدر قرارا مؤقتا بشأن التمكين من هذا المسكن.

إنفاق هائل والحصيلة صفر!!



زيادة الاستهلاك من أهم عوامل الإسراف

ما من أمة اجتمع لها من المتناقضات مثلما اجتمع للأمة الإسلامية، فبين ربوعها تسيل الأموال أنهارا، وعلى أرضها الخصبة تثبت أشواك الفقر الموحشة.

وبينما أسبغ الله عليها من النعم الكثير، وحباها بالخير الوفير إذ تمتد أيادي بعض أبنائها لتبعثر خيراتها ذات اليمين وذات الشمال بين لهو ولعب وإسراف وتبذير، على حين تمتد أياد أخرى لتتسول اللقمة من الشرق والغرب أعطوها أو منعوها.

هذه التناقضات العجيبة والصور المستفزة للاستهلاك والإنفاق بغير ضوابط أوغرت الصدور وأضعفت الروابط وصنعت جدارا سميكاً من العزلة بين أبناء المجتمع الواحد وقوضت من دعائم الأمة الشامخة.

ومن أجل تنشيط ذاكرة الأمة وتنمية وعيها كان هذا التحقيق:

الدكتور محمد رأفت عثمان

**أحكام الشريعة
الإسلامية
تتفق مع كمال
المعقل**

تحقيق:

مصطفى إبراهيم خيان

تجاوز الحدود

في البداية يستذكر الدكتور محمد رأفت عثمان - عميد كلية الشريعة والقانون بالأزهر - سلوك المسرفين والمبذرين واصفا إياهم بالطيش وضعف العقل، وكما يقول فإن أحكام الشريعة الإسلامية تتفق مع كمال العقل.

فالعقل يقطع بأن الإسراف في كل أمر هو تجاوز للحدود وميل إلى ناحية على حساب ناحية، ولا غرابة في أن تدعو أحكام الشريعة وسنة الرسول ﷺ إلى الوسطية

حتى لا تحدث زيادة في ميل أمر على أمر آخر، والإسراف يعد شططا يعمل في ناحية على حساب الأخرى.

وآيات القرآن الكريم تحضنا على التوسط في المأكل والمشرب وفي كافة أمور حياتنا.

يقول تبارك وتعالى:

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾

الأعراف: آية ٣١. ويقول جل شأنه:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ الإسراء: آية ٢٩.

فليس معنى النهي عن الإسراف أن يمسك الإنسان عن التمتع بما أحل الله، ولكن الإسراف المنهى عنه هو الذي يتجاوز الحدود.

والرسول الكريم ﷺ يقول: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

عواقب وخيمة

ويحذر الدكتور رأفت عثمان من النتائج الاجتماعية والاقتصادية الخطيرة المترتبة على شيوخ الإسراف في أي مجتمع من المجتمعات، وكما يقول: فإن مضار الإسراف والتبذير ليست

قاصرة على شخص المسرف في حد ذاته، إذن لهان الأمر، لكنها تتعداه إلى المجتمع كله بمختلف طوائفه، حيث يشيع فيه نمط الاستهلاك غير المحكوم بضوابط؛ فيتهنز له اقتصاد المجتمع الذي يسعى لسد حاجات رعاياه بالاستيراد بالعملة الصعبة تلبية لطلبات الإنفاق، وترتفع تبعاً لذلك الأسعار فتتأثر الطبقات الفقيرة كثيراً، وهذا ما نراه جليا في العديد من دول العالم الإسلامي التي استمرت سياسة الاستهلاك سواء للضرورة أو غير الضرورية، ونحن نعلم أن من يملك قوته يملك قراره.

الدكتور أحمد المجدوب:

كل ظاهرة اجتماعية سيئة تخلف أزمات عديدة

أيضا فإن البذخ يعمق الهوة بين طبقات المجتمع، الأمر الذي يولد الحقد في النفوس ويشعل بينها الشحنة والبغضاء، وبالتالي يؤدي لتفتت روابط الأخوة التي دعا الإسلام إلى وصلها، كما يتراجع الإحساس بالانتماء، ويشيع حب التقليد والمحاكاة والتنافس على الإسراف، ويضطر الآخرون إلى الدخول إلى ساحة الإسراف، ولا يهم من أين يأتون بالأموال اللازمة لإنفاقهم، فقد يستدينون، وقد يلجأون لارتكاب الجرائم كالسرقة والحصول على الرشوة لتدبير الأموال اللازمة للإنفاق.

اصرف مافي الجيب

ويذكر الدكتور أحمد المجدوب - مستشار المركز القومي للعلوم الاجتماعية والجنائية - ناقوس الخطر محذرا من مغبة تفشى ظاهرة الإسراف في الكثير من مجتمعاتنا الإسلامية دون غيرها. ويشير إلى أن ذلك سلوك خاص بمجتمعاتنا تفشى فيها منذ عقود مضت اتخذت من مقولة

جاهلة منهاجا لها «اصرف مافى الجيب يأتك مافى الغيب»، وبالطبع فالأمر دعوة للتواكل ودعوة للتبذير، ونسوا قول الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

وبذلك ظهر التنافس الحاد في إنفاق ما أفاء الله عليهم من خيرات، وما أسبغ عليهم من نعم كثيرة، وتفننوا في إضاعة أموالهم دون ضابط أو رابط أو إعداد للمستقبل.

نحن والآخرون

ويضرب الدكتور أحمد المجذوب مثلاً للسفه والإسراف في العديد من الحفلات - التي تقام بلا داع والتي يبلغ فيها الإسراف حدا لا يصدق.

ويضيف قائلاً في مؤتمر لرعاية المَفرج عنهم بـقيينا: جلسنا على منضدة متواضعة تضم وزير العدل بالنمسا وممثلاً عن الأمم المتحدة، ولم يقدم لنا سوى قطع - الجاتوه - والشاي، أما وجبات الطعام فكانت على نفقتنا الخاصة، وبذلك لم يتكلف منظمو المؤتمر شيئاً يذكر.

ويمضى قائلاً: إن كل ظاهرة اجتماعية سيئة تخلف وراءها ولاشك أزمت عديده، وفي مصر تفشت ظاهرة تخزين السلع الغذائية في مرحلة شهدت انقلافاً وانكماشاً في حجم السلع المعروضة الأمر الذي أدى بالناس لأن تتنافس في تخزين السلع بأكثر من حاجتها.

ثم ظهرت فترة حدث فيها انفلات في الاستهلاك مع ميل للمظهرة والتفاخر بامتلاك الأشياء سواء أكانت للضرورة أم لغير الضرورة كل

ذلك على عكس ما يحدث في مجتمعات أخرى تضع بنوداً لميزانياتها، فالتعليم له ميزانيته، والطعام له ميزانيته، وكذلك العلاج والسفر وغير ذلك، فكل بند له ميزانيته المستقلة.

أما لدينا فإسراف بلا حساب صار كالمرض الذي يتفشى بسرعة في جسد المريض المتهالك، والمطلوب إعادة النظر في كل نواحي حياتنا، في التعليم الذي تدهور بصورة كبيرة وصار يخرج آلافاً من أنصاف المتعلمين.

وفي الأسرة التي دفعت بسلوكها الاستهلاكي -

الأبناء لمزيد من

الإسراف

والتبذير وبالتالي

تنشأ أجيال لا

تقيم للأموال

وزنا ولا تعمل

للمستقبل

حساباً.

الدكتور عبدالعزيز غنيم:

الإنفاق في موضعه لا يعد إسرافاً

الوسط بين رذيلتين

وكما أن الشح رذيلة فإن الإسراف أيضاً رذيلة، أما الفضيلة فهي الوسط بين رذيلتين.

هكذا بدأ الدكتور عبدالعزيز غنيم - أستاذ التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر - حديثه، وأضاف: إن الإسراف هو تجاوز للوسط الذي يوازن بين التبذير والتقتير، بين اليمين واليسار.

حتى في العبادات فالوسطية مطلوبة ولا يصح فيها تجاوز الحدود أو التشدد فيها، وحين حاول بعض الصحابة تقليد الرسول ﷺ في صيامه، نهاهم عن ذلك قائلاً: «إن الله يطمئني ويسقيني»، وأيضاً حين ثَقَلَ البعض عبادته قال لهم الرسول الكريم ﷺ: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ويقول عز من قائل: ﴿وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه﴾ الأنعام: آية ١٥٣.

ويقول أيضا: «ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» القصص: آية ٧٧.
إنفاق محمود

ويضيف الدكتور غنيم قائلا: إن الإنفاق الذي يكون للمنفعة أو الذي يكون في موضعه لا يعد إسرافا.

وتقول السيدة خديجة للرسول ﷺ: «والله لا يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر»، فمن ساهم في علاج

مريض لا يكون مسرفا، ومن يقض حاجة أخيه أو يفرج كربته فهو لا يعد مبذرا وإنما محسنا، والرسول

ﷺ كانت تأتيه الوفود فيجود عليهم في ذات الوقت الذي يقتّر فيه على نفسه.

كان يطلع عليه الهلال تلو الهلال ولا يوقد في بيته نارا.

كان يأخذ النفقة ليشتري بها السلاح ولا يأكل هو ولا آل بيته.

أين نحن من هذه القيم الرفيعة والمعاني النبيلة والتي تنهانا عن التبذير وتدعو غنيّا ليعطف على فقيرنا.

وأين حق الفقراء في أموال الأغنياء؟

إن ما يتخلف عن موائد الطعام والملذات في بعض دول عالمنا الإسلامي ليكفى لسد رمق جوعى المسلمين، وإن ما يصرف بسفه في المحافل وعلى مظاهر الأبهة لكفيل بتحقيق نهضة تنموية كبرى للقضاء على شبح البطالة الذي يتهدد مجتمعاتنا.

وسطية الإسلام

ويؤكد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - رئيس رابطة الأدب الحديث - على وسطية الإسلام في كل أمور الحياة ومن تجاوز وسطيته فقد أجرم في حق نفسه وحق أمته.

ويضيف قائلا: إن ما جاء به الإسلام الحنيف من تعاليم الوسطية السمحاء لكفيل لأن ينتشل أى مجتمع من تيه العبودية والتخلف - ليرقى ويسمو به إلى أعلى درجات الرقى والسمو.

وما حاز المسلمون الأوائل السبق ودانت لهم الأرض، وسارع الناس للدخول في الدين أفواجا إلا لما يتمتع به من وسطية سمحة تستجيب لفطرة الإنسان وتجعل منه مخلوقا

ساميا متميزا عن سائر المخلوقات «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» الفرقان: آية ٦٧. وليعلم أولئك المسرفون أن عاقبة الإسراف وخيمة، فهناك إخوة لهم يموتون جوعا، وآخرون لا يجدون مسكنا يأويهم أو عملا شريفا يقتاتون به.

وما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى كل قرش ينفق - يمكن أن ندعم به أممتنا أو نمد به إخوة مجاهدين أو نسهم به في تطوير مجتمعاتنا التي تخلفت كثيرا في مضمار الحضارة.

إن أموال المسلمين لو أنفقت بالحق والعدل، ولو أخرج كل مسلم زكاة ماله ما وجدنا فقيرا يتكفف الناس، ولا وجدنا مجتمعا من مجتمعاتنا يتسول الأمم الأخرى.

وهذا الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز امتلأت في عهده خزائن بيت المال ولم يجد فقيرا واحدا ليعطيه منها.

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي:

نحتاج إلى كل قرش ندعم به أممتنا

القدس بين

منطق السلام

ومنطق الشرعية

د / عبدالله الأشعل

المؤلف
أن يتطابق السلام مع
الشرعية، بمعنى أن يقوم
السلام على مرجعيات قانونية
يرتضيها المجتمع الدولي وتستقر بها
معاملاته وأن أي حيد عن هذه المرجعيات
بأي شكل يجب أن يتم يحذر ولا يكون
الانحراف بشكل يضار فيه السلام أساساً
الشرعية، وأن يتم تبرير هذا القدر من
الابتعاد عن القانون عن طريق إيضاح
خصوصية الحالة وجدارتها
المقبولة بأن تتمتع
بمعالجة خاصة.

تجاهلها أو القفز عليها، وسبب الخطورة ثالثاً
هو أن أية تسوية لقضية القدس تعكس ثقل
الاحتلال ولا تستند إلى القانون ستكون عرضة
للقلق وعدم الاستقرار مادامت القضية تتعلق
بالعقيدة وتتصل بالوجدان الديني، بل إن أية
تسوية غير مقبولة وعادلة وقانونية سوف تحدث
وقيعة بين أصحاب الأديان مما يجعل السياسة
عامل فرقة وصراع مرير قد لا يدركه السياسيون
الذين يتعاملون مع هذه القضية الشائكة.

وإذا كانت قضية القدس متفردة على هذا
النحو فإن غرابة التناقض بين منطق السلام
ومنطق الشرعية تعظم دلالتها.

صحيح أن السلام بين أطراف متعادلة يعكس
بشكل أو بآخر ميزان القوة بين الطرفين، ولكن
أن يكون السلام في جانب والشرعية في جانب،
أو بعبارة أخرى أن يتناقض السلام مع الشرعية
ويلغى كل منهما الآخر في قضية معينة فهذا هو
الجديد في السلام الفلسطيني - الإسرائيلي،
وهو أكثر خطورة وغرابة وشذوذاً في قضية
القدس بالذات، وسبب الغرابة وموطن الخطورة
هو أن القدس لا تخص الفلسطينيين
والإسرائيليين وحدهم، وإنما تهم أصحاب
الأديان السماوية جميعاً، وسبب الخطورة في
قضية القدس كذلك هو أن للقدس مرجعية
واضحة وأن هذه المرجعية قاطعة لا يجوز

أما كيف يتناقض السلام مع الشرعية في السلام العربي - الإسرائيلي عموماً، وفي قضية القدس على وجه الخصوص، فذلك يتطلب بعض الإيضاح، ذلك أن إسرائيل قد أصرت منذ عام ١٩٦٧م على أن تسوى قضية الأراضي التي احتلتها بالقوة وأدخلت الصراع مع العرب مرحلة جديدة، بشكل ثنائي بينها، وكل دولة احتلت أراضيها، على أساس أن لكل إقليم محتل وضعه القانوني المختلف من وجهة نظرها، وظروف احتلال مختلفة ومسوغات بقاء في الإقليم مختلفة أيضاً. ففي مرحلة ما بعد ١٩٦٧م، جربت إسرائيل استخدام القوة، لنقل الصراع من مرحلة التنازع حول شرعية بقاء إسرائيل وحق اللاجئين عام ١٩٤٨م في العودة، وعدم حق إسرائيل في اكتساب أراض جديدة خارج قرار التقسيم حتى لو سلمنا بشرعيته، إلى مرحلة انشغال كل دولة عربية بإقليمها المحتل وبالأثار الداخلية والإقليمية التي سببتها الحرب والهزيمة، وعجز هذه الدول عن طرد المحتل بالقوة أو إنهاء الاحتلال بالجهود السياسية أو الدبلوماسية. في هذه المرحلة الجديدة انتقلت قضية القدس إلى وضعية مختلفة، فبعد أن كان العرب ينازعون في عدم شرعية احتلال إسرائيل للقدس الغربية مستنديين في ذلك إلى قرار التقسيم وإلى قرارات مجلس الأمن التي أدانت

هذا الاحتلال، ونقل مقر الكنيست إلى القدس، صارت القدس الشرقية هي الأخرى تحت الاحتلال الإسرائيلي، وكانت إسرائيل لاتزال تفكر في تحديد مصير المدينة المقدسة التي وضعها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، الخاص بتسوية آثار حرب ١٩٦٧م وحدها ضمن الأراضي المحتلة، ولما قررت إسرائيل ضمها أو تغيير هويتها، واجه مجلس الأمن هذا التحدي بقرارات تنكر هذه السياسة الإسرائيلية وتفرغها من أي أثر قانوني، بل وتصر على أن تعامل القدس كلها معاملة الأراضي المحتلة وفق اتفاقية جنيف الرابعة، وحيث لا تتمتع إسرائيل فيها سوى بوضع السلطة المحتلة.. وحتى اتفاقية «أوسلو» قررت أن القدس ضمن عدد آخر من الموضوعات الهامة التي حجزت للتفاوض وأنه لا يجوز تطبيقاً لذلك لأى طرف أن يتصرف في القدس من طرف واحد أو أن يقرر مصيرها وحده، وهذا الموقف له دالتان: الأولى أنه لا يعترف بأن القدس عاصمة موحدة وأبدية كما تزعم إسرائيل، وأن على إسرائيل أن تكف يدها عن المساس بوضع المدينة إلى أن تقرر المفاوضات مصيرها بالاتفاق بين الطرفين، والدلالة الثانية هي أن القدس وفقاً لاتفاق «أوسلو» قد تغير وضعها القانوني بعض الشيء، فقد ظلت من الناحية القانونية أراض محتلة

أية تسوية غير عادلة وقانونية لقضية القدس ينشأ عنها وقعية بين أصحاب الأديان

فى التاريخ أن يفترق مفهوم السلام عن مضمون الشرعية ، ولذلك يبدو غريبا أن يفسر لجوء الجانب الفلسطينى لمرجعيات الشرعية ورموزها نكوصا منه وعودة عن عملية السلام، كما تفسر محاولة الفلسطينىين إشراك أطراف أخرى فى عملية السلام لتخفيف الاستقطاب فيها وارتفاع درجات التحيز لصالح إسرائيل على أن هذا المسعى خروج على منطق السلام وإشراك الغرباء فيها .

والمحقق أن افتراق منطق السلام الذى تجنده إسرائيل عن منطق الشرعية الذى يؤيده العالم والعالم العربى بوجه خاص سوف يؤدى إلى نتائج تتفق مع منطق السلام الذى يقف وراءه ثقل الاحتلال، ولا مفر من أن يقوم

السلام على أساس الشرعية وأن تكف إسرائيل عن تغيير عناصر الشرعية، أو فرض منطق السلام الذى يتجرد من كل قانون بل ويهدف إلى صناعة شرعية جديدة، وإذا قامت شرعية جديدة أساسها الاتفاق أى فى إطار السلام فسوف تكون منحرفة بشكل ما ويقدر ما تملكه إسرائيل من قدرة على إرغام الفلسطينىين عن الشرعية الدولية المستقرة، فهل تلغى الشرعية الجديدة الشرعية القديمة؟ وهل تسمو شرعية الاتفاق الثائى القائمة على التوفيق، وهو أحد الأساليب السياسية للتسوية على

وآية ذلك خطر المساس من طرف واحد بوضعها، ولكنها من ناحية أخرى قررت لإسرائيل حقا فى أن تشترك مع الفلسطينىين فى تحديد مصيرها، وهذا الموقف يعكس بشكل ما موقف المجتمع الدولى الثابت منذ ١٩٤٧م وهو موقف وإن كان ظالما لأنه يجعل القدس محل نزاع بعد أن كانت خالصة للعرب، إلا أنه أكثر تقدما من موقف إسرائيل.

فالشرعية فى قضية القدس كل المبادئ التى جسدها قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧م حتى الآن، وأما السلام فى القضية كما تفهمه إسرائيل فهو إغفال هذه الشرعية كلية لأنها فى نظر إسرائيل مسألة نظرية لا تفيد شيئا، وأن السلام

الحقيقى هو ترك الباب مفتوحا

للإرادات الحرة لطرفى النزاع للاتفاق على وضع معين، وطبيعى أن فكرة السلام على هذا النحو تجعل ميزان القوة وليس القانون ومساندة المجتمع الدولى هى نقطة البداية والمنتهى، وأن أى إقحام للشرعية فى السلام على هذا المفهوم سوف يؤدى إلى الخروج عن نقاط التفاهم التى بدأت بها عملية السلام.

هذا الوضع خلق تناقضا غريبا بين الشرعية والسلام فى قضية القدس، وفى بقية جوانب السلام الفلسطينى - الإسرائيلى، ولعله لأول مرة

لا مفر من تحقيق السلام على أساس من الشرعية وأن تكف إسرائيل عن فرض المفاوضات القائمة على صناعة شرعية تخدم أطماعها

شرعية المبادئ التي تعكس أحكاما قبلها المجتمع الدولي وقررتها الأمم المتحدة؟ بعبارة أخرى، إذا كانت القدس في نظر الأمم المتحدة واتفاق «أوسلو» أيضا أراض محتلة، وأنه يتعين تقرير مصيرها بالاتفاق فهل يصير هذا الاتفاق منسجما مع هذه الشرعية الواضحة التي تقف عند حد إنكار الاحتلال بأى أسلوب، وأنه وضع مؤقت، لكنها تترك تقرير مصير القدس لطرفي النزاع، هذا هو وجه الخطر في المسألة،

فالشرعية الدولية تصر على أن القدس أراض محتلة وأن ضمها باطل ولا أثر له وأنه لا يجوز قانونا فرض أمر واقع مخالف عن

الشرعية الدولية تؤكد أن القدس أرض محتلة وضمها لإسرائيل باطل ومخالف للقانون الدولي

طريق نقل البعثات إلى القدس. أخشى أنه مالم يقرر العرب والمسلمون بشكل قاطع ونهائي عن أى قدس يتحدثون، فسوف تنقل إسرائيل البعثات إلى القدس الغربية مادام مؤشر الموقف العربي يقف فقط عند القدس الشرقية التي تضم الأماكن المقدسة، ثم لافرق بعد ذلك في أن تعلن إسرائيل أن عاصمتها القدس كلها أو الغربية وحدها، بل من يراقب نقل السفارات في هذه الحالة من القدس الغربية إلى الشرقية.

ومن الواضح أن نقطة البداية في الموقف العربي يجب أن تكون بنفس وضوح المنطق الإسرائيلي، فإسرائيل تعلن أن القدس الغربية

قد انضمت إليها الشرقية ليكون الاثنان عاصمة الدولة العبرية، أما أسانيد إسرائيل فهي نفس الأسانيد التي ساقتها إسرائيل نفسها لتبرر قيامها على أسس تاريخية ودينية محل جدل، ورغم أن للعرب كل الحق في كل القدس وأن الشرعية الدولية السقيمة التي رفضوها في قرار التقسيم عام ١٩٤٧م تسند موقفهم هذا إلا أننا نجد الخطاب العربي منقسما بشكل مؤلم: فالبعض يتكلم عن القدس كلها، وهم قلة وأنا منهم، والأكثر

يتحدثون عن القدس الشرقية التي ورد ذكرها في قرارات مجلس الأمن ابتداء من عام ١٩٦٧م، ثم يختلف العرب

بعد ذلك حول هل يريدون مدينة موحدة أم منقسمة إلى شرق وغرب، وهل يمكن قسمة الشرق إلى مناطق، وهل يمكن فصل السيادة عن الأماكن المقدسة. الخ.

إن هذا الانقسام في الرؤية العربية والفلسطينية يفقد الموقف العربي الصلابة الواجبة، فلتكن نقطة البداية واضحة وليتمسك العرب بكل القدس لأسباب تاريخية أيضا أكثر قبولا وإقناعا وأسباب قانونية أكثر إفحاما وليصر العرب على منطق قانوني متماسك ينتظم كل عناصر الشرعية الدولية وأن يعملوا على دعم أركان هذه الشرعية وتقوية دعائمها.

أوزبكستان

تحتفل

بذكرى

مولد

الإمام

البخارى

صاحب

الجامع

الصحيح

احتفلت الدوائر العلمية والدينية بجمهورية أوزبكستان بذكرى مرور ألف ومائة وثمانين عاما على ميلاد الحدث الكبير الإمام البخارى - الذى أجمع كثير من العلماء على تسميته «أمير المؤمنين فى علم الحديث» صاحب الجامع الصحيح للحديث النبوى.

والتقى بعلماء مشهورين منهم أبو عيسى الترمذى الذى كتب يقول: أن لقاءه مع البخارى كانت مفيدة له جدا لدى وضع مؤلفاته.

وتفيد المصادر أن البخارى قد حفظ ما يقرب من ٦٠٠ ألف حديث، ووضع مؤلفات عديدة قيمة تزيد على ٢٠ مؤلفا وأشهرها «الجامع الصحيح»، و«الأدب المفرد»، و«التاريخ الكبير»، و«التاريخ الصغير»، و«التاريخ الأوسط»، و«كتاب العلل»، و«بر الوالدين»، و«أسماء الصحابة» وغيرها.

ومما لاشك فيه أن الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخارى هو من أكثر مؤلفاته شهرة وأهمية إذ جمع فيه ٧٢٧٥ حديثا صحيحا موثوقا فيه ويحتل الجامع الصحيح مكانة عظيمة ويعتبر مرجعا مهما لدى المسلمين ومصدرا موثوقا به لأحاديث رسول الله ﷺ شارحة ومفسرة القرآن الكريم.

وجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٩٨م أصدر الرئيس إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان مرسوما لإعادة بناء ضريح الإمام البخارى فى احتفال كبير بمناسبة مرور ١٢٢٥ عاما على ذكرى ميلاده، وقد أصبح مزارا للملايين من المسلمين والسياح.

فى العاشرة من عمره بدأ أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زبيج الجعافى البخارى يحفظ الأحاديث النبوية، وكانت والدته لا تدخر جهدها فى سبيل تعليمه وتثويره بعد أن توفى أبوه وتركه وهو فى سن صغيرة حيث ولد - حسب ما كتب أبوه - فى مدينة بخارى يوم ١٢ من شهر شوال عام ١٩٤هـ الموافق ٢٠ من يوليو عام ٨١٠م.

وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره فى عام ٨٢٥م غادر البخارى مع والدته وأخيه - أحمد البلاد متوجها إلى الحجاز، حيث أقام فيها ست سنوات، كما زار المدن الكبرى التى تركزت فيها دراسة العلوم مثل القاهرة، وبغداد، والكوفة، والبصرة ودمشق، فالتقى بخيرة العلماء فى الحديث والفقه ودرس عليهم، وشارك فى لقاءات ومناقشات علمية مع علماء بارزين، وهكذا قضى الإمام البخارى جزءا كبيرا من حياته خارج وطنه يجمع الأحاديث النبوية ويصنفها ويزيد من معارفه، وفى السنوات بين عام ٨٦٣، ٨٦٨م عاش البخارى فى نيسابور التى اشتهرت كواحدة من المراكز العلمية فى العالم الإسلامى فألقى دروسا فى الحديث

وزير الأوقاف في حفل تكريم الدعاة
المثاليين وحفظ القرآن الكريم

الدعوة الإسلامية وعمارة المساجد تحظى
باهتمام كبير في عهد الرئيس مبارك

وراء الأقباط

منير بيومي



مدير أوقاف الإسماعيلية يتسلم الجائزة من د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف

للعام الثالث على التوالي تكرم وزارة الأوقاف الأئمة المثاليين
على مستوى محافظات مصر إيماناً منها بدور الإمام الأساسي في
الدعوة، والذي - هو - موضع تقدير من الدولة حكومة وشعباً.
في حفل التكريم الذي أقيم بمسجد النور بالعباسية أكد
الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف أن الدعوة
الإسلامية في عهد الرئيس مبارك تحظى باهتمام شامل على
جميع المستويات، وأن عمارة المساجد شهدت زيادة غير مسبوقة.

الإسماعيلية
المحافظة المثالية
الأولى على
مستوى
الجمهورية



حشد كبير من رجال الدعوة وأئمة المساجد يشهدون حفل التكريم

العاملة من أجل الارتقاء بمستوى الدعوة والدعاة. وأضاف أن نتيجة المسابقة الأخيرة تقدم لها ١٤ ألفاً نجح منهم ٢٥٠٠ إمام وداعية. كما أظهرت نجاح ٤٥ من خريجي كليات اللغات والترجمة بجامعة الأزهر وأقسام الدراسات الإسلامية بالانجليزية والفرنسية والألمانية حيث سيتم الاستعانة بهم مستقبلاً في الابداعات للخارج إلى الدول الناطقة بهذه اللغات.

وأكد الدكتور محمود حمدي زقزوق أنه سيتم أوائل الشهر الجاري الإعلان - عن مسابقة جديدة لاختيار ٣٥٠٠ إمام جديد من خريجي الدور الأول للكليات الدينية هذا العام.

وقام وزير الأوقاف بتسليم الجوائز لسبعة وعشرين إماماً مثالياً بمنح كل إمام مبلغ ألفي جنيه وشهادة تقدير ومنح كل إمام من الأئمة الأحد عشر الحافظين لكل القرآن الكريم ما بين ٧٥٠ و ١٥٠٠ جنيه، كما كرم مديرية أوقاف الإسماعيلية باعتبارها الأولى والمثالية على مستوى الجمهورية في الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم وانتشار مكاتب التحفيظ بمنحها درع الوزارة.

وأوضح وزير الأوقاف أن تكريم الأئمة هو تكريم للدعوة الإسلامية، وتكريم حفظة القرآن الكريم تقدير للقرآن في أشخاص هؤلاء الذين اهتموا بحفظه وتفسيره مشيراً إلى ما تبذله الوزارة من أجل تقديم المزيد من الرعاية الاجتماعية للأئمة والدعاة لأنهم - هم العنصر الفاعل والأساسي في وزارة الأوقاف - وعليهم تقع مسئولية الدعوة والرسالة السامية في خدمة الدين.

وأوضح وزير الأوقاف أنه تم إلغاء الاستقطاعات التي كانت تخصم من الجوائز المالية، وأضاف أنه تقرر - منح عشرة جنيهاً إضافية - لكل إمام يصعد المنبر على مستوى الجمهورية بشرط الالتزام بالجدية في العمل والحرص على المظهر اللائق بالزي المتعارف عليه.

وأكد وزير الأوقاف أن تعيين الأئمة حالياً يخضع لشروط واختبارات من خلال المسابقات التي تجربها الوزارة بين هؤلاء الخريجين لاختيار الأفضل من الناحية العلمية والثقافية، وحفظ القرآن الكريم وتفسيره، والأحاديث النبوية الشريفة، والمعلومات العامة بدلا من نظام التعيين عن طريق القوى

نهر العطاء الفكري يتدفق في معسكر أبي بكر الصديق بالإسكندرية

مهمة تثقيف الشباب وتنويرهم
وتبصيرهم بأمور دينهم وديارهم مسئولية
قطاعات متعددة في الدولة، وتعتبر وزارة
الأوقاف إحدى هذه القطاعات المسؤولة
عن الدعوة الإسلامية لتعريف الجماهير
بصحيح الدين.



وزيرا الأوقاف والشباب في أحد اللقاءات الفكرية مع شباب المعسكر

حوارات مفتوحة للعلماء والمفكرين مع الشباب حول القضايا المصرية



تصوير: سيد الزفزاف

ومن منطلق مسئوليتها تجاه الشباب تنظم الوزارة من خلال المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الملتقيات الفكرية على مدار العام بدءا من الموسم الثقافي بمسجد النور بالعباسية ثم ملتقى الفكر الإسلامى بجوار مسجد الحسين فى شهر رمضان من كل عام، ثم ينتقل هذا النشاط إلى الإسكندرية فى الصيف بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية يلتقى الشباب بالسادة العلماء والوزراء والمسؤولين فى لقاءات مفتوحة وتداول حوارات تناقش فيها كل الأمور والقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتسم بالمصارحة والمكاشفة لتبصير الشباب بواجباتهم وحقوقهم من أجل مستقبل أفضل لمصرنا الحبيبة.

تضمن المعسكر هذا العام أربعة أفواج الأول: شباب العالم الإسلامى الدارسين فى المعاهد والجامعات المصرية والأزهر الشريف والثانى: والثالث للشباب من جامعات الوجهين القبلى والبحرى، أما الفوج الرابع فكان مخصصا للفتيات من دول العالم الإسلامى بالمشاركة مع فتيات الجامعات المصرية.

وزير الأوقاف:

التقدم العلمى مطلوب مع التأكيد على القيم الدينية والأخلاقية

أكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف أن افتتاح الرئيس مبارك لمدينة مبارك العلمية له أبعاد كبيرة تؤكد على الانطلاقة العلمية الكبرى التى وضع أسسها الرئيس مبارك، وهذا يدعونا إلى الفخر والاعتزاز مشيرا إلى أن معظم العاملين فى هذه المدينة من خيرة شباب مصر الذين هم أمل المستقبل.

وطالب د. زقزوق الشباب أن يحرصوا على إعداد أنفسهم إعدادا جيدا وعدم إضاعة الوقت فيما لا يفيد حتى يستطيعوا أن يقدموا لوطنهم ما ينتظره منهم ليحقق مكانه ومكانته اللائقة به على خريطة الألفية الثالثة مع التركيز على القيم الأخلاقية والدينية كركيزة وأساس للانطلاق والتقدم مشيرا إلى حرص المسلمين الأوائل على الاستزادة المستمرة من العلم مما جعلهم يستطيعون فى فترة زمنية قصيرة بناء حضارة أعطت للبشرية عطاء حضاريا مثمرا غير مسبوق.

وزير التنمية الإدارية:

الدولة حريصة على توفير فرص العمل للشباب

أكد الدكتور محمد زكى أبو عامر وزير التنمية الإدارية أن الاقتصاد المصرى يشهد تطورا وازدهارا ملموسا يشهد به العالم وأن مصر استطاعت أن تخرج من عنق الزجاجة وأن تدخل القرن الجديد محققة نهضة اجتماعية واقتصادية متميزة.

وقال د. أبو عامر فى لقائه بشباب الجامعات المصرية فى الفوج الثالث بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن الرئيس مبارك حريص على تقديم الدعم للمواطنين بزيادة مرتبات العاملين فى الدولة بنسبة ١٠٪ سنويا وأن السيد الرئيس هو أول رئيس يسمح بمنح العاملين فى الدولة حوافز شهرية وصلت إلى ٢٥٪ من الراتب الشهري استفاد منه ٢,٦ مليون موظف.

وأشار د. أبو عامر إلى أن الدولة لم تغلق باب التعيين على الإطلاق فقد تم تعيين ١٥٠ ألف موظف هذا العام منهم ٥٠ ألف مدرس بالتربية والتعليم.



د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ود. أحمد الزيتي وكيل الوزارة للعلاقات الثقافية

هذه العمالة إلا من خلال الاعتمادات المالية المتاحة وتم إصدار قانون يسمح بثبوت هذه العمالة على درجات دائمة بدون إعلان.

وأكد وزير التنمية الإدارية أن الجهاز الإداري للدولة قام بتطوير الخدمات التي تقدم للمواطنين بإدخال ٢٦٨ خدمة على شبكة الإنترنت للعاملين في الخارج ليتعرف المواطن على المستندات والرسوم والتوقيعات المطلوبة.

وتم تقديم خدمة تليفونية لإرشاد المواطنين عن الإجراءات والمستندات المطلوبة لاستخراج نماذج معينة من خلال مائة خط تليفوني سوف تبدأ البث التجريبي وسوف تفتح رسميا الشهر القادم.

كما وفرت الدولة فرص العمل للشباب من خلال إلغاء إعادة تعيين العاملين الذين فصلوا لأسباب قانونية لتوفير الدرجات الخالية.

وقال: إن ظاهرة وجود الخبراء والمستشارين والتي كانت تكلف الدولة أعباء ٧٣ مليون جنيه سنويا دون الحاجة إليها إلا لقلّة قليلة من التخصصات النادرة مشيرا إلى أن مكافآتهم وصلت إلى مليوني جنيه ووصل عددهم إلى ٤٥٠ خبيرا على مستوى الدولة.

وأضاف أن ظاهرة العمالة المؤقتة كانت تشكل خللا إداريا في الأجهزة الحكومية أدت إلى تكليف الدولة أعباء مالية تم التغلب عليها من خلال تقنين توظيف هذه العمالة، وتم حظر تعيين

يضم ١٦٥ شعبة للتدريب على الحرف بمراكز الشباب وفتح أبوابها للشباب.

كما أعلن وزير الشباب خلال اللقاء أن مراكز الشباب هذا الصيف توفر فرص عمل لـ ٢٠٠٠ طالب أزهري للعمل

مشرفين دينيين بمراكز الشباب كما تمت إقامة مراكز صيفية للأنشطة في ٣٠ معهد أزهري.

وطالب د. على الدين هلال الشباب بإعداد أنفسهم إعدادا علميا لمواجهة التحديات التي تواجه مصر خلال هذه المرحلة، وأوضح أن الدولة من جانبها وعلى رأسها الرئيس مبارك حريص كل الحرص على توسيع دائرة العمل العام أمامهم وتدريبهم وتأهيلهم تأهيلا رفيع المستوى للتصدي لتحديات المستقبل ومواكبة المتغيرات العالمية من حولهم من أجل إعادة بناء الدولة المصرية ورفع مستوى كفاءة الأداء كدولة عصرية متقدمة.

وأكد على حرص الرئيس مبارك الشديد واهتمامه البالغ بضرورة أهمية مشاركة الشباب مشاركة إيجابية وفعالة في العملية الانتخابية في نوفمبر القادم بالادلاء بأصواتهم لأنهم عصب العملية الانتخابية ومستقبل البلاد.

وزير التعليم العالي والبحث العلمي:

الدولة توفر كل الإمكانيات للنهوض بالتعليم والبحث العلمي

من واقع مسؤوليته عن قطاع التعليم العالي والبحث العلمي يحدد الدكتور مفيد شهاب ملامح



رئيس جامعة الإسكندرية ووزير التعليم العالي
ووزير الأوقاف مع شباب الجامعات

وزير الشباب

تبار العولة والمتغيرات العالمية لن يغير من هويتنا المصرية

أكد الدكتور على الدين هلال وزير الشباب في لقاءه مع شباب معسكر أبى بكر الصديق

بالإسكندرية أن شباب مصر يفخر بحضارتيه القبطية والإسلامية مشيرا أن التغيرات العالمية والموجات الثقافية لا تؤثر على هويته المصرية وعقائده الدينية من خلال فهمه الصحيح للدين واستيعابه لغة العصر، وأوضح أن الدولة وضعت كافة إمكانياتها من أجل توفير المناخ الثقافى والتموى للشباب من خلال قنواتها الفضائية.

وصرح وزير الشباب بأن وزارة الشباب من خلال مشروعاتها وبرامجها تعمل على إقامة قاعدة تكنولوجية للشباب بإنشاء ٢٧٠ معمل حاسب آلى بمراكز الشباب بالمحافظات تنتهى منها خلال الشهور القليلة القادمة لتدريب الشباب على علوم الحاسب الآلى وتستقبل فى معسكراتها ٧٠ ألف شاب من شباب الجامعات والعمال والفلاحين وذوى الاحتياجات الخاصة، وقاربت على الانتهاء من تحديث ٦٢٧ مركز شباب على مستوى الجمهورية ودعمه بخط تليفونى وتليفزيون ملون وربط هذه المراكز بالقنوات التعليمية الفضائية وتطوير مكتبات مراكز الشباب ودعمها بـ ١٣١ ألف كتاب وتدريب أمناء المكتبات لتشجيع حب القراءة ودعم ٦٢ نادى علوم تكنولوجيا بمراكز الشباب والجامعات وتوفير كافة الأدوات والأجهزة لمزاولة النشاط به.. كما تم دعم ١١٢ مركز توجيه مهنى

التعليم في القرن الجديد مشيراً إلى أن الجامعات والمعاهد العليا تمثل قاطرة التقدم في كل دول العالم من خلال الثورة العلمية الهائلة مؤكداً أن الجامعات تلعب دوراً مهماً في هذه الثورة ، وبالتالي من الواجب أن يحظى التعليم الجامعي بأكبر دعم من الوسائل العلمية والإمكانات اللازمة للبحوث.

وأوضح وزير التعليم العالي والبحث العلمي أن ميزانية الجامعات الاثنتي عشرة أربعة مليارات ومائتان وخمسون مليون جنيه، وهذا خير دليل على اهتمام الدولة بالتعليم مشيراً إلى أن هذا الاتفاق يجب أن يقابله مستوى تعليمي متميز ومتقدم في المناهج الدراسية وتطويرها لتساير التقدم العلمي على مستوى العالم بل تتنافس معه.

وأضاف أن فلسفة الحكومة في التعليم تقوم على التوسع الكمي والعلمي وتوفير الإمكانات والوسائل البحثية من خلال خطة استراتيجية وبرنامج زمني.

د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر: أحذر الشباب من الوقوع في براثن الفتنة والشائعات

الدكتور أحمد عمر هاشم بصفتة مسئولاً عن قطاع كبير من الشباب طلاب جامعة الأزهر يحذر الشباب من الوقوع تحت تأثير مروجي الشائعات ومثيري الفتنة الذين يحاولون النيل من الإسلام ومن مصر بلد الأزهر الشريف الذي حمى عقيدة الإسلام وعلوم القرآن وصمد الحملات التنارية التي حاولت أن تضيع تراث الأمة الإسلامية.

وأوضح رئيس جامعة الأزهر أن مصر حكومة وشعباً تضع الشباب نصب أعينها توجههم

وتقدم لهم كل العون وتوفر لهم فرص التعليم والعمل إيماناً منها بأن الشباب هم عدة المستقبل مشيراً إلى التحديات التي تواجه أمتنا العربية والإسلامية في ظل التقدم العلمي والنظام العالمي الجديد وتيار العولمة.

وطالب د. أحمد عمر هاشم الشباب ألا ينسى دوره تجاه وطنه ودينه وهو ينتسب إلى خير أمة أخرجت للناس أراد الله لها أن تكون رائدة للأمم تنشر رسالة الإسلام الدين الخاتم مشيراً إلى تحقيق ذلك بالتسلح بالوحدة والتضامن كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾.

الدكتور محمد الراوى: الحضارة المعاصرة تجاهلت الجانب الإنساني في حياة البشر

أكد الدكتور محمد الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية أن من سلبيات الحضارة المعاصرة أنها خاطبت في الإنسان شهوته وخالفته فطرته فأحدثت فراغاً فكرياً وعقلياً لا يملأ سوى التمسك بالإسلام، وأضاف أن الأمة الإسلامية مطالبة بتبليغ الرسالة إلى العالم أجمع مشيراً إلى أن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تدافع عن نفسها وتدفع عنها عدوها عليها أن تتمسك بكتاب الله وتدبر آياته وأحكامه وأوامره ونواهيه.

وحول الأخذ بالتوكل قال فضيلته: إنه ليست هناك مجاملة في الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، وإذا أردنا أن نعرف معنى التوكل فهو أن نأخذ بالأسباب كما قال الرسول ﷺ للرجل الذي ربط الدابة «اعقلها وتوكل».

تجربة رائدة لتطوير المسجد الجامع لأول مرة مسجد النور يشهد نشاطا رياضيا للبراعم



وزير الأوقاف وقيادات الدعوة يشهدون عرضا رياضيا للبراعم الصغيرة

الخدمات التي تقدم للجماهير من خلال المسجد الجامع الذي يذكرنا بما كان عليه دور المسجد اقتداء بسنة الرسول ﷺ حيث كان يعقد اجتماعاته في المسجد لمناقشة قضايا المجتمع وحل النزاعات. وأضاف وزير الأوقاف أن هذه الدورة الرياضية للبراعم الصغيرة ستتلوها دورات أخرى مشيرا إلى أن الإسلام أكد على أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وأوضح د. زقزوق أن مسجد النور يعتبر مركز إشعاع ديني وفكري وثقافي حيث يقام بقاعة محاضراته الكبرى والتي تتسع لأكثر من ألف شخص موسم ثقافي كل أسبوع يشهده أبناء الجامعات المصرية من الجنسين يبدأ مع بداية العام الدراسي وحتى نهايته كل عام. في ختام الحفل قام د. زقزوق بتسليم الكؤوس والميداليات والجوائز على المتميزين في لعبة الكاراتيه والذين تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات وأربعة عشر عاما من الذين حصلوا على الحزام الأصفر في شهر قليلة.

لم يعد المسجد مجرد مكان تقام فيه شعائر الصلاة بل اتسعت وتنامت رسالته ليقدّم خدمات متعددة ومتنوعة للجماهير، ومسجد النور بالعباسية خير نموذج للمسجد الجامع يذكرنا بالرسالة الشاملة النافعة للمسجد في صدر الإسلام.

فبالإضافة إلى اللقاءات الثقافية والفكرية التي تقام بالقاعة الكبرى بالمسجد والدورات التدريبية والتأهيلية للأئمة، ودورات الكمبيوتر والمكتبة الثقافية والعيادة الطبية ودار المناسبات التي تسهم في تخفيف أعباء الزواج للشباب. أجرى مسجد النور تجربة فريدة في الألعاب الرياضية والكاراتيه لأبناء حي العباسية. وفي الحفل الذي شهده الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف لتكريم مائة من البنين والبنات الذين تم تدريبهم على الألعاب الرياضية والكاراتيه أكد أن خطة الوزارة تهدف إلى العودة إلى التوسع في



القدس مدينة السلام

اختتم المؤتمر الحادى عشر للاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات «أعلم» اجتماعاته التى عقدت على مدار خمسة أيام فى الفترة من ١٢ إلى ١٦ أغسطس الماضى بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية فى القاهرة بمشاركة وفود من دول عربية وإسلامية، ودولية قامت بإصدار «إعلان القدس» الذى جاء فيه بهذا الخصوص:

حرص الحضور من خلال مؤتمريهم المنعقد فى «بيت العرب» على توجيه رسالة للعالم أجمع، مؤكدين على أن القدس غير خاضعة للمتاجرة ولا للمزايدات اللفظية والشعاراتية، ولأن القدس أحد ثالث المرجعيات التاريخية والدينية للأمة العربية والإسلامية وأن باحثى ومتخصصى المعلومات وأمناء التراث من المسلمين والمسيحيين على حد سواء متمسكون بهذا الإرث التاريخى، ويهيئون بالقيادات الفكرية المحايدة فى المجتمع الدولى أن يعملوا على وقف حملة التضليل وطمس الحقائق التى تمارسها الدوائر الصهيونية بمشاركة أوروبية أمريكية، ويؤكدون أنه لا يمكن لأية قوة فى العالم فرض سيطرتها الدينية على المدينة وتكون سبباً لاستمرار الصراع والصدام بين الديانات السماوية الثلاث بدلاً من تغليب لغة الحوار.

متابعة وحوار/ محسن عبدالفتاح

مؤتمر الاتحاد العربى للمكتبات

كلمة حق فى وجه الباطل!!

يأتى هذا المؤتمر الكبير للمكتبيين العرب - إضافة لمشاركة إسلامية ودولية - ردا قويا من قرابة أربعمائة متخصص على انعقاد مؤتمر الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والذي عقد في مدينة القدس المحتلة في نفس الفترة الزمنية، الأمر الذي أكسب مؤتمر «القاهرة» صبغة سياسية إضافة للطابع العلمى، حيث أعلن الحضور- وبوضوح: رفضهم القاطع تكريس احتلال القدس العربية من قبل اليهود، وأن انعقاد مؤتمر القاهرة - رغم الصعوبات - ترجم المواقف المبدئية والثابتة حول تمسكهم بعروبة القدس،

وأكد على المكانة الروحية والدينية لها باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

لماذا مؤتمر القاهرة؟

وفى لقاء مجلة «منبر الإسلام» مع رئيس الاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات الدكتور

عبد الجليل التميمى حول خلفية انعقاد هذا المؤتمر بالقاهرة وأهميته على المستوى الإقليمى والدولى، قال: لقد واجهنا صعوبات جمّة من أجل انعقاد هذا المؤتمر، ولقد وفقنا الله لإقامته بهذا النجاح الكبير ردا على المؤتمر المنعقد فى نفس الفترة الزمنية بالقدس المحتلة من قبل الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات - بعد أن وقع مسئلوهم تحت تأثير الدعاية اليهودية من خلال تزييف الحقائق وخلط الأوراق، ولقد حاولنا من خلال المراسلات المتبادلة توضيح الخطورة فى عقد مؤتمر الاتحاد الدولى بمدينة القدس المحتلة، وأكدنا فى نفس الوقت تمسكنا بعروبة القدس والحفاظ على المقدسات الإسلامية بها، ورفضنا أى مبرر فى هذا الخصوص لا يقر بحقوقنا

الشرعى فى المدينة المقدسة.

لقد عُرِض علينا أكثر من مكان لعقد مؤتمرنا هذا، ولكننا اخترنا القاهرة قلب العروبة وعاصمة المعز، وفى «بيت العرب» بالذات لدلالات تاريخية بعيدة المدى. وأضاف الدكتور عبد الجليل التميمى: لقد تسابق قادة وشخصيات عربية لتذليل الصعاب، ومد يد المساعدة لإقامة هذا المؤتمر الكبير غيرة منهم على المدينة المقدسة، نذكر منهم: الرئيس مبارك، والرئيس عرفات، والشيخ سلطان حاكم الشارقة، كذلك جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا

إلى جانب جامعة الدول العربية وأمينها العام الدكتور - عصمت عبد المجيد - التى احتضنت المؤتمر وتمت إقامته تحت رعايتها بالتنسيق مع الاتحاد العربى للمكتبات ومؤسسة

التميمى، إضافة لمنظمة المؤتمر الإسلامى، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

لقد نجح مؤتمر القاهرة هذا نجاحاً غير مسبوق، وجاءت رسالته قوية واضحة للعالم أجمع لتقول: إن القدس عاصمة دولة فلسطين بكل الأبعاد التاريخية والدينية: - أمس - واليوم - وغداً.

قهر المستحيل وتحقيق الانتصار:

الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية التى استضافت هذا المؤتمر حرص على توجيه رسالة إلى من يهمل الأمر، وذلك فى الكلمة التى ألقاها فى جلسة الافتتاح نيابة عنه الدكتور سعود زبيدى رئيس الإدارة العامة لمركز التوثيق والمعلومات بجامعة الدول العربية.

أكد الدكتور عصمت عبدالمجيد في مستهل كلمته على الموقف العربى الواضح والقاطع من قضية القدس والحقوق العربية والإسلامية التى لا يمكن التفريط فيها مهما كانت الضغوط، وضرورة عودة القدس - عاصمة - لدولة فلسطين. وأضاف أمين عام الجامعة العربية أن قضية القدس ليست قضية فلسطينية فحسب وإنما هى قضية إسلامية ومسيحية، وتمثل خطأ أحمر لا يجوز المساس به أو الاقترب منه بتقديم تسوية تبتعد عن روح العدالة وقرارات الشرعية الدولية.. وختم الأمين العام كلمته بقوله: إن الأمة العربية والإسلامية تملك من القدرات البشرية والإمكانات المادية ما يمكنها من أن تثبت للعالم أجمع أنها أمة قادرة على قهر المستحيل وتحقيق الانتصار، ولنا فى قوة المقاومة اللبنانية الباسلة التى أجبرت إسرائيل على الهروب من جنوب لبنان وبَقَاعُهُ الغربى خير مثال على ذلك.

الدولة الفلسطينية ستقام

ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية السفير محمد صبيح أنابه الرئيس الفلسطينى - ياسر عرفات فى إلقاء كلمته حيث قال: إن ما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلى من خطوات بهدف تهويد مدينة القدس واستيطانها، وطرد سكانها يتعارض ليس فقط مع الشرعية الدولية، بل يناقض حقائق التاريخ ويعمل على طمس الحقوق العربية، وأضاف: إن العرب والمسلمين جميعا يحملون أمانة حماية مدينة القدس ومقدساتها.. والآن يخوض الشعب الفلسطينى بقيادته.. الشجاعة أشرس معاركه دفاعا عن أرضه ومقدساته رغم تعرضه للضغوط الداخلية والخارجية والتهديدات والمساومات، وأضاف سيادته:

لذلك لابد من تنظيم الصفوف على مستوى

الحكومات والشعوب العربية والإسلامية والمسيحية من أجل القضية المقدسة.

أما عن الملابس التى صاحبت انعقاد المؤتمر - فقد أوضح ذلك سفير فلسطين ومندوبها لدى الجامعة العربية فى تصريح خاص «لمنبر الإسلام» حيث قال: إن المؤتمر جاء فى موعده وعقد رغم الصعوبات التى واجهته والضغوط التى مورست لعدم انعقاده، ونحن نعلم أن هذه المعركة تدور منذ أكثر من ثلاث سنوات حاولت فيها إسرائيل تضليل الرأى العام العالمى والقفز على قرارات الشرعية الدولية، وإيهام العالم أن القدس أراضٍ يهودية، وأنها عاصمة أبدية لهم، وهذا ما يخالف قرارات الشرعية الدولية والقانون الدولى.

لقد تورط الاتحاد الدولى للمكثبات فى هذا الموقف، ووافق على عقد اجتماعه بالقدس الشريف علما بأن اتفاقية «جنيف» الرابعة لا تبيح عقد مثل هذه الاجتماعات من أى نوع بأرض محتلة، وهذه أراضٍ فلسطينية احتلت من قبل إسرائيل، وبالتالي - وبعد التحذيرات الكثيرة التى رفضها، ولم يتجاوب معها الاتحاد الدولى للمكثبات - تم عقد مؤتمر القاهرة بحضور أعضاء من الدول التى قاطعت اجتماع القدس وتوجيه رسالة ودرس للمنظمة الدولية وإسرائيل مفادها أن العالم متبهِه لمثل هذه الأضاليل ومثل هذه الألاعيب.

إن هذا المؤتمر نجح نجاحا كبيرا، وأضاف السفير: ولعله سيعطى رسالة واضحة قوية للجميع معبرة عن الموقف العربى والإسلامى تجاه مدينة القدس، ودعم المفاوض الفلسطينى أمام الهجمة الشرسة التى يوجهها، حتى يتأكد للجميع أن قضية القدس هى خط أحمر وخطير جدا، ومن يلعب بها يحترق وسيحول الصراع إلى صراع دينى، وهذا أمر خطير للغاية!! لهذا فنحن نعمل على إعادة السيادة العربية على مدينة القدس

إن قضية القدس خطيرة جدا وتمثل خطأ أحمر من يقترب منه يحترق ويفجر صراعا دينيا رهيبا مندوب فلسطين بالجامعة العربية

توصيات بيان القدس :

في ختام المؤتمر صدر بيان «القدس»
الذي أكد على الآتي:

- أهمية مدينة القدس ومكانتها ودورها
الحضارى والدينى، وطابعها العربى
الإسلامى، وهو ما يشكل إحدى الثوابت
الجوهرية للمطالبة بها كعاصمة لدولة
فلسطين.

- مناشدة المنظمات والهيئات الدولية
والإقليمية العمل على رد جميع
الممتلكات الثقافية والتاريخية
والمخطوطات الإسلامية التى استولت
عليها قوات الاحتلال خلال الحروب
العربية - الإسرائيلية احتراماً للتراث
العربى الفلسطينى وهو جزء هام من
التراث الإنسانى.

- العمل على توفير الكفاءات العلمية
العربية والإسلامية فى مؤسسات
المعلومات بالدول العربية والربط فيما
بينها بقاعدة بيانات عامة من جانب،
وبينها وبين الدول الإسلامية والأجنبية
من جانب آخر، وتوثيق ورصد كل ما ينشر
عن فلسطين والقدس بشكل خاص.

- دعم المكتبات الوطنية والمؤسسات
ومراكز البحوث الفلسطينية حتى تقوم
بأداء دورها البحثى والمعرفى كرافد من
روافد الهوية العربية والإسلامية.

حفاظا على حرية العبادة والمحافظة على
المقدسات الدينية لكافة الأديان لتظل كما كانت
دائما عبر التاريخ مدينة التسامح والعبادة والمحبة.
أما عن إعلان دولة فلسطين فقد قال السفير
محمد صبيح فى حديثه: إن هذا حق مقدس
للشعب الفلسطينى لا ينازع فيه، شأنه فى ذلك
شأن كل شعب من الشعوب. إن المشاورات
والاتصالات التى تجرى الآن ومنذ فشل مفاوضات
معسكر داوود «كامب ديفد الثانية» هى من أجل
خدمة هدف إعلان الدولة الفلسطينية التى تبنى
الآن شيئا فشيئا - نحن نريد إزاحة الاحتلال،
وتجسيد الدولة، فإذا أرادوا ذلك بالمفاوضات
العامة، والسلام الشامل فحبا وكرامة، أما إذا
تعنتوا وأبقوا على الاحتلال وعملوا على بناء
المستوطنات وقضم الأرض، فسوف تقام الدولة
الفلسطينية وتجسد قسرا - مهما كانت التضحيات.

موضوعات المؤتمر:

المؤتمر عالج فى جلساته على مدار الأيام
الخمس موضوعين أساسيين:

الأول تناول السبيل إلى إنشاء موقع جديد على
شبكة الاتصالات والمعلومات العالمية «الانترنت»
يسجل فيه الإنتاج الفكرى المكتوب باللغة العربية،
والثانى يدعو العالم الإسلامى لتكثيف الإنتاج
الفكرى لدوله فى العديد من التخصصات ليطلع
عليه الجميع ويستفيد منه، خاصة وأن هناك شبه
قطيعة كاملة بين العالمين العربى والإسلامى فى
هذا الاختصاص.

لها تاريخ مسجد السيدة زينب



السيدة زينب بطلة كربلاء.. وعقيلة بنى هاشم

تحقيق: محمد كامل شاهين

نشأتها ونسبها:

السيدة زينب غنية عن التعريف فأبوها على بن أبى طالب، وجدها لأُمها سيدنا محمد ﷺ، وأُمها فاطمة البتول، وجدتها لأُمها السيدة خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين، وشقيقاها الحسن والحسين سبطا الرسول ﷺ.

ولدت السيدة زينب فى السنة السادسة للهجرة فى بيت النبوة بالمدينة المنورة فباركها جدها النبى ﷺ واختار لها اسم زينب، إحياء لذكرى ابنته التى توفيت فى السنة الثانية للهجرة متأثرة بجراحها، فقد لقيها أحد المشركين بعد غزوة بدر فى طريقها إلى المدينة فنخسها فى بطنها وكانت حاملا فأسقط حملها.

ظل الرسول ﷺ يجد فى قلبه لوعة الحزن حتى إذا ما ولدت أختها الزهراء ابنتها الأولى سماها زينب، ونشأت زينب تحوطها رعاية جدها وعطف سابغ من أهلها الكرام، ولكنها لم تكد تبلغ الخامسة من عمرها حتى لبي جدها ﷺ نداء ربه، ودفن فى غرفة السيدة عائشة بالمدينة المنورة.

وتمضى الأيام كئيبة حزينة بعد وفاة الرسول ﷺ، وزينب جالسة إلى فراش أمها العليلة الحزينة، فما يذكر التاريخ أن فاطمة ضحكت بعد وفاة والدها حتى لحقت به، بل عدت من البكائين فى التاريخ، بكى آدم ندما، وبكى نوح قومه، وبكى يعقوب ابنه يوسف، وبكت فاطمة أباه، ثم أدركتها رحمة الله فلحقت بأبيها بعد ستة أشهر.

فقدت السيدة زينب جدها - صلوات الله وسلامه عليه - وهى بنت خمس، ثم فقدت أمها البتول فاطمة الزهراء بعد ذلك بشهور لا تتجاوز السنة وعملت بوصية أمها فصحبت أخويها السبطين الحسن والحسين وصارت لهما أما رغم أنها تصغرهما.

أوصى النبى - عليه الصلاة والسلام - بحب آل بيته والافتداء بهم فى مسالكهم الرشيدة.

يقول ﷺ: «المرء مع من أحب». وقد ورد عن الإمام على - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ أخذ يد السبطين الكريمين الحسن والحسين - رضى الله عنهما - وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي فى درجتى يوم القيامة».

فإذا كانت المدينة المنورة تشرفت بقبر الرسول ﷺ، فمصر تشرفت بمراقده آل البيت، وهذا شرف كبير للمصريين، ومن هذه المراقد الشريفة «قبر السيدة زينب» - رضى الله عنها - ونظرا لأهمية مسجد السيدة زينب ولاسيما بعد التجديدات التى أدخلت عليه فى الآونة الأخيرة، فقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على هذا المسجد الكبير.

يجمع كتاب التاريخ من عرب ومستشرقين على أن السيدة زينب أول سيدة فى الإسلام قدر لها أن تلعب على مسرح الأحداث السياسية دورا ذا شأن، فقد اقترن اسمها فى التاريخ الإسلامى بمأساة «كربلاء» - إحدى المعارك الحاسمة فى التاريخ الإسلامى.

ولم يجحد أحد دور «السيدة زينب»، بل إن منهم من سماها «بطلة كربلاء» لأنها السيدة الأولى التى ظهرت فى اللحظة الحرجة تأسو المكوم وترعى غلاما مريضا هو على زين العابدين ابن الحسين.

وكانت نشأة السيدة الطاهرة، زينب نشأة كريمة صادقة أخذت عن أمها العفاف والتقوى والهدى، وعن أبيها الشجاعة والإقدام والفصاحة والعلم وقوة الإيمان، وأخذت عن أخويها التضحية وإنكار الذات، إلى جانب ما أخذته من جدها ﷺ من العظمة والصدق والأمانة والحب ومالا يحصى من محمود الصفات^(١).

صفاتها وعلمها:

كانت السيدة زينب صوامدة قوامدة لله تعالى نائبة إليه تقضى أكثر ليلها متهجدة قارئة للقرآن الكريم، كما كانت عابدة متبذلة ممعنة الفكر فى خلق الله، وكانت تدعو الناس إلى الإيمان بالله والثقة والتشفع بالنبي الكريم ﷺ بعد اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، فكان من حولها من المسلمين ينهلون من ينابيع علمها وسمو روحها. وكانت السيدة زينب فى البلاغة والزهد والشجاعة قرينة أبيها الإمام على وأمها الزهراء، وقد حملت تدابير أمور أهل البيت، بل الهاشميين جميعاً بعد استشهاد أخيها الحسين فكانت أكثر أهل البيت جرأة وشجاعة وفصاحة وطارت شهرتها فى الآفاق بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة وقوة حتى ضرب بها المثل، وكانت إذا خطبت هزت القلوب وأسرت الأسماع، ففى كربلاء يتصاغر أمامها عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية وخاف منها والى المدينة

عمرو بن سعيد على إمارته ونفسه فاستجد بيزيد^(٢).

بداية الأحداث

بدأت السيدة زينب - رضى الله عنها -

ترقب الأحداث السياسية من وراء ستار فى دار الخلافة فرأت والدها وهو يخوض المعركة تلو المعركة فى موقعة الجمل، ثم موقعة صفين مع معاوية ثم يفرغ منها ليلقى الخوارج فى النهروان. وهكذا على مدى خمس سنوات لم يهدأ فيها حتى فاضت روحه الطاهرة سنة ٤٠هـ، ثم شيعت زينب أخاها الحسن إلى جوار أمها بالبقيع سنة ٤٩هـ، ثم جاء دور الحسين فتهيات زينب لترعى أخاها بعد أن رأت الخلافة تخرج من بيت النبي ﷺ وأصبحت وراثية فى بيت بنى أمية، ورحلت معه إلى العراق، كما رحلت منذ عشرين عاماً مع والدها من قبل.

وباستشهاد الحسين فى موقعة كربلاء رحل آل البيت إلى دمشق حيث أدخلوا على يزيد بن معاوية ويقال إنه لما رأى رأس الحسين دمعت عيناه، وقال: «قد كنت أرى من طاعتكم دون قتل الحسين، لعن الله ابن مرجانة»، ثم أمر يزيد بسفر السيدة زينب وأهلها معززة مكرمة إلى المدينة فى صحبة حارس أمين معه خيل وأعوان.

أرادت «أم هاشم» أن تقضى بقية عمرها فى جوار جدها رسول الله ﷺ، ولكن بنى أمية أبوا عليها ذلك، فقد كان وجودها فى المدينة كافياً لأن يلهب مشاعر الناس للأخذ بثأر الحسين، فطلب منها والى المدينة أن تخرج من المدينة فتقيم حيث تشاء، ورحلت تريد

مصر فوصلتها فى شعبان سنة ٦١هـ فاستقبلها مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر، كما خرجت لاستقبالها كافة جموع

**مسجد السيدة زينب .. تحفة
معمارية رائعة تبرز روعة
وجمال الفن الإسلامى**

١٥ ألف مصل تستوعبهم التوسعة الجديدة للمسجد

الأوقاف بعد ذلك بإضافة مساحة تبلغ ٢٣٢×١٧م إلى المسجد الأصلي، وفى سنة ١٩٦٩م، أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماما للمسجد الأصلي، وبنفس مساحته بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة لذلك فقد أقيم فى منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد مع الإبقاء على المحراب القديم.

وفى سنة ١٩٩٩م اقتطعت مساحة من شارع السد وضمت إلى المسجد.

وأضاف د. فهمى عبدالعليم أن مصمم المسجد راعى فى زخرفته أن يشتمل على العناصر الزخرفية والمعمارية التى تبرز روعة وجمال الفن الإسلامى، فمئذنة المسجد على الطراز المملوكى مكونة من ثلاث دورات، تنتهى كل دورة بصفوف من المقرنصات والدلايات وهما عنصران هامين من الزخارف الإسلامية التى تميز الفن الإسلامى عن غيره من الفنون، والنهاية العلوية للمئذنة تشبه نهايات مآذن عصر المماليك الجراكسة، كما تشتمل واجهات المسجد على دخلات طولية بها شبابيك مربعة من أسفل ومن أعلى معقودة بعلوها قمریات مستديرة بها زخارف جصية معشقة بالزجاج الملون وهو طراز ساد أيضا فى زخرفة العمائر والقباب فى العصرين المملوكى والعثمانى.

كما توجد مجموعة من الشخاشخ ترتفع عن سطح المسجد مترين للتهوية والإضاءة.

المسلمين على مشارف مصر حتى إذا وصلت إلى الفسطاط مضى بها مسلمة بن مخلد إلى داره فأقامت بها قرابة عام لم تبرحها حتى قضت نحبها سنة ٦٢هـ.

وصف الجامع:

حدثنا أ. د. فهمى عبدالعليم - أستاذ وخبير الآثار الإسلامية - قائلا: يقع جامع السيدة زينب فى الميدان الذى يعرف باسمها، وكان يعرف قبل ذلك بقنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجود على القنطرة التى كانت مقامة على الخليج الذى كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهى عند السويس، وكانت السباع «رنك» شارة الظاهر بيبرس الذى أقام القنطرة، وفى عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م، تم ردم الجزء الأوسط من الخليج ويردمه اختفت القناطر، ومع الردم تم توسيع الميدان، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب القديمة.

وأشار د. فهمى عبدالعليم إلى أنه قد أضيفت إلى مساحته القديمة مساحات متعددة منها؛ المساحة التى أضافتها وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠م، وتتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة بتوسطها صحن مربع مغطى بقبه، ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب، ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما مستطيل، وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العترىس، وقامت وزارة

وتستوعب حوالى ١٥ ألف مصلٍّ.

وعن التطوير فى مجال الدعوة يحدثنا فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل - إمام وخطيب مسجد السيدة زينب - قائلًا: إنه حدث تطور كبير فى مجال الدعوة، فبالإضافة إلى الدروس المعتادة، كلفت مديرية أوقاف القاهرة بعض السادة الأئمة الممتازين بإلقاء دروس إضافية على ما كان متبعًا من قبل بعد صلاة العصر، وما بين المغرب والعشاء فى يومى الخميس والجمعة، كما يقام منتدى فكرى فى السبت الأول من كل شهر من بعد صلاة المغرب حول موضوع كتاب علمى مختار بعناية يفيد الدعوة والدعاة، وذلك تحت إشراف مديرية أوقاف القاهرة، كما يتواجد الإمام بالمسجد بصفة دائمة طوال اليوم للرد على أسئلة واستفسارات الجماهير والعمل على حل مشاكلهم المستعصية بحيث يخرج الجميع من المسجد وقد حلت مشاكلهم الدينية والاجتماعية واستراحت قلوبهم. وأشار فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل إلى أنه سيتم فى المستقبل القريب تزويد جامع السيدة زينب بأحدث مكتبة وثائقية تكون على أعلى مستوى فى العالم الإسلامى، وبذلك يكون مسجد السيدة زينب من أكبر مساجد مصر اتساعاً ونشاطاً ورواداً.

هذا هو مسجد السيدة زينب الذى يعد الآن تحفة فنية رائعة من حيث العمارة والزخرفة وخاصة تلك النقوش الجميلة التى تزين القبة والمئذنة وجدران المسجد من الداخل.

الهوامش

- ١ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الأول - أ. د. سعد ماهر.
- ٢ - المسجد النبوى الشريف ومزارات أهل البيت للأستاذين أحمد إسماعيل والنبوى سراج.

وعن تطوير مسجد السيدة زينب يحدثنا المهندس سعيد كامل - مدير عام المشروع من قبل وزارة الإسكان والتعمير - قائلًا: يعد مشروع تطوير مسجد السيدة زينب من المشروعات الكبيرة التى تمت فى الآونة الأخيرة، فقد تم توسعته بمسطح قدره ٣٣٠٠م وتجديد وتطوير المسجد القديم بمسطح قدره ٤٥٠٠م.

وأشار إلى أن المسجد مر بعدة عدة مراحل تطويرية هي:

- الأولى: فى عهد الخديو توفيق سنة ١٨٨٤م وكانت بمسطح ١٧٠٠م.
- والثانية: فى عهد الملك فاروق سنة ١٩٤٢م، وكانت بمسطح ٨٠٠م.
- والثالثة: فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر سنة ١٩٦٤م وكانت بمسطح ٢٠٠٠م.
- والرابعة: فى عهد الرئيس مبارك بمسطح قدره ٣٣٠٠م وتحتوى على دار للمخطوطات ومكتبة ومصلى للسيدات.
- وسيتم إعداد المكتبة بحيث تكون على أحدث طراز.

ولاشك أن هذه الكتب ستخدم الدعاة بحيث تمكنهم من الإعداد الجيد للخطبة إلى جانب تزويدهم بمختلف أنواع المعرفة. كما تم إنشاء مساحة محيطة بالمسجد وتقدر بحوالى ١٥٠٠م محاطة بأسوار من حديد بأشكال إسلامية، وتم تجديد الميضة.

وروعى فى إنشاء التوسعات الجديدة أن تكون على نفس النسق المعماري المنفذ من قبل من حيث نوعية الأحجار والأشكال الإسلامية، وأصبحت مساحة المسجد حاليًا حوالى ٩ آلاف متر،

الدين لله إسلام ومرحمة

شعر: سيد عبدالله القن

ووعدك الحق مسئول ومنشود
وفضله في حياة الخلق مشهود
بغوا علينا وباع البغى ممدود
ولا لحق لدينا فيه تهديد
أثار حذتها حمقى عرابيد
به ابتلينا ولله المقالييد
أبت مقاييسها منّا التقاليد
ونقمة الحق قد تخريب وتشريد
فإن رحمت فمنك الفضل والجود

ومن يحاط بنار الشرك ملحود
حصاده فتنة كبرى ومحصول
ببنية أهلها حنفا محاميد
تجنبوا الشرك ما ذلت لهم جيد
ما فات جذوتها شيخ ومولود
فيا جنود الهدى عن دينكم ذودوا

قد استعانك بيض الناس والسود
وهم جميعا بحبل منك مشدود
لما رأوا أن دين الله مقصود
بما استباحوا وتفريخ وتوليد

فبالجهاد لواء النصر معقود
فمن يمت في سبيل الله محمود
من ابتغى غير دين الله منكود

من عندك النصر والمظلوم موعود
يا واحداً ماله نداء ينزع
إننا ابتلينا بأعداء لهم ثقل
ليسوا على ملّة هبوا لنصرتها
لكها شهوة الظغيان عارمة
هموا بما لم ينالوا إنه قادر
إن يفتنونا بأفكار مشوّهة
لما رددنا عليهم فكرهم نقموا
هذا قضاء ونحن المؤمنون به

المسلمون - إلهي - قد أحيط بهم
والدين والعرض والأهلون في خطر
فالنصر في بوسنة الإسلام قد فجر
أي الذنوب أتوها غير أنهم
والحرب والقهر في الشيشان مستعر
ذاك افتراء يريدون الحياة به

ياقادر تحكم الأشياء قدرته
هبوا دفاعا فما هانت مبادئهم
باعوا الحياة بجنان ومفكرة
والمعتدون لهم في الأرض هيمنة

يا مسلمون ألا في الله فاتحدوا
أنتم على الحق فامضوا خلف رايته
والدين لله إسلام ومرحمة

من هدى القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾
الروم: الآيات ١٧ - ١٩

قطوف دانية

الدكتور/ مسعد محمد الديب

من الهدى النبوى الكريم

عن عبد الله بن سلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» أخرجه الترمذى.

فى تعبیر الرؤيا

● الضفدع فى المنام: رجل صالح لأنه صب الماء على نار إبراهيم عليه السلام، أما الضفادع الكثيرة فهي عذاب، قال الله تعالى: «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع» قطوف للأستاذ على الجندي ص ٤١.

● الثعلب فى المنام: صيد الثعلب فى المنام زواج بامرأة، وأكل لحمه دواء، وشرب لبنه شفاء، ومن قتله خاصم بعض أهله، وابن آوى مثله، وأكله حلال عند مالك والشافعى وحرام عند أبى حنيفة وابن حنبل (السابق ص ٦٦).

● نسيان القرآن: قال رجل لمحمد بن سيرين: رأيت فى المنام كأنى أبلع اللؤلؤ ثم أرميه، فقال له:

أنت كلما حفظت شيئاً من القرآن نسيتَه (السابق ص ٨٥).

● رؤيا عائشة - رضى الله عنها - قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها -: رأيت فى المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن فى بيتى، فأخبرت أبا بكر بذلك، فقال: يدفن فى بيتك خيار أهل الأرض، فلما مات النبى ﷺ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك، ثم دفن أبو بكر وعمر (السابق ص ١٩٠).

● الصلوات الخمس فى المنام: من صلى الفجر فى منامه ينجز له فى الوعد لقوله تعالى: «إن موعدهم الصبح اليس الصبح بقرىب»، ومن صلى الظهر انتصر على أعدائه، ومن صلى العصر سهل الله له أمراً بعد عسر، ومن صلى المغرب أو العشاء فهو فى أمر قد قارب النهاية، ومن رأى أنه يصلى فى مسجد فهو مؤلف بين الناس، أو على ظهر الكعبة فهو على معصية (السابق ص ٢٢٧).

قالوا فى الحلم

● قال ﷺ: «أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب».

● قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه».

● قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه :-

«حلمك على السفية أكثر أنصارك عليه».

● قال الأحنف بن قيس: «رُبَّ غيظٍ تجرعه مخافة ما هو أشد منه».

● أسمع رجل أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ما يكره، فقال له: «لا عليك إنما أردت أن يستقرني الشيطان بعزة السلطان فأنا لك اليوم ما تناله مني غدا، انصرف إذا شئت».

● قال شاعر:

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا

حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان كاسفة

لا ذل عجز ولكن ذل أحلام

قال كعب بن زهير:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخبث

أصبت حليما أو أصابك جاهل

حملة القرآن ثلاثة

قال الحسن عليه السلام: «حملة القرآن ثلاثة نفر»:

١ - رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى أن يطلب به ما عند الناس.

٢ - ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده، واستدر به الولاة، واستطال به على أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن، لا أكثرهم الله عز وجل.

٣ - ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، وتسربل الخشوع، وارتنى الوقار، واستشعر الحزن.

ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقى الله الغيث، وينزل النصر، ويدفع البلاء» (السابق ١٥١).

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

قال ابن القيم: الفرق بين علم اليقين وعين اليقين كالفرق بين الخبر الصادق والعيان، وحق اليقين فوق هذا.

وقد مثلت المراتب الثلاث بمن أخبرك أن عنده عسلا وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراك إياه فازددت يقينا، ثم ذقت منه، فالأول هو علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين. فعلمنا الآن بالجنة والنار علم يقين، فإذا أزلت الجنة في الموقف وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم وعابنها الخلائق فذلك عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة وأهل النار النار فذلك حينئذ حق اليقين.

ابن جرير الطبري

قال ابن جرير الطبري: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمان سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أني بين يدي رسول الله ﷺ وكانت معي مخللة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه، وذبح عن شريعته، قال: فحرص أبي على معونتي في طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

الهوامش

١ - مجلة الأزهر - السنة السادسة ص ٢٠٩.

الوضوء قبل النوم

السؤال من القارئ / السيد عبدالمهيمن
التهامى من شرشابة - زفتى - غربية،
يقول:

ما ثواب النوم على وضوء؟ وهل يجوز
النوم على وضوء ويجوز (راديو) يرتل
القرآن؟

الجواب: يسن الوضوء عند إرادة النوم، لما رواه
البخارى وغيره أن النبي ﷺ قال: «إذا أتيت
مضجك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على
شقك الأيمن. ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك،
ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت
ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت،
ونبيك الذى أرسلت»، فإن مت من ليلتك فأنت على
الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به.

ويتأكد استحباب الوضوء عند النوم لمن كان
جنباً ولم يغتسل، فقد كان النبي ﷺ إذا أراد أن
ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوء الصلاة؛
كما رواه الجماعة عن عائشة - رضى الله عنها -.
أما النوم والراديو يرتل القرآن فلا مانع منه،
وكذلك ما تسمعه من برامج أخرى غير منافية
للدين فلا مانع من سماعها عند نومك.

الصلاة خلف المتنفل

السؤال من القارئ / محفوظ محمد عليمى
أبوريشة - كفر الشيخ، يقول:

ما حكم المفترض إذا صلى خلف المتنفل؟

الجواب: الإمام الشافعى أجاز اقتداء
المفترض بالمتنفل مادامت الصلاتان ذاتى ركوع
وسجود، أما عند غير الإمام الشافعى فلا يجوز.

أنت تسأل

9

الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

تحية الإسلام على غير المسلم

السؤال من القارئ، عبد الرحمن عبد الله، ميت غمر، يقول:

ما حكم الإسلام في إلقاء تحية الإسلام على جماعة فيهم غير مسلم؟



الجواب: روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: «وعليكم» وروى مسلم أيضا أنه قال «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام».

حدث خلاف بين العلماء على النحو الذي ذكره ابن القيم والنووي. هذا إذا كان الذين ستلقى عليهم السلام كلهم غير مسلمين. أما إذا كانوا خليطا من المسلمين وغيرهم فاقصد بالتحية المسلمين ولا حرج

قال الإمام ابن القيم: اختلف السلف والخلف في ذلك، فقال أكثرهم ألا يُبدءون.. أى لا يلقى عليهم السلام ابتداء، وذهب آخرون إلى جواز ابتدائهم وجواز الرد عليهم، وروى ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وغيرهما، وهو وجه في مذهب الشافعي على أن يكون بلفظ «السلام عليك» بدون ذكر الرحمة ولفظ الأفراد، وقالت طائفة: يجوز الابتداء لمصلحة راجحة، من حاجة تكون إليه أو خوف من أذاه أو لسبب يقتضى ذلك.

وجاء في «الأذكار للنووي» مثل هذا، ثم نقل عن أبي سعد أنه لو أراد أن يحيي ذميا حيا بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، أو أنعم الله صياحك، ثم قال النووي: هذا الذي قاله أبو سعد لا بأس به إذا احتاج إليه فيقول: صبحت بالخير أو بالسعادة أو بالعافية، أو: صبحك الله بالسرور أو بالسعادة والنعمة أو بالمسرة أو ما أشبه ذلك. وأما إذا لم يحتج إليه فالاختيار ألا يقول شيئا.

ومادام الأمر خلافا في ابتدائهم بالسلام والرد عليهم فليكن ذلك مرهونا بالظروف التي تحقق مصلحة أو تدفع مضرة، ودين الله يسر، وكما هو معروف: إذا وجدت المصلحة فثم شرع الله، ولو أن حديث النهي عن تجنبهم كان قاطعا وعاما ما

مواقع النجوم

السؤال من القارئ، خيرى محمد إبراهيم أبو الروس، كفر الجرايدة، يقول: ما معنى قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم «فلا أقسم بمواقع النجوم».

الجواب: مواقع النجوم اختلف المفسرون في المراد بها، فقيل مساقطها ومغاربها، وقيل منازلها، وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة، وقيل نزول القرآن منجما، وقيل غير ذلك.

وهذا قَسَمٌ والمقسم عليه هو القرآن وكرامته وإعجازه وصدقته، وهل عبارة «فلا أقسم» تفيد وقوع القسم أو تفيد نفي القسم؟ قال البعض إن «لا» تفيد النفي والمنفى هو اعتقاد الكفار أن القرآن كذب، فالله ينفي اعتقادهم، ثم بعد ذلك أقسم أن القرآن حق، كما يتهمك شخص بأنك فعلت كذا، فتقول: لا، ثم تقسم أنك لم تفعل، والجمهور على أن «لا» صلة أى زائدة، والمعنى فأقسم.

وقيل: إن «لا» تفيد التنبيه، فيكون هناك قسم، وقيل: إن «لا» تفيد نفي القسم، أى أن الله لم يقسم على أن القرآن حق، لأن هذا الأمر لا يحتاج إلى قسم، لأنه واضح كل الوضوح بما فيه من إعجاز وهداية، هذا مختصر مافى تفسير القرطبي وغيره.

الجن والإنس

آخر، وهنا يقال - كما فى السؤال لماذا لم يذكر الجن الكتاب الذى نزل على عيسى وهو الإنجيل، واقتصر على ذكر كتاب موسى وهو التوراة، مع أن الإنجيل نزل بعدها وهو أقرب عهد بالقرآن؟

قال المفسرون: هؤلاء الجن من منطقة لم يرسل إليها عيسى، وكانت داخلة ضمن حدود الرسالة الموسوية، فهم آمنوا بموسى ولم تبلغهم دعوة عيسى، وقيل: إن التوراة كانت مشهورة، لأن كثيرا من أنبياء بنى إسرائيل تتابعوا على الحكم بها، فعرفها الجن أكثر من معرفتهم للإنجيل، وقيل إن كلام الجن ليس فيه حصر لما أنزل من الكتب، وبالتالي ليس فيه نفي لنزول الإنجيل بعدما ذكروا التوراة، وقيل: إن التوراة كتاب شريعة مفصلة، فالجن الذين آمنوا بها كانوا أشد اتصالا بمعرفة ما فيها أكثر من الإنجيل الذى كان أكثره مواعد وأخلاقا.

السؤال من القارئ، عبد الهادى محمد أحمد سليم، منشأة الجمال مركز طامية، الفيوم، يقول: قال تعالى فى سورة الأحقاف: «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين» قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه

يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم» الأحقاف: الآيات ٢٩، ٣٠، فلماذا قالت الجن «من بعد موسى» ولم يقولوا من بعد عيسى مع العلم بأن عيسى ﷺ أقرب الرسل لسيدنا محمد ﷺ وينزل القرآن، وهل هناك ارتباط خاص بين الجن ورسالة سيدنا موسى ﷺ؟

الجواب: من المعلوم أن الرسائل السابقة كانت خاصة لأقوام دون آخرين، ولعصر دون

التأمين على الحياة

هذا، وللتأمين على الحياة أو غيرها صور مختلفة، فى كل منها شروط وبنود متغايرة،

فلا بد من فحص كل صورة فحصا دقيقا حتى يمكن إعطاء الحكم الشرعى فيه، وما ذكرته فهو إجابة عامة.

وقد صدرت بحرمته فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر فى ٢٤ من أبريل عام ١٩٦٨م، ومن دار الإفتاء فى ٢٦ من يناير عام ١٩٨٠م، ١٤ من ديسمبر عام ١٩٨٠م.

والرأى الأخير فى الموضوع هو لمجمع البحوث الإسلامية بحكم القانون الخاص بتطوير الأزهر رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦١م.

انظر كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف ج ٢ ص ٢٨٢، ٢٩٤، والفتاوى الإسلامية - المجلد ٧ ص ١٤٦١ والمجلد ٨ ص ٢٨٢٧ و«منبر الإسلام» عدد صفر ١٤٠٧هـ.

السؤال من القارئ/ خيرى محمد إبراهيم - كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ، يقول:

ما حكم الإسلام فى التأمين على الحياة؟

الجواب: سبقت الإجابة على ذلك فى عدد شعبان سنة ١٤١٢هـ وجاء فيها:

أن التأمين على الحياة بالنظام المعروف فى شركات التأمين بحثه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى عدة مؤتمرات منذ عام ١٩٦٥م، ومالت أكثر الآراء إلى حرمة، لأن الضمان الذى فيه ليس بالكفالة أو التعدى والإتلاف، حيث أنه لا يقع على عين أو منفعة، بل هو عقد وقع على تعهد أى ضمان، والتعهد ليس عينا ولا ينتفع بذاته، والمال المتعاقد عليه أثر من آثار المعاملة، والضمان فيه ضم ذمة إلى ذمة. أما التأمين ففيه ضمان من جهة واحدة، فلم يستوف شروط الضمان، ولأن فيه غررا ومخاطرة بالمال.

علامات الساعة

**السؤال من القارئ، خيرى محمد إبراهيم
أبوالروس - كفر الجرايدة، يقول:**
**ماهى علامات الساعة الصغرى والكبرى؟
والدليل من الكتاب والسنة؟**

الجواب: علامات الساعة أُلْفَتْ فيها كتب خاصة، وفيها أحاديث صحيحة وأخرى غير صحيحة، والعلماء قَسَمُوا إلى علامات صغرى وعلامات كبرى، والصغرى هى التى تحدث قبل يوم القيامة بزمان طويل، وقد حصل بعضها فى زماننا هذا، بل قبل هذا الزمان، ومنها ما ورد فى حديث جبريل مع النبى ﷺ «أن تلد الأمة ربّتها» يعنى تكثر الجوارى وأولادهن «وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان»، ومنها كثرة الجهل وقلة العلم وإمارة الصبيان وكثرة النساء وقلة الرجال، حتى يكون للخمسين امرأة قيّم واحد، وكثرة الزنا والربا والفتن، وكل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، وقد أوصلها بعض العلماء إلى خمسمائة علامة.

أما العلامات الكبرى التى تحدث قرب قيام الساعة فقد قال عنها الشيخ النفراوى: إنها عشر، خمس متفق عليها وهى: خروج المسيح الدجال، ونزول سيدنا عيسى ابن مريم، وخروج الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها. وأما الخمس المختلف فيها فهى: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ودخان باليمن، ونار تخرج من قعر عدن تروح مع الناس حيث راحوا وتقتيل معهم حيث قالوا، حتى تسوقهم إلى المحشر، وقد وردت فى صحيح مسلم

الصور على الحائط

**السؤال من القارئ/ هانى كمال حسن،
الجيزة - الدواوية - العياط، يقول:**
**ما حكم وضع الصور على الحائط أيا كانت
فوتوغرافية أو طبيعية؟**

الجواب: الصور إما لما فيه روح، وإما لغير ما فيه روح، والثانية أمرها سهل فلا حرمة فى صنعها وفى تعليقها لأنها للزينة المسموح بها مادام لا يقصد بها فخر ولا يوجد فيها لهو عن واجب. وأما ما فيه روح كالإنسان والحيوان ففيه أربعة أقوال فى الصنع والاقتناء.

- ١ - التحريم مطلقاً، لعموم النهى عنها فى الأحاديث التى منها حديث الصحيحين «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل» وفى رواية البخارى «صورة» بدل «تماثيل».
 - ٢ - التحريم إذا كانت تامة لا ناقصة.
 - ٣ - التحريم إذا كانت مكربة لا ممتنة.
 - ٤ - الجواز مطلقاً، وهو منقول عن القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة.
- على أنهم استثنوا التصوير الشمسى، لأنه حبس ظل بمعالجة كيميائية على نحو خاص، وليست فيه معالجة الرسم المعروفة، وأكثر بيوت العلماء فيها ذلك، والقول بالجواز هو السائد الآن، لعدم جواز التعصب لرأى من الآراء، والمهم ألا تكون فى هذه الصور فتنة وإغراء وعرض ما أمر الله بستره. «انظر المجلد الثانى من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

عن حذيفة بن أسيد الغفارى.

والعلامات التى وردت فى القرآن هى يأجوج ومأجوج والدابة. والباقى ورد فى الأحاديث الصحيحة، وهى أحاديث آحاد لم تبلغ حد التواتر، مع الخلاف فى كونها تفيد العلم اليقضى أو لا تفيد، وبالتالي يكون الخلاف فى الحكم بالكفر على من ينكرها أو بعدم الكفر «انظر المجلد الأول من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» ففيه توضيح لكل ذلك.

تعدد زوجات الرسول

السؤال من القارئ

عصام محمد السيد من الكوم

الأخضر، بمحافظة الجيزة، يقول:

هل تعدد زوجات الرسول ﷺ - كما يدعى

البعض - كان للمتعة، وما الحكمة من تعدد

زوجات الرسول ﷺ؟

الجواب: في السؤال نقطتان، الأولى: هل

كان تعدد زوجات الرسول بدافع الشهوة

ولغرض المتعة، والثانية: ماهى حكمة

التعدد لزوجاته.

حتى تورمت قدماء.

٦ - لو كان شهوانيا لوفر لنفسه أطيب الطعام وألذ المأكولات وكل ما يقوى فيه هذا المعنى، لكنه كان معروفا برقة عيشه، كانت تمر عليه الشهور، ولا يوقد فى بيته نار لإنضاج طعام لذيق، وإذا لم يجد ما يفطر عليه صباحا نوى الصيام.

٧ - لو كان شهوانيا لما رفض النساء اللاتى عَرَضْنَ أنفسهن عليه بطريق الهبة ليتزوجهن.

٨ - لو كان شهوانيا لأكثر من الإماء السرارى للتمتع الواسع كما يفعل غيره، لكنه لم يتسر بأكثر من أربع.

٩ - لم يكن النبى ﷺ حرا كامل الحرية فى الزواج، بل كان زواجه بأمر ربه، ففى الحديث «ماتزوجت شيئا من نسائي ولا زوجت شيئا من بناتي إلا بوحي جأنى به جبريل عن ربي عزوجل». هذا بعض ما يُردُّ به على شهوانية الرسول فى

أما الأولى، فإن الشهوانية تطلق ويراد بها أحد معنيين، الأول أن يكون الرجل مكتمل الرجولة ليس به علة تمنع الزواج، وهذا وصف كمال لا يذم به أى رجل، والثانى أن يكون فى الرجل اهتمام زائد بالمتعة الجنسية، ينسيه نواحي الكمال الخلقى والروحي، وهذا مالم يكن عند النبى ﷺ، وقوله كما رواه النسائي وغيره «حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قررة عيني فى الصلاة» ليس حب شهوة بل حب رحمة حيث كانت مصيبتة بهن كثيرة حتى فى أخريات أيامه، وكون قررة عينه فى الصلاة دليل على عدم لهوه وانصرافه بالشهوة عن الحب الروحي والقيم الدينية العليا، فالصلاة أعظم محبوب عنده، ويؤكد أن حبه للنساء ليس شهوانيا متطرفا ما يأتى:

١ - كان فى شبابه عفيفا صادقا أميناً، وتزوج خديجة لأول مرة مع عمله فى تجارتها لأنها هى التى أحبته وسعت إلى الزواج منه، ولم يتزوج غيرها فى حياتها معه.

٢ - لو كان شهوانيا وورث مال خديجة لكان أول تفكيره بعد موتها هو التمتع بالأبكار كما يشاء، لكنه لم يتزوج بكرا إلا عائشة وكن كلهن ثيبات.

٣ - لو كان شهوانيا ما اعتزل نساءه شهرا، فهل يصبر الشهوانى عن النساء كل هذه المدة.

٤ - لو كان شهوانيا ما خيرهن بين المقام معه على رقة حاله وبين تطليقهن فكيف يعمل لو اخترن الطلاق وبقي لا يجد ما يتزوج به غيرهن.

٥ - لو كان شهوانيا لوفر لنفسه الراحة حتى يتمتع بهن، لكنه كان مشغولا أكثر أوقاته بالدعوة نهارا، وكان بالليل يقضى أكثر وقته فى التعبد

كثرة الزوجات.

أما النقطة الثانية في حكمة تعدد زوجاته وبخاصة أنه زاد على العدد المسموح به وهو أربع فإن آية التحريم لما زاد على أربع نزلت بعد أن كان في عصمة الرسول هذا العدد الزائد، وقد أمره الله بعدم تطبيق آية واحدة منهن، بل وبعدم الزيادة عليهن، لأنهن اخترن عندما خيرهن فقال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهنَّ﴾ الأحزاب: آية ٥٢، ولو طلق الزائدة لعاشت حائرة ممنوعة من الزواج لأن الله حرم على أي مسلم أن يتزوج امرأة النبي ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكُحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْداً﴾ الأحزاب: آية ٥٣.

وتعدد زوجات الرسول كان لحكمة عامة ولحكم خاصة فمن العامة رفع درجاته بزيادة أعباء التكاليف، وإظهار أخلاقه الشريفة المستترة في البيوت، ولتأليف العرب بالمصاهرة تخفيفاً لحدة

عنادهم له، ومن الخاصة في الزائدات على الأربع - خديجة وعائشة وسودة وحفصة - تزوج بأم سلمة بعد وفاة زوجها عقب غزوة أحد مكافأة لها على ما لقيته من شدة عند إسلامها وهجرتها، وتزوج زينب بنت جحش لإبطال حكم التبني، وتزوج جويرية الأسيرة في غزوة بني المصطلق بعد عتقها فأعتق بسببها كثير من الإماء، وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان لما تنصر زوجها بالحبشة وصارت وحيدة يخاف عليها من أهلها فحماها بالزواج منها، وتزوج صفية التي أسرت من بني النضير لشرف قومها وتنافس الصحابة عليها، وتزوج ميمونة لربط صلته بأقاربها المصاهرين لأقاربها حيث كانت أختها عند عمه العباس، وتزوج زينب بنت خزيمة عقب موت زوجها في أحد، وذلك تكريماً لها، إن توضيح هذه الأمور يمكن الرجوع إليه في الجزء السادس من «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام».

هل للخمر منافع

بالثمن الغالي، هذا أصح ما قيل في منفعتها، وذكر القرطبي منافع أخرى صحية، وأنها تجعل الجبان شجاعاً وتجعل البخيل سخياً، وذلك من منطلق ما كان عليه العرب في الجاهلية.

ولعل مما يدل على أن فيها بعض المنافع قوله تعالى في سورة النحل وهي مكية حيث لم تحرم الخمر إلا في المدينة ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ النحل: آية ٦٧،

ولا ننسى في هذا المقام أن كل شيء فيه خير وشر أو نفع وضرر، والحكم الشرعي في التحريم يراعى فيه زيادة الشر والضرر على الخير والشر.

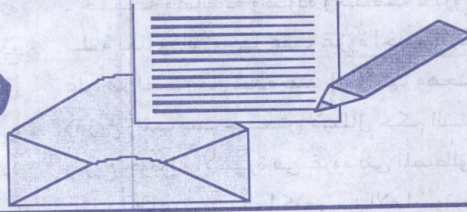
السؤال من القارئ، محمد عبد الفتاح إبراهيم من المنافع الإبراهيمية، بمحافضة الشرقية، يقول،

ورد في سورة البقرة ما معناه أن للخمر منافع فما هذه المنافع؟

الجواب: يقول الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة: آية ٢١٩.

يقول القرطبي في تفسيره: منافع الخمر هي ربح التجارة، فإنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح، وكانوا لا يرون الماكسة فيها، فيشتري طالب الخمر الخمر

مع القراء



□ أ. حسين السكري □

ثلاثيات

التمسك بتماليمة والذود عنه ونشر القيم النبيلة في نفوس المؤمنين، فهم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة التي تقتدى بها ونتأسى بكل ما تركوه لنا من أعمال صالحة.

حسن التخلص

للقارئ / رزق شلقامي حميدة محمد - المنيا - قبة زاوية الجدامي - قرية
أراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يعرف رأى الناس فيه فخرج متنكرا في زى العامة من الشعب، فرأى عن بعد شيئا يقترب فترث حتى دنا منه وأخذ يحادثه حتى اطمأن الرجل إليه، ثم سأله، ما رأيك في الحجاج؟ فقال الرجل: إنه وضع النشأة، ينأى عن الخير ولا يتأخر عن الشر، فأسف الحجاج على سؤاله وتلا قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» سورة المائدة: آية ١٠١، ثم قال للشيخ: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا الحجاج، فقال الشيخ: وأنا زيد بن عامر، يمسنى الشيطان كل يوم فأصاب بالذهول ولا أدري ما أقول فلا يؤخذنى الناس على ما صدر منى وما بدر منى؛ فضحك الحجاج وعفا عنه لحسن تخلصه.

♦♦♦

الحجاج كما نعلم جميعا كان مشهورا باللفظة وحدة الطبع والأخذ بالشبهة، وكان يرى أنه يملك الدنيا في إصبعه نظرا لبطشه وقوته لاسيما وأنه استطاع أن يثبت ملك بنى أمية، فكان الناس جميعا يهابونه ويخافونه، ولقد أحسن الشيخ صنعا عندما سقط لسانه فأراد أن ينجو بنفسه من هذه السقطة، وقد كان حصيفا لماحا عندما اصطنع له هذا العذر حتى لا يجد الحجاج ما يأخذه عليه أو يعاقبه به.

للقارئ / محمود محمد عبد الباقي مقلد - قرية صفط الخمار - المنيا
جلس رسول الله ﷺ ذات يوم مع أصحابه فنظر إلى أبى بكر. فقال: يا أبا بكر: «ماذا أحببت من الدنيا؟ فقال: أحببت من أجلك ثلاثا يارسول الله: طول نظرى إليك وجلوسى بين يديك وإنفاق مالى عليك، ثم نظر ﷺ إلى عمر وقال: يا عمر: ماذا أحببت من الدنيا؟ فقال: أحببت من أجلك ثلاثا يارسول الله: قول الحق ولو كان مرا وأمر بمعروف ولو كان سرا ونهى عن منكر ولو كان جهرا، ثم نظر إلى عثمان وقال: وأنت يا عثمان ماذا أحببت من الدنيا؟ فقال: أحببت من أجلك ثلاثا يارسول الله: إطعام الطعام وإفشاء السلام وركعات بالليل والناس نيام. ثم نظر إلى علي وقال: وأنت يا علي ماذا أحببت من الدنيا؟ فقال: أحببت من أجلك ثلاثا يارسول الله: إكرام الضيف، وصيام فى الصيف وضرب أعناق المشركين بالسيف، ثم قال ﷺ: وأنا أحببت من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني فى الصلاة، فنزل الأمين جبريل ﷺ على الرسول ﷺ وقال يا محمد: السلام يقرئك السلام ويقول لك إنه سمع الثلاثيات وهو يحب من دنياكم ثلاث: قلب شاكرا ولسان ذاكرا وجسد على البلاء صابر، ثم قال الأمين جبريل ﷺ: وأنا أحب من دنياكم ثلاث: تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة والمعطف على المساكين» من كتاب (وصايا الرسول) للأستاذ طه عبد الباقي.

♦♦♦

كل هذه القلوب المؤمنة المضيئة وإن كانت تتحدث عن الدنيا التى نعيشها فهي قطعاً وبلا جدال تتمسك بالآخرة وتحيا لها وتنشد ما فيها من الخير والجزاء الأوفى، فالرسول الكريم ﷺ والخلفاء الأربعة - رضوان الله عليهم أجمعين - والأمين جبريل ﷺ يعملون من أجل الإسلام وتثبيت أركانه وحض الناس على

الحياة في معرفة الله وطاعته

حفظ اللسان

للقارئ / محمد حسيني زيدان - جامعة الأزهر الشريف

كتب رجل لحكيم يقول له: لم تبخل على الناس بالكلام؟ فقال الحكيم: إن الخالق - سبحانه وتعالى - قد خلق لك أذنين ولسانا واحدا لتسمع أكثر مما تقول لا لتقول أكثر مما تسمع، وهناك قصة عن اليمامة والصيد في حفظ اللسان أيضا، فقد زعموا أن يمامة كانت آمنة مطمئنة في عشها بأعلى شجرة مورقة جميلة؛ فجاء صياد ليبحث عن صيد يصيده فلم يجد شيئا، ولما هم بالرجوع برزت اليمامة من عشها وترنمت بجميل صوتها ورقيق ترنيمها؛ فتوجه إليها الصياد وصادها، فلما وقعت في يده، وقبل أن تلفظ أنفاسها قالت:

سلامتي كانت في صمتي

ولو ملكت منطقي لملك نفسي

وقيل قديما:

يموت الفتى من عثرة بلسانه

وليس يموت المرء من عثرة الرجل



قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «أمسك عليك لسانك ولا يجرك الغضب إلى التسرع بالنطق، فقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه وهل نؤاخذ يارسول الله بزلات اللسان؟ فقال الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - «ويحك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟»

وهذا يدل على أن اللسان له خطره الجسيم إذا أساء وله أثره الحميد إذا أحسن، وفي هذا تحضرني تلك القصة الطريفة: فقد نادى سيد على عبده وقال له: اذبح هذه الشاة وأتني بأحسن ما فيها، فذبحها وجاء له بالقلب واللسان، وفي اليوم التالي قال له: اذبح أيضا هذه الشاة وأتني بأسوأ ما فيها، فذبحها وجاء له مرة أخرى بالقلب واللسان، فلما سأله في ذلك قال: نعم ياسيدي هما أحسن ما في البدن إن حسن فعلهما وهما أسوأ

للقارئ / أحمد أنور البرادعي - قنا - فرشوط - ش الشيخ على.

من فضل الله - تبارك وتعالى - على عباده المؤمنين أن وهبهم قلوبا منيرة مضيئة بحبه ومعرفته: فهم يعلمون أن ربهم لا يغيب عنهم أبدا، والموت الحق يكون بموات القلوب وعدم معرفة الخالق، فالإنسان الذي يكون غارقا في شهواته وملذاته وكفره بنعمة ربه يكون إنسانا ميتا ولا يطلق عليه إنسان حتى إذا أطاع مولاة وتمسك بتعاليمه وأوامره.. ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ الأنعام: آية ١٢٢، وللأسف أن هؤلاء المشغولين بدنياههم عن ربهم الغارقين في شهواتهم يظنون أنهم على الحق والصواب؛ فقد زين لهم الشيطان أعمالهم، ﴿قل هل تنبئكم بالأخسرين أعمالا﴾ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ الكهف: الآيتان ١٠٣، ١٠٤، فالْمُؤْمِنُونَ دائماً يستجيبون لربهم ويذعنون لأوامره.. ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ هؤلاء يعتقدون بأن رضا ربهم عنهم هو أسنى وأفضل غاية عندهم واضعين نصب أعينهم نداء الحق تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات: آية ٥٦.



لإجدال في أن معرفة الله - سبحانه - حق المعرفة وطاعته غاية نبيلة يتمناها كل مؤمن ينشد رضا الله والدار الآخرة، فالحياة كما نعلم جميعا - مهما طاللت - فهي قصيرة لا يأخذ الإنسان منها إلا اللذة والرغبة والجاه والثروة، وكل هذه أشياء زائلة لا محالة، والعاقلة من اتعت بغيره وعمل لما بعد الموت، فسار في الطريق الصحيح وتمسك بالتعاليم القويمة التي جاءت على السنة الأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - فهم جميعا مصابيح الظلام ونيراس الهدى، أما إذا أعمانا الهوى وأضلنا الشيطان فهذا هو الخسران المبين.

للقارئ/ مصطفى معوض شرف الدين - مدرس
بالأزهر الشريف - منوف - المنوفية
عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «سأل
موسى عليه السلام ربه - عز وجل -

وذكر أن موسى عليه السلام ناجى ربه - عز وجل -
فقال: «يارب من أبغض خلقك إليك؟ قال: يا
موسى.. من تكبر قلبه وغلظ لسانه وضعف يقينه
وبخلت يده».

من قصص الأنبياء لابن
كثير ص ٣٨٨، ٣٨٩، تنبيه
الغافلين لأبى الليث

سيدنا موسى يسأل والله يجيب

السمرقندى ص ٨٨.



لقد بين الله - سبحانه وتعالى - لسيدنا موسى
عليه السلام بعض الأهداف السامية التي يريدها لعباده
حتى يتزينوا بها ويتمسكوا بكل ما جاء فيها
ويتعاملوا بها مع الناس فتكون لهم نبراسا في
دنياهم وأخراهم وحجة عليهم عند الله يوم الموقف
العظيم، فليس أقوى وأدل على ما نتمسك به ونعيه
من كلام الله - سبحانه - لنبيه وكليمه موسى عليه السلام
فهل نعقل هذا ونتدبره ولا نفرط فيه؟

عن ست خصال كان يظن
أنها له خالصة والسابعة لم
يكن موسى يحبها، قال:
يارب أى عبادك أتقى؟ قال: الذى يذكر ولا ينسى،
قال: فأى عبادك أهدى؟ قال: الذى يتبع الهدى،
قال: فأى عبادك أحكم؟ قال: الذى يحكم للناس
كما يحكم لنفسه، قال: فأى عبادك أعلم؟ قال:
الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يجد
كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى، قال فأى
عبادك أعز؟ قال: الذى إذا قدر غفر، قال: فأى
عبادك أغنى؟ قال: الذى يرضى بما يؤتى، قال:
فأى عبادك أفقر؟ قال: صاحب منقوص
ومنقوص: معناها يستقل ما أوتى ويطلب الفضل.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ (١٠)

السؤال : والحق سبحانه وتعالى رفع شأن الإنسان وزوده بقدراته البدنية والعقلية والملاكات
الفكرية، فالحكمة من وراء ذلك هى تهيئة الإنسان لعمارة الكون.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : اسم الكاتب :
العنوان :
العمل :
اسم المتسابق : رقم التليفون :
رقم البطاقة : جهة الصدور :

املا بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى
أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٠هـ حتى شعبان ١٤٢١هـ

أهـ



الاسم : عمرو محمد

أحمد حسين

الهواية : حفظ القرآن

الكريم وتلاوته

العنوان : تل العمارة .

دير موسي - المنيا



الاسم : عاصم أحمد

شحاتة على

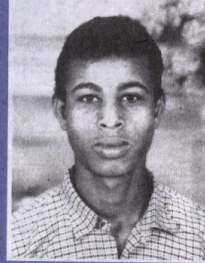
الهواية : المراسلة قراءة

الكتب الدينية

العنوان : محافظة قنا -

مركز قوص - الخرانقة -

نجم الشيخ صالح



الاسم : محمد السيد

محمد الزعبلوى

الهواية : قراءة القرآن

الكريم

العنوان : محلة البرج .

المحلة الكبرى -

محافظة الغربية



الاسم : عبدالرحمن

اسماعيل السيد

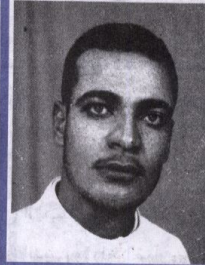
الهواية : الخطابة

والاطلاع

العنوان : قرية

الجليله - الإبراهيمية

شرقية



الاسم : محمد محمد

مسعد صقر

الهواية : القراءة -

الاطلاع - المراسلة

العنوان : السعيدة -

شربين - دقهلية



الاسم : محمد أحمد

إبراهيم عبدالمجلى

الهواية : الاطلاع

الدينى والخطابة

العنوان : أبنوب -

أسيوط



الاسم : عادل ألهم

محمود محمد

الهواية : قراءة القرآن -

الاطلاع الدينى

العنوان: روافع

العيساوية - المنشاة -

سوهاج



الاسم : مصطفى

محمود جلال

الهواية : المراسلة

والاطلاع الدينى

العنوان : الساكرة - هيا

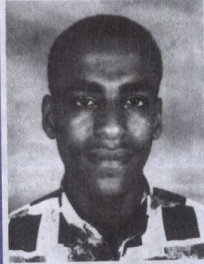
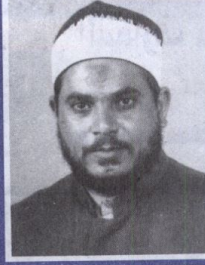
- شرقية



الاسم : غـازى
عبدالستار فضيلة
الهواية : الخطابة
وقراءة القرآن
العنوان : مسجد الشبان
بكفر سعد البلد - كفر
سعد - دمياط

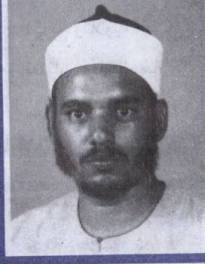


الاسم : حامد علي
البخومي
الهواية : الخطابة وقراءة
القرآن
العنوان : مسجد البحر
بدمياط - كفر سعد -
دمياط



الاسم : كـمال
عبد الرحيم أحمد
مهران
الهواية : القراءة
والمراسلة
العنوان : جرجا -
سوهاج - ش الطرايشة

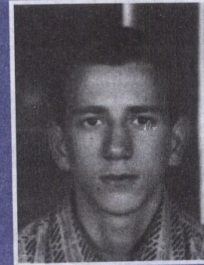
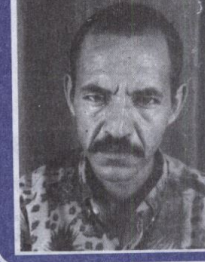
الاسم : ياسر أحمد
عمر الدهموجي
الهواية : الخطابة
وقراءة القرآن
العنوان : ممجد النور
بدمياط الجديدة - كفر
سعد - دمياط



الاسم : عبدالفتاح
محمود محمد أحمد
الهواية : الاطلاع
الديني وقراءة القرآن
العنوان : مصنع سكر
إدفو - أسوان



الاسم : مرينى العربى
الهواية : قراءة القرآن
الكريم والمراسلة
العنوان : ص.ب ٦١٣
ولاية الشللى - الجزائر



الاسم : حمادة
السعيد أحمد شرف
الهواية : المراسلة -
تبادل الآراء
العنوان : محلة زياد -
مركز سمند -
محافظة الغربية

الاسم : عبدالحليم
حسن عبدالحليم سالم
الهواية : الأذان وخدمة
المسجد
العنوان : دمنكة - دسوق -
كفر الشيخ



تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكويون
المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به
وإرساله إلينا

الاسم :
الهواية :
العنوان :

محتويات العدد

١	كلمة التحرير	□
٢	حديث الشهر (وداعاً للرجال الأعزة)..... بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق.....	□
٥	القرآن الكريم وعلومه.....	□
٦	تفسير سورة الحشر..... الدكتور محمد سيد طنطاوي.....	●
١٠	التفسير اللغوي للقرآن الكريم..... أ. د. عبدالغفار حامد هلال.....	●
١٧	منهج القرآن في الدعوة إلى الله..... د. عبدالعظيم المطعني.....	●
٢٢	الإيمان (شعر)..... عمر موسى البرعي.....	●
٢٣	دراسات في السنة المطهرة.....	□
٢٤	الإسلام دين القصد والاعتدال..... فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي.....	●
٣٥	علوم ومصنفات صاحب تدوين السنة في القرن الثالث..... أ. د. أحمد عمر هاشم.....	●
٤٣	الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ..... أ. د. محمد عبدالنعم خفاجي.....	●
٤٦	اليهود في ظل الإسلام..... صلاح عبدالرحيم محمد.....	●
٥١	الحضارة والعلوم.....	□
٥٢	معجزة خلق الإنسان في القرآن..... أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمه.....	●
٥٦	علماء الجغرافيا المسلمون وجهودهم في رسم الخرائط..... أ. د. أحمد شلبي.....	●
٥٩	مختصر الوجوه في اللغة «لخوارزمي»..... أ. د. رمضان عبدالنواب.....	●
٦٣	خير أمة والبعث الحضاري المنشود..... د. جمال رجب سيدي.....	●
٦٥	شخصيات إسلامية.....	□
٦٦	العلامة محمود شكرى الألوسى (عالم العراق وإمامه الكبير)..... أ. د. محمد رجب البيومي.....	●
٧٤	الجاحظ وحديث عن الموهبة الأدبية..... أ. د. طه مصطفى أبو كريشة.....	●
٧٧	الشيخ أحمد حسن الباقوري في ذكرى رحيله..... أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى.....	●
٨١	الدعوة والدعاة.....	□
٨٢	التنازل عن الأرض المغتصبة.. هدنة أم سلام؟!..... أ. د. محمد عمارة.....	●
٨٦	العمل في الإسلام..... الشيخ منصور الرفاعي عبيد.....	●
٩٠	الإسلام والإنسان..... أ. د. عبدالرشيد سالم.....	●
٩٥	إسلام بلا مذاهب (د. مصطفى الشكعة)..... عرض/ د. محمد بهي الدين سالم.....	●
١٠١	مسكن الحضارة لمن؟..... المستشار حسن حسن منصور.....	●
١٠٥	إنفاق هائل والحصيلة صفر..... تحقيق/ مصطفى إبراهيم خيان.....	●
١٠٩	القدس بين منطق السلام ومنطق الشرعية..... د. عبدالله الأشعل.....	●
١١٣	وراء الأخبار..... منير بيومي.....	●
١٢٢	مؤتمر الاتحاد العربى للمكتبات..... محسن عبدالفتاح.....	●
١٢٦	مسجد السيدة زينب..... محمد كامل شاهين.....	●
١٣١	الدين لله إسلام ومرحمة (شعر)..... سيد عبدالله القن.....	●
١٣٢	قطوف دانية..... د. مسعد الديب.....	●
١٣٤	أنت تسأل والفقيه يجيب..... فضيلة الشيخ عطية صقر.....	□
١٤٠	مع القراء..... يحرره حسين السكرى.....	□
١٤٣	بريد التعارف.....	□

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم
فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأهميات
الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:



أهميات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المختضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر نوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص النواوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

- | | |
|---|---|
| القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى | ٢ شارع الأمير قدار المتفرع من ميدان التحرير |
| مكتبة مسجد النور بالعباسية | ٧٦ شارع الجمهورية (شرايط القرآن الكريم) |
| الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول | مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا |

مطابع الأهرام التجارية - قلوب - مصر